إبداء الخفا في شرح أسماء المصطفى ﷺ

للشيخ فخر الدين أبي الحسن علي بن أحمد الحرالي
المتوفى ٦٣٧ هـ

تحقيق
أحمد فريد المزيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

اللَّهُمَّ صلِّ على سيدنا محمدٍ وآله وسلّم

قال الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل العالم العاملِ ذي المناقب والمآثر فخر الدين أبي الحسن عليٍّ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الحرَّاليٍّ رحمه الله: الحمد لله الذي جعل الحمد ختامٌ آمنٌ، فجمع به ما فرَّق من روحي خيرِّه وشرِّه، وأعاد به سابقة رتق الأشياء بعد فتقها في خلقه وأمره، فقلن بكمال اتصال ما أظهر بما أبطن وما أبطن بما أظهر بادئة جَهره وخفيَّ سرِّه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلّى الله عليه وعلى آله صلاةً دائمةً بدوامه، قائمةً بقيامه، ورضي الله عن صحابته الأكرمين والتَّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن الكلام جُملٌ ينبئ عن صور الأشياء بيانًا يستند فيه بعضها إلى بعضٍ، فيتعرف تفصيلا، لا يصل إلى بيان حقائقه جمعًا وتكميلاً، وأن الأسماء أكمل دلالةً وأجمع بيانًا بمطابقة الاسم مسمَّاه، ولإظهار ما به وسمه وسَمَّاه، فأوَّل ما خُصِص به الخلق الآدمي: علم الأسماء الذي من معانيها جميع ما يظهر على مرِّ الأزمان من التقلُّبات والأطوار في الأشياء، فلبيان الكلام تولى التفصّل لمجمله والتلخيص لمبسوطه كثيرٌ من العلماء، ولكمال إنباء الأسماء عن مسمياتها لم يتعرض لجلاء معاني الأسماء إلا الأقلُّ، فألمح مُلمِحٌ في الكلام في أسماء الله، وتأوَّل متأوِّلٌ، واستشفَّ مُستشِفٌّ، وكلٌّ بما اقتضاه نُطقُ وقته وفصلُ خطابه.

وكما أن استجلاء أسماء الله أجمع العلم وأبـــين الحكم فكذلك أسماء النبي ﷺ تظهر في كماله ما لا يصل إليه تفصيل الأوصاف وتعداد الآثار، بما هي أجمع وأجمل وأوجه إلى الإحاطة، وأكمل لاشتمال الأسماء على بيان جهات الذات، واجتماعها إلى اسمٍ هو مسمَّاها، هو أعظمها بما هو حجاب العين الذي موقعه في السمع كموقع العين في الرؤية، الذي بكمالها انفرادًا وباتصالهما أحديَّةً، يقع الوجد في القلب وصلاً لما كان موقعه في السمع والعين فضلاً، فيبدو لذلك محلُّ الأسماء من الاسم ومحلُّ الاسم من العين، وتقع المعرفة بالمسمَّى اسمًا ومعنًى والتحقُّق وجدًا، والله ذو الفضل العظيم.

وإن مما شمله الاستقراء وتتبّعه الإحصاء من أسماء النبي ﷺ أسماءً يُعرف كلٌّ اسمٍ منها بوصف من أوصافه، ويعدي إلى وجه من وجوه كماله، يتضح بها للمُستجلي من معرفته ما لمْ يكن يعرف، ويعلم من حقيقةِ إحاطة نبوته ما لم يكن يعلم، فيستجدُّ به علمًا إلى علمه، فيزيد إيمانًا إلى إيمانه، وتنتهي معرفته إلى معجز عن معرفته، فينتهي فيه إلى وقفة تملأ قلبه تعظيمًا، وجوارحه تعزيزًا وتوقيرًا وتكريمًا بما يجعله الله بذلك وسيلةً لشفاعته الكبرى الموصِّلة إلى الله بالله، التي بها يكونون له إخوانًا يودُّ رؤيتهم، وأحبَّاءً يتشوَّق إليهم.

﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥]

والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

القول في تمهيد يتضمن بيان
[مجرى الاسم والأسماء في معناه وفي معانيها]

اعلم أن لفظة (اسم) حرفان: سين وميم، لذلك يقال: سِمٌ وسُمٌ بالكسر والضم في السين، فثالث حروفه خفيٌّ، وهو واوٌ متقدمًا فيكون من الوسم، أو متأخرًا فيكون من السموِّ، فلإخفاء موقع الواو جرى فيه معنى الوسم والسموِّ الذي منه اشتُقَّ السموُّ بناءً على فعول، فكلُّ اسمٍ لا يظهر في مسماه معناه فإنما هو ما دام كذلك وسمٌ فيكون اسمه من الوسم لا من السموِّ، وكلُّ اسمٍ يظهر في مسمَّاه معناه فهو عند ذلك سموٌّ واسمه منه؛ لأنه أسماه بما ظهر الوصف الذي أنبأ عنه اسمه، فالسليم للديغ مثلاً (وسم) بما يرتجى له بعد، والقاتلة للآهبة (وسمٌ) بما يُترجى له بعد، والسليم للصحيح السالم (سمو) بما هو فيه بادٍ ظاهرٌ، والقافلة للراجعة العائدة (سمو) لما ظهر فيها معناه، فبذلك لكل امرئٍ من اسمه نصيبٌ إن كان من السموِّ فيما ظهر، وان كان من الوسم فيما يرتقب ظهوره إلى حين.

كما استقدح عمر بن الخطاب ﷺ أسماء المحترق أهله بعد حينٍ من وقوعهما ومجاريها عليه، فعند كلمة عمر صار الوسم سموًّا، وانتهى ظهور ذلك النصيب، فسيظهر كلُّ اسمٍ ولو بعد حين، فيستقرُّ بذلك أن حقيقة الاسم من السموِّ ابتداءً وغايةً، وأن الوسم في الأسماء عرضٌ زائلٌ وظلٌّ آفلٌ، فلذلك التأمت الأسماء بمسمياتها وكانت خطأً من ذواتها، كما قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدم الأسماء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائكَة فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأسماء هَؤُلاءِ إن كُنتُمْ صَادقِينَ**﴾ [البقرة:٣١]، فصار الاسم من السموِّ أخذًا بحظٍّ من عين المسمَّى، سواء أظهر بالقول أو لم يظهره؛ فكلُّ شيءٍ له اسمٌ في ذاته نطق به أو لم ينطق، ويلمح ذلك المعنى.

قال قائلٌ: إن الاسم هو المسمَّى، ولكنها ترجمةٌ فيها نقصٌ، وكان الأحقُّ أن يقول الاسم من المسمَّى لا هو؛ لأن الحظَّ من الشيء لا يقال هو كله ولا هو هو، وباقتصار نظر الناظر على الوسم دون أن يعلم انتهاء مصيره إلى السموِّ حتى تأوَّله بسمة لا معنى لها ظاهرًا ولا باطنًا.

قال: إن الاسم غير المسمَّى، وفي ترجمته أيضًا نقصٌ، كان الأحقُّ أن يقول: ليس المسمَّى؛ لأنه يصدق أن يكون الوسم ليس الموسوم، ولا يصلح أن يقال: هو غيره؛ لأن المغايرة مختصَّةٌ بما لا رابطة بينهما، بحيث لا ينقص من وجود أحد التغايرين فقد

الآخر، فكل المتصلات والمرتبطات لا يصلح أن يطلق عليها لفظ المغايرة، وإن صحَّ أن يُقال: إن أحدهما ليس الآخر.

* * *

فصـــل

اعلم أن لكلِّ ذات اسمًا يطابق عين ذلك الذات، ولكلِّ ذات أوصافٌ تُبدي خفايا ذلك الذات، ولكلِّ وصفٍ اسمٌ ينبئ عن ذلك الوصف، وكماً ترجع الأوصاف إلى الذات وجودًا فكذلك ترجع أسماء تلك الأوصاف إلى ذلك الاسم بناءً، فكما أن الذات أعظميَّة الأوصاف فكذلك الاسم هو أعظم أسماء الأوصاف، فلكلِّ اسمِ وصفٌ مستندٌ لاسم الذات استناد الأوصاف للذات، فأوَّل تفصيل الأسماء مطلقًا فرقانُ ما بين الاسم والأسماء، وأول فصل الأسماء المنبئة عن الاسم فرقان ما بين أسماء الإبداء وأسماء الإعادة.

* * *

فصـــل

اعلم أن الاسم المطابق للذات [ابتداءً[1]] هو رتق المعنى الذي لا فتق فيه، أحديٌّ لا تضاد فيه ولا تقابل، وسائر أسماء الأوصاف يبدو فيها فتق رتق ذلك الاسم الجامع وفصل وصله، فيكون منها أسماء وفاق وأسماء افتراق، فينقسم بين ملائمٍ ومنافرٍ، فبظهورهما تتمُّ الحكمة، وتظهر الإحاطة، ويكمل الإبداء، وبمددهما علمًا سابقًا وكونًا لاحقًا إلى رتقهما السابق تتمُّ الإعادة: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج:١٣].

* * *

فصـــل

اعلم أن الإحاطة تشمل المقابلات وتحوي جميع المتضادات، فالنظر إلى أحد الفريقين الانحصار في أحد القسمين تفرقةٌ تجرُّ في الظاهر ألمًا وفي الباطن حجابًا، وعن ناشئة ذلك البين والفرق نشأ ران القلوب الذي سُلِّطت النار على أكله وصقله في مراياها، فإذا أبدت لمحة الإحاطة وانكشف الرَّان وخمدت النار بدا اتصال الأول بالآخر والفصل بالوصل، فعند ذلك يبدو الختم، ويلتقي طرفا حلقة الخاتم على فصِّه، فكذلك

---

(١) في الأصل (نباء).

كانت أسماء الله سبحانه، وأسماؤه جامعةٌ محيطةٌ، فيها ما يوافق كل طائفة من أهل الحصرين، ومنها ما يخالفها حتى يصيب هلك هذه حياة هذه، وحياة هذه هلكَ هذه، وآية الله بمجموعها بادئة، وحكمة الله بإقامتها قائمةٌ، ولذلك جمع الكون الحلو والمرَّ، والإيمان والكفر، والهدى والضلال، والأمانة والخيانة، والرضا والغضب، وجميع الآثار والأحوال والأوصاف المتقابلات، فكان الكلُّ آيةً لأهل العلم، آيلا لأهل المعرفة، عيانًا لأهل الشهود، وجدًا لأهل الوجود؛ ليكون الكمال بما هو الظاهر الباطن، الأول الآخر، لا إله إلا هو ربُّ العرش العظيم.

* * *

القول في ذكر أسماء النبي ﷺ
[حسب ما حواه النقل وأثبته العلم واستجلته المعرفة]

فأوَّل ذلك: ما له من معنى الحمد الذي هو اسمه المنبئ عن ذاته، الذي سائر أسماء أوصافه راجعةٌ إليه، وهو في المعنى واحدٌ، وله في الاشتاق صيغتان: الاسم المبنيُّ صيغته على صيغة أفعل، المنبئة عن الانتهاء إلى غاية ليس وراءها منتهى، وهو اسمه (أحمد)، والاسم المبنيُّ على صيغة التفعيل المنبئة عن التضعيف والتكثير إلى عدٍّ لا ينتهي له الإحصاء، وهو اسمه (محمدٌ) ﷺ، فلذلك لما نسب ﷺ نفسه قال: «أنا أحمدُ وأنا محمدٌ ابن عبد الله بن عبد المطلب[1]»، ثم رفع نسبه إلى آدم ﷺ، ثم قال: وآدم من تراب، والتراب من الزبد، والزبد من الموج، والموج من الماء، والماء من الدُّرة، والدرة من الضبابة، والضبابة أنشئت من نور محمد[2]»، فأظهر ﷺ الختم في الكون بجمعه له خلقًا، كما هو الجامع في الكتاب والنبوَّة والرسالة، بما هو خاتمٌ له أمرًا، فهذه الأسماء التي يستفتح الله ﷻ في بيان ما تيسَّر الإفصاح من معانيها.

[هي هذه الأسماء]

أحمد، محمَّد، الماحي، الحاشر، القاسم، العاقب، الأوَّل، الآخر، الظاهر، الباطن، المقفَى، الرسول، الملاحمي، نبيُّ الملاحم، نبيُّ الملحمة، نبيُّ التوبة، نبيُّ المرحمة، صاحب الحوض المورود، صاحب المقام المحمود، صاحب المحضر المشهود، صاحب الأزواج

(١) رواه أحمد (٨٤/٤)، والطبراني في الكبير (١٢٠/٢)، والديلمي في الفردوس (٤١/١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٥١/١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٨٤/٨).
(٢) حديث كشفي صحيح.

الطاهرات، صاحب العلوِّ والدرجات، صاحب لواء الحمد، صاحب الشفاعة، صاحب القضيب، صاحب [الهراوة(١)]، المبعوث بالحق، المتعلِّم بالحق، القائم بالحقِّ، العالم بالحقِّ، الضارب بالحسام المثلوم، الأعلم بالله، الأتقى لله، الأخشى لله، النبيُّ الأميُّ، العربيُّ، القرشيُّ، الهاشميُّ، المكيُّ، المدنيُّ، التهاميُّ، الأبطحيُّ، البشير، المبشِّر، الشاهد، الشهيد، النذير، السِّراج، المنير، الرءوف، الرحيم، الصادق، الطيِّب، المبارك، المكين عند الله، نور الأمم، نور الله الذي لا يطفئ ركن المتواضعين، المتوكِّل، راكب البعير، الموصَل، المرحوم، الداعي إلى الله، المدَّثِّر، المزَّمِّل، طه، يس، قثم، وهو الكامل، الجامع، الخاتم، سيِّد الناس، سيِّد البشر، سيِّد ولد آدم عليه السلام، سيِّد المرسلين، حجَّة الله على الخلائق، خير خلق الله، أوَّل شافعٍ، أوَّل مشفَّعٍ، شفيع المذنبين، الشفيع، صاحب الشفاعة الكبرى، المصطفى، صفيُّ الله، قائد الوافدين على الله، خطيب الوافدين على الله، صاحب المنبر الأعلى، مبشِّر اليائسين، أكرم ولد آدم عليه السلام، أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض، دعوة إبراهيم عليه السلام، بُشرى عيسى عليه السلام، إمام النبيين، الرسول، رسول الله، خليل الرحمن، خليل الله، عبد الله، حبيب الرحمن، حبيب الله، فهذه تسعةٌ وتسعون اسمًا، كلُّ اسمٍ منها ينبئ عن وصف أو عن رتبة في وصف له في الخلق والأمر مسرًا؛ يشفُّ عنه للعارف عالم الملك، وعالَم الملكوت، ويوم الدنيا، ويوم الآخرة، ويكون له بركةً في قصد القاصدين، وسير السائرين إلى الله تعالى، ويكون بقيامه قرار الواصلين، وتحقُّق الواجدين، فمن أظهرها سريانًا في كل ذات اسمه الحمدي المبنيِّ على صيغة الانتهاء، وهو اسمه ﷺ (أحمد).

اعلم أن الحمد معنًى لا يبين لمختصِّ النظر بجهةٍ في الكون حتى يحيط بنظره، فيرى موقع المتقابلات في حكمة الله كمالاً، فحينئذ يصير منقسمها إلى المدح والذم حمدًا، فإذًا الحمد ظهور حكمة الله بما أحاطت به على وجه لا عيب فيه، ولا مذمَّة تلحقه، ولا نقض يتطرق إليه، لذلك كان ﷺ لا يعيب شيئًا ما عاب ذواتًا قط، فإذا تحقَّق معنى الحمد في كل ذات من حيث موقعه في حكمة الله ففي كل ذات ما جعله الله أعلى فيه، وما جعله الله أدنى فيها، فأحمديَّة كلِّ شيءٍ أعلاه بالنظر إلى شمول الحكمة لمتقابليه، وتمام الآية بكليَّته.

---

(١) الهراوة: هي العصا الضخمة.

ولما كان ﷺ النور الأول قال ﷺ: «أنا الذي خلق الله أوّل كلّ شيءٍ من نوري، فسجد، فبقي في سجوده سبعمائة عامٍ[1]»، وكان كلٌّ شيءٍ من نوره من النيرات اللطائف، أو من غير ذلك من الكثائف، كما قال ﷺ: «إنّ الله خلق العرش من نوري، والكرسيَّ من نوري، واللّوح من نوري، والشمس والقمر من نوري، والعقل الذي في رؤوس الخلائق من نوري، ونور الإيمان من نوري، ونور المعرفة التي في قلوب المؤمنين من نوري[2]»، فهذه السبعة الأنوار الجامعة للملك والملكوت والقلوب والأعين إنما هي من نوره، فكلٌّ منيرٍ منه، فأنوار ذلك المنير أحمديته ﷺ في كلّ ذاتٍ منها مسرى وموقع يبدو في أتمِّه، ويضيء في قلبه؛ إذ لكلّ شيءٍ قلبٌ، وكما أن جميع النيران ظاهرها وباطنها من نوره فأحمديته كائنةٌ فيها، قائمةً عليها، داعيةٌ لها إليها، فهو رسولٌ لها منها، يجدها كلٌّ شيءٍ منها في وجوده، ويسمع بما منه فيه عند تبليغه في ظاهر يوم ختمه، فلذلك سائر الموجودات ناشئةٌ من نوره، بما أن كلّ شيءٍ من المواليد والأركان من الماء، الذي هو من الدرة، التي هي من الضبابة، التي أُنشئت من نوره، كما قال ﷺ: «آدم من تراب، والتراب من الزبد، والزبد من الموج، والموج من الماء، والماء من الدرة، والدرة من الضبابة، والضبابة أُنشئت من نور محمد ﷺ[3]»، ففي كلّ كائنٍ كثيفٍ أو لطيفٍ نوريته، فأتمها في ذات كلٌّ شيءٍ هو أحمديته، التي هي قائم ذلك الشيءً وقلبه، يجدها كلٌّ شيءٍ في ذاته، ويسمع منه بما فيه من أحمديته يوم تبليغه في يوم فتحه، فمجيبٌ بحكم تلك الأحمدية قابلٌ ومصروفٌ بخفاء تلك الأحمدية، آب إلى حين ظهورها ورفع حجابها، وإبراء داء غشاوتها وفكِّ طابعها، قال ﷺ: «ما بين السماء والأرض شيءٌ إلا يعلم أني رسول الله غير عاصي الجن والأنس[4]»، وكل ذلك مضمون قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة:١٢٨] بفتح الفاء؛ إشارة إلى الأحمدية التي في كل شيءٍ حين هو ﷺ رسولٌ لكل شيءٍ.

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (١/١٧١)، وابن عدي في الكامل (٣/١١٠)، وذكره الذهبي في الميزان (١/٣١٤)، والقرطبي في تفسيره (١٢/٢٨٦) بنحوه.

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) حديث كشفي صحيح.

(٤) رواه أحمد (٣/٣١٠)، وعبد بن حميد في مسنده (١/٣٣٧)، والدارمي في سننه (١/٢٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣١٦)، وأبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/١٥٨).

قال ﷺ: «إنِّي أعلم حجرًا كان يسلِّم عليَّ قبل أن أُبعث[١]»، وحنَّ إليه الجذع[٢]، كما استرزقت منه الوحوش، واستأذنته الجنُّ في مساكنها من الأرض، وأتَمَّت به الملائكة، وكلٌّ شيءٍ فله وجهةٌ إليه بما هو حبيب الله، الذي لم يشاركه في كماله سواه بما كل ما سواه؛ فهو منه بما وضح أن كل كائنٍ من نوره كثيفه ولطيفه، وعلى مشهور القرءاة: (من أنفُسكم) بضم الفاء؛ إنباءٌ بمطلق وجود حقيقة من له الحمد في كلِّ شيءٍ، وله الحمد في السماوات والأرض، فهو من نفس ما بُعث إليه، ومن أنفس ما بُعث إليه، ولما كانت الأحمدية علوًّا للذات كانت بمنـــزلة السماء في موجود الدنيا، فكان لذلك اسمه في السماء (أحمد) كما ورد، ولما كان الإنجيل كتابًا باطنًا أعلن فيه باسمه (أحمد) فقال: ﴿وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، ولما كان مدلول السماء مطلق العلوِّ تَحقَّق اسمه بالأحمديَّة في علوِّ السماء إلى غيب العلا، وكان أحقَّ بمعنى السموِّ الغائب لما تشير إليه زيادته التي هي الهمزة المشيرة للألف الذي يشير إلى مطلق الأمر من وراء كلِّ حدٍّ وغيب، فكان اسمه فيما إلى الغيب والإطلاق أحمد، وهو بما هو غيبٌ سارٍ في كلِّ غيب؛ إذ غيب كلِّ شيءٍ وباطنه سماءٌ، وبذلك يكون ظاهره زمنه، فلذلك عمَّت نبوته وشَملت دعوته، وكان رسول الله ﷺ لكلِّ ما ربُّه الله، والله ربُّ كلِّ شيءٍ، فأحمد رسولٌ لكلِّ شيءٍ، وبذلك ينبئ ﷺ عن التمام، الكونُ به في وجده العليِّ في قوله: «وكلنا لك عبدٌ[٣]» يستتبع في وصله هذا؛ لتكون الجامعة لعبدانيته كل شيءٍ هو منه، ومنه كل شيءٍ، وبذلك الأحمدية القائمة على كلِّ شيءٍ في خصوص ذاته، هو حجَّة الله على الخلائق أجمعين، ومنه مفشى هذا الاسم؛ فنبوته بالأحمدية سابقةٌ دائمةٌ، بادئةٌ في الختم، حقيقةٌ في البدء، وبمعنى منه: كان نبيًّا وآدم عليه السلام بين الماء والطين، فهو بالأحمدية نبيُّ العقل في ذات العقل، ونبيُّ الروح في ذات روحه، ونبيُّ النفس في ذات نفسها، ونبيُّ الجسم في ذات جسمه، ونبيُّ الليل في ذات ليله، ونبيُّ النهار في ذات نهاريته، ونبيُّ النور في ذاتية نوريته، ونبيُّ كلِّ حجابٍ في ذات

---

(١) رواه الترمذي (٥/٥٩٢)، والطبري في تفسيره (١/٣٦٥)، والطبراني في الكبير (٢/٢٢٠)، وفي الأوسط (٢/٢٩١)، وفي الصغير (١/١١٥)، وأبو يعلى في مسنده (١٣/٤٥٩)، وابن عدي في الكامل (٣/٢٧٣)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/١٩).

(٢) رواه البخاري (٣/١٣١٣)، والترمذي (٢/٣٧٩)، والدارمي في سننه (١/٢٩)، والبيهقي في الكبرى (٣/١٩٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/١٨٢).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (١/٢٢٤)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٣٧٤)، والخطيب في تاريخه (٢/٣٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٨٩)، وأبو عوانة في مسنده (٢/١٧٦).

حجابيته، ونبيٌّ كلِّ شيءٍ في خصوص ذاته، تقوم به منه عليه حجَّة الرسالة الأحمدية في كلِّ لون، و في كلِّ عالمٍ، و في كلِّ ما أنبأ عنه اسمٌ مجهولٌ هو بدءه، وبأحمديته تتوجه عليه حجَّته، وبمعنًى منه في مجرى كرم الطِّباع، والجمع لخيرها هو سيِّد ولد آدم في الأحمديه الخاصَّة بالآدميَّة الجامعة المحيطة، فهو أظهر الأسماء سريانًا بما هو غيبٌ خفيٌّ باطنٌ سماويٌّ، ومعرفته هو مفتاح معرفته ﷺ، وعنه مناشئ أوصافه الباطنة، وبه جرت أوصافه على صيغة الأفعل فيما جاء من أسمائه عليها، واختصَّ من أوصافه بها، نحو اسمه الأتقى، والأخشى، والأعلم، وبما كان قاب قوسين أو أدنى، وبكلِّ ما ورد من معناه وعلى صيغته قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح:٨، ٩].

***

[اسمه ﷺ: محمد]

لما كانت الأحمديَّة اسم علوِّ سمائيته في كلِّ شيءٍ وكان مقابل سمائيته كل شيءٍ أرضه وكانت الأرض قاهرة العين، متمِّمًا كائنها الآدمي وجود الكون كانت حقيقة حمديته مختصَّةً بزيادة ميم التمام عليها محمديته، فكان اسمه بذلك في الأرض محمدًا، مضاعفًا على صيغة التكثير والتَّكْرار بما كل أرضيٍّ تطرق إليه بحكم مخالفه في طبعٍ أو نقصٍ عن رتبة عقلٍ أو صرفٍ عن ذي مذمَّة أو نقصٍ، فهو يجد منه ما يسمَّى له به محمدًا بما يجده حميدًا عنده، أعلنت الألسنة الحكمية وأشارت الخطابات العقلية ونـــزلت المفصَّلات الشرعية بذمِّ الدنيا، فمدحها هو ﷺ فقال: «لا تسبُّوا الدنيا؛ فنعم مطيَّة المؤمن، عليها يبلغ الخير، وبها ينجو من الشرّ[1]»، فوجدته الدنيا مادحها، فكان عندها محمدًا، ووجده الكفار عاطفًا عليهم، فقال ﷺ: «اللَّهُمَّ اغفرْ لقومي؛ فإنَّهم لا يعلمون، اللَّهُمَّ اهدِ قومي؛ فإنَّهم لا يعلمون[2]»، ووجده المنافق عاطفًا عليه بالاستغفار

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٥/ ١٠)، وابن عدي في الكامل (١/ ٣٠٩)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٢/ ٤٧٨)، والذهبي في الميزان (١/ ٣٦٨).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣/ ١٢٨٢)، وفي الأدب المفرد (١/ ٢٦٦)، ومسلم (٣/ ١٤١٧)، وأحمد (١/ ٣٨٠)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٥)، والطبراني في الكـــبير (٦/ ١٦٢)، وابـــن حبـــان في الصحيح (٣/ ٢٥٤)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/ ٥٠)، والبيهقي في الشعب (٢/ ١٦٤).

فقال: «خيَّرني ربِّي فاخترتُ، ولو أنّي أعلمُ أنّه يغفرُ لهم إذا زدت على السبعين لزدت[١]»، فوجدته مختلفات الطباع (محمدًا) بما لم يعب ذواقًا منها، ووجدته مفترقات الأديان (محمدًا) بما عطف بعاطفة على كل فرقة منها، وقال: «سُنُّوا بالمجوس سنَّة أهل الكتاب[٢]»، وقال: «من ظلمَ ذمِّيًّا كنت خصمه يوم القيامة[٣]»، وورد أن النار حين يغلبها التغيظ بالاطِّلاع يوم القيامة على أهل انتقامها تكاد تتغلب من أيدي الزّامين لها من ملائكتها، حتى يأتيها هو ﷺ فيضع يده عليها، فتسكن وتنقاد عليهم كالبعير الذلول، فتجده محمدًا؛ فهو ﷺ محمدٌ الاسم في كلِّ ما تنكّرت ظاهريته واستذمّت، ولما كان إنما وقع ذلك التنكُّر والاستذمام في الظاهر الأرضي، فانفرد ﷺ هو بالعطف على ما استذمَّ منها، كان لذلك اسمه في الأرض محمدًا، ومنه اختصاصه بالتيمُّم بصعيد الأرض، كما اشترك الأنبياء بالتوضؤ بماء السماء، ولما كانت الأرضية الغائبة المقابلة للنهاية السماوية كان اسمه محمدًا منتهيًا إلى غيب الثرى، كما كان اسمه أحمد منتهيًا إلى غيب العلا.

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾ [المطففين:٧]، ويقال: سجين: الأرض السابعة، وهناك مجلس النار منها تساق إلى أرض المحشر الظاهرة من مسيرة خمسمائة عامٍ، كما ورد في الأخبار، وكما كان سمائية كلِّ شيءٍ باطنيته، وكان اسمه فيها (أحمد)، فظاهر كلِّ شيءٍ أرضيته فيكون اسمه فيها (محمد)، ولذلك كانت الصورة الآدمية بادئةٌ على صورة حروف اسمه، كما قال هو ﷺ: «أنا الذي خلق الله آدم وذريَّته على حروف هجاء اسمي محمد[٤]»، فالرأس والوجه بمنزلة الميم، واليدان إذا مددا بمنزلة الحاء، والبطن بمنزلة الميم، والرجلان بمنزلة الدال، فهو محمدٌ، ولا فخر، فاسمه في ظاهرية الأشياء عائدةٌ إلى الصورة الآدميَّة، مسخَّرةٌ لها، لاحقةٌ بها، مكملةٌ بمعادها؛ جزاءً منها، ورياشًا لها، فأحاط اسماه ﷺ (أحمد) و(محمد) لظهر في

(١) رواه البخاري (٤٥٩/١)، والترمذي (٢٧٩/٥)، والنسائي في الكبرى (٦٣٨/١)، وأحمد (١٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (٤٤/١)، والبزار في مسنده (٢٩٨/١)، وابن حبان في صحيحه (٤٤٩/٧)، والبيهقي في الكبرى (١٩٩/٨)، وعبد بن حميد في مسنده (٣٥/١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٣٧/١٩)، والديلمي في الفردوس (٣٠٨/٢)، وذكره ابن حجر في الإصابة (١١١/٦)، وفي فتح الباري (٢٦/٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٣/٦).

(٣) ذكره العجلوني في كشف الخفا (٣٤٢/٢).

(٤) حديث كشفي صحيح.

الوجود أدنى أرضيته وأعلى سمائيته، كما أحاط الاسمان من أسماء الله بالوجود غيب ثرًى وغيب علاً في اسمه العظيم (الله)، واسمه المحيط (الرحمن)، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ [الإسراء:١١٠]، فالرحمن ذو غيب العلا، والله ذو غيب الثرى، والله بكلِّ شيءٍ محيطٌ، وما أحاط بالغيبين وظهر في النهايتين فلن يُفقد فيما بين ذلك، فهو الله في السماوات وفي الأرض، وكذلك محمد ﷺ في السماء والأرض.

كما ورد أن الله أخذ له الميثاق، فشهرت نبوَّته في السماء قبل بعثه في الأرض، فهو نبيٌّ في كلية ما أحاط به الغيبان، ظاهرٌ باطنٌ فيما أحاط به الحدَّان، ساري العبدانية في كل ما ظهر ظاهره وبطن باطنه، فهو (محمدٌ) ﷺ في كلِّ ظاهرٍ، و(أحمد) كل باطنٍ، فكان هذان الاسمان مسمًّى سائر أسمائه بما جمعا من معنى الحمد الشائع في الكون كلِّه، وفيما له تعالى على الخلق والأمر، فكانت سائر أسمائه أسماءً لهذين الاسمين، كما كانت سائر أسماء الله أسماءً لاسمه (الله) و(الرحمن)، وكان حمده من حمد ربِّه، كما قال هو: «أنا الذي شقَّ الله اسمي من اسمه، فالله محمودٌ، وأنا محمدٌ ولا فخر[1]»،فهو محمد كلِّ بادٍ، وأحمد كل خفيٍّ، الظاهرات منه بما هو محمد، والباطنات منه بما هو أحمد، فكما تمتْ رسالته الأحمدية كمالا في مسرى البواطن كلها فكذلك تتم رسالته المحمدية في مجرى الظواهر كلها.

قالوا: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول، فحين بدا الأمر لله وحده بدت الرسالة المحمدية وحدها، واندرجت كل رسالة في رسالته كما اندرج كل ملك وحكم في ملك الله وحكمه يوم بدأ، وملكه الملكُ يومئذ الحق للرحمن، فبذلك اتصف ﷺ بما هو من معنى العظمة التي هي ملئ في جانب ما منه وصفه بالخلق العظيم قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وفيما هو به من فضل الله في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء:١١٣]، إلى سائر معنى العظمة المالئة، كما قال ﷺ: «ملأت عَظمة الله كلَّ شيءٍ[2]»، ومن اسمه (محمد) ينشأ كلُّ اسمٍ ناشئة كلِّ اسمٍ باطنٍ، سارٍ من محلِّ لطفٍ يصلُ بإحاطة رسالته من باطن كلِّ ظاهرٍ الذي من مسراها سبب شفاعية خصوصها وعمومها وبدؤها ونهايتها، والله الولي الحميد.

---

(١) رواه أبو القاسم الأصبهاني في دلائل النبوة (١/١٦٥).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٣٤)، وأبو الشيخ في العظمة (٤/١٤٣٦).

[اسمه ﷺ: الماحي]

المحو: ذهاب آثار الكتابة، والكتاب مبدأ رسم الفتور، والكنايات كلها في الصور، ومداد الصور رسم الكتاب، ورسم الكتاب مبدأ العدِّ، والعدُّ ناشئٌ في الحدِّ، والحدُّ حدُّ الإحاطة، وكلُّ حجاب ساترٍ وكتاب محضٍ فهو ﷺ بما أثبت أحمديته في الباطنات وأبدت محمديته في البادئات ماحٍ لكليَّة الثُّبت منح على مثل الرسم، كما قال ﷺ حين قيل له: «أين كان الله قبلُ أن يخلقَ السماوات والأرض؟ فقال: في عماءٍ ليس فوقه هواءٌ، وليس تحته هواءٌ، فمحى الرسوم ورفع الحدود[1]»، فكان بذلك ﷺ هو الماحي الذي محا ما لم يكن، وأبقى ما لم يزل، ولما كان محو صور الأشياء بمرادها إلى ما هي منه من الماء فكانت البحار ماحيةٌ لأدران الأشياء، مستهلكةٌ لأوصافها، مقدسة لمجتنباتها بما هي عائدة إليها، وكانت البحار ماحيةٌ لما دونها كان اسمه ﷺ في البحار الماحي، فهو الماحي لكل ماحٍ، الناظر للكون بعد كونه بمآربه، الناظر إليه قبل كونه حين هو في عماء، فهو الماحي الأكمل كما هو الأحمد الأتم، والمحمد الأحوط، وبهذا الاسم الذي هو الماحي هو منتهى العود الذي هو معنى الفتح المبين، الذي يرد من غاية الإبراء إلى غاية المعاد، إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد، فكما كان أول البدء الكتب كما قال ﷺ: «كان الله ولا شيء معه[2]»، وكتب في الذكر كل شيءٍ كان نهاية لمح محو ذلك الكتاب مطالعةً وتحققًا.

كان علي عليه السلام يقول: «اللَّهُمَّ إنْ كنتَ كتبتنِي في أمِّ الكتاب شقيًّا محرومًا فامحنِي واكتبنِي عندك سعيدًا مرزوقًا[3]»، كان ذلك المحو هو وصف هذا الرسول الجامع، وكان هو رسول المحو كما هو رسول الإبداء والثبت، فكما بدأ نوره أوَّل كلِّ شيءٍ

---

(١) رواه الترمذي (٥/٢٨٨)، وأحمد (٤/١١)، وابن ماجه (١/٦٤)، وعبد الله بن أحمد في السنة (١/٢٤٦)، والطبري في تاريخه (١/٣١)، وفي تفسيره (٢٣/٦٤)، والطبراني في الكبير (١٩/٢٠٧)، والديلمي في الفردوس (٣/٢٦٨).

(٢) رواه ابن حبان في الصحيح (١٤/٩)، وكما في الصحيح (٤/١٠٤)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٦/٢٨٩)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/١٧١)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٨/٤٢١).

(٣) رواه أبو نعيم في الحلية (٧/٥١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٦٨)، وذكره الذهبي في السير (٧/٢٦٦)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٥٧).

وبدأ كلُّ شيءٍ من نوره فكان فيه عبدًا ورسولاً كذلك كان في محو كتاب كليَّة ذلك الإبداء كله رسوله ماحيًا، فثبت به ما ثبت، وأمحى به ما هو ممحٍ:

ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلُ

والتي هي أصدق كلمة قالها الشاعر، فهو ﷺ رسول المحو الآتي على كلِّ مكتوب يقينًا، كما هو رسول الإثبات الآخذ بكلِّ علمٍ ثبتًا وعلمًا ما لم تكن تعلم، قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[طه:١١٤]، فهو رسول الثبت في الثبت، ورسول المحو في المحو، فهو الماحي لكليَّة الكفر من بداية كفر الأديان إلى نهاية كفر العيان، المضمون في قوله ﷺ: «ونترك من يكفرك[1]»، فكان بهذا الجمع للثبت الحمديِّ والإذهاب المحمدي كما له ﷺ المنتهى إلى غاية ليس وراءها نهايةٌ، ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:٤٢]، فكان في محوه هلاك كلِّ هالك، وفناء كلِّ فان، فكان في جمعه لذلك جلاء بقاء وجه ربِّه ذي الجلال والإكرام، وتبارك اسم ربِّه كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسم رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

* * *

[اسمه ﷺ: الحاشر]

الحشر: الجمع بكره، ولما كان ﷺ منتهى الإبداء مبعوثًا عند نفس الساعة فكان ظهوره آيةً من آياتها، وعلامةً حاقَّةً من علاماتها، كان هو السابق جميع الخلق إلى الله تعالى إعادةً وحشرًا فيأتيانه، أتى أمر الله تعالى كما قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[النحل:١]، وكان رده الخلق، فتوجيهه عن المبعث والمهاجر حشرًا، فكان من أول حشره لأهل الكتاب إخراجه لهم من حصونهم وبلادهم من مهاجرةٍ إلى حيث أذاقهم الله من شدة المحشر ما شاء في دار الدنيا إلى ما اتصل لهم بذلك في برزخهم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِلأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾ [الحشر:٢].

---

(١) رواه أبو داود في المراسيل (١/١١٨)، وابن حبان في الثقات (٢/١٦١)، والبيهقي في الكبرى (٢/٢١٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/١١٧)، ومالك في المدونة الكبرى (١/١٠٣).

ومن معنى اسمه الحاشر تنبيه أمته ﷺ عند اضطراب الأمور في آخر الزمان على الإتيان إلى أرض المحشر من أرض الشام حين استفتوه، فقالوا: «بِمَ تأمرنا يا رسول الله؟ قال: ها هنا، وأشار بيده نحو الشام(1)».

ومن معنى اسمه الحاشر ما نبَّه عليه من السوابق إلى أرض المحشر، كقوله ﷺ: «إن نارًا تخرج من قِبَل المشرق، تحشر الناس إلى المحشر(2)»، ويشكُّ والله أعلم أن هذه النار نار الحرب، أخرجها بالمعنى كما قال: «الآن حمي الوطيس(3)»، فهي والله أعلم نار حرب كفرة الترك، التي ألجأت المسلمين إلى أرض الشام من أقصى المشارق، حتى أجازهم الفرات، وكالنَّار التي ذكر أنها تخرج من قعرة عدن تسوق الناس إلى المحشر، وكان من حشره جلاءه من ابتدَّ من الملوك من الأقاصرة والأكاسرة عن بلادهم وممالكهم، بما أصاب منهم فتحًا، وبما تناوله أمته غنمًا، ولا تزال حقيقة حشرتيه قائمةً حتى يبتزَّ جميع الملك والأديان والملوك فتعود إلى ملته، فهو الحاشر في الدنيا لأوَّل الحشر في يومه من أوله إلى انتهائه، ثم هو الحاشر لهم، يحشرون على أثره، وإليه يلجأون في محشرهم؛ فهو ﷺ يحشرهم إلى موقف الحساب حتى يفصل بينهم ويرى سبيلهم، ومن معنى حشره وجمعه نواشئ اسمٍ من أسمائه مما ينبئ عن معنى سوقه للخلق ورعيه لهم، على حسب ما هم عليه من غتوٍّ يحوطهم بعصاه، أو آباءٍ وترد يحصدهم بسيفه، أو نفارٍ وفرارٍ يرميهم بقوسه، فله من معنى اسمه الحاشر ما يشير إلى معناه من الأسماء المنبئة عن أوصافٍ تفاصيل معنى ما سُمِّي به الحاشر، بما هو رادُّ الخلق إلى خالقهم طوعًا وكرهًا، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠].

* * *

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٥)، وفي الفضائل (٨٩٩/٢)، والحاكم في المستدرك (٦٠٨/٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٨٨/٧)، والروياني في مسنده (١١٠/٢).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (١٦٣/٥)، وأحمد في المسند (٢٧١/٣)، والديلمي في الفردوس (٣٢٧/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٥٥/٧)، وابن حبان كما في الموارد (٥٥٧/١).

(٣) رواه أحمد في فضائل الصحابة (٩٢٨/٢)، والطبري في تاريخه (١٦٨/٢)، والطبراني في الكبير (٢٩٨/٧)، والبزار في مسنده (١٢٩/٤)، وأبو يعلى في مسنده (٢٨٩/٦)، وابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٥٧/١)، وابن سعد في الطبقات (١٢٩/٢)، وأبو عوانة في مسنده (٢٧٩/٤)، وذكره الحسيني في البيان والتعريف (٣٢٤/١)، والمناوي في فيض القدير (١٦٦/٣).

[اسمه ﷺ: القاسم]

(**القاسم**): تمييز الحظوظ بعضها من بعض؛ لتتعيَّن لمستحقيها، وما كان تمام حظوظ الخلق التي هي لهم لا عليهم إنما يكون في الجنة؛ لأن ما في الدنيا ليس له حظٌّ، وإنما هو ابتلاءٌ، كان اسمه ﷺ في الجنة (القاسم)، الذي يقسم لأهل الدرجات درجاتهم بحسب وصلتهم به لأهل المنازل منازلهم، ولأهل عليين علياتهم، ولأهل الغرف غرفهم، قال ﷺ: «إنما أنا قاسمٌ ويعطي الله[1]»، وذلك بما أبان عن الأعمال بأعماله، وعن الأحوال بأحواله، وعن المعارف بمعارفه، وعن اليقين بيقينه، فبما اختصَّت كلُّ طائفة بحظٍّ منه في الدنيا اختصَّت بحظٍّ من نحوه في العقبى، فقسَّم الأمر في الدنيا أعمالا وأحوالاً وحقائق وعرفانًا، فانقسمت حظوظ الآخرة بحسبها نعيمًا ومزيدًا، فبقسمه انتهى تمييز الحظوظ بما أوتي من الفرقان وجمع له من القرآن، فكان الجامع بالقرآن القاسم بالفرقان.

***

[اسمه ﷺ: العاقب]

العقب: بالتخفيف الذي منه التعقيب، المضاعف: هو الإتيان على عقب الشيء، والعقب: آخر القدم، فالعاقب آتٍ عقب كلِّ شيء، بتعقبه بما يظهر خبره ويستو في حسابه، فما بقي من المتعقب عليه وفَّاه، فالمعقب يحفظ الوافي ويستوفي الباقي، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١]، ولأن إنفاذ الأحكام آتية عقيب الأعمال وكان موقع الأحكام في التعقبات حدودًا وكانت الحدود نارًا مطهِّرةً عاجلها في الدنيا وانتهاؤها في البرزخ ومتمِّمها في المحشر إلى منتهى الجزاء كان اسمه ﷺ في النار العاقب، فهو آت عقب ما استوفيته النار، فيكون لمحه أكمل تخليصًا وأتمَّ وفاءً، فيعقبها بالشفاعة فيما أبقى تعقبها، فإذا جاء العاقب بحرمة شفاعته خمدت وسكنت، كما ورد أن قومًا من حملة القرآن يدخلون النار فينسيهم ذكر محمد ﷺ حتى يذكرهم به بإراءتهم جبريل عليه السلام، فيذكرونه، فتخمد عنهم النار وتنزوي عنهم، فتتلافاهم شفاعته عقب ما أصابهم، فهو معقِّب المعقبات، وعاقب كلِّ آتٍ، في عقبٍ بما هو آخر في الآواخر، كما هو في

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٣٩/١)، وفي التاريخ الكبير (١٠/٧)، والطبراني في الكبير (٣٩٠/١٩)، وأبو يعلى في مسنده (٣٨/١)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٢٠٨/٦).

الابتداءات أوَّل في الأوائل، ومما هو عقبه نبوة كلِّ نبيٍّ؛ لظهور نبوته عقب كلِّ نبوَّة، فكان بذلك العاقب الذي لا يكون بعده نبيٌّ، فهو عاقبٌ في كل تتبُّعٍ واستقراءٍ يوفيه أمره، ويعقب بشرعته وشفاعته وجوده.

***

[اسمه ﷺ: الأول]

لفظ الأوَّل: مضارعٌ على صيغة فوعل بمنزلة كوثر، فهو منتهى مآل مائلٍ يؤل إليه الشيء الذي ذلك الأوَّل أوَّله، فلكل شيءٍ مآلٌ ينتهي إليه في بدئه، هو أوله بما هو بادئه منه، يترتب عليه تنبيه الذي هو ثاني، فيترتب عليهما وتره إلى ما عساه أن ينتهي إعداد وجوده وأوله الذي هو أوَّل بدء وجوده، هو غاية له أيضًا في حقيقة مائله، ولما تفاوتت الأشياء في رتب حكمة الله تعالى تفاوتت أوَّليَّاتها، فكان أول الأوليات فيما يجرى عليه اسمٌ للعبد هو محمدٌ ﷺ؛ من حيث ما هو أوَّل نور أبداه الله ﷻ وخلقه من وضح نوره العليِّ، كما ورد عنه ﷺ لما سأله عليٌّ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله مم خُلقت؟ فسكت ساعة حتى أنفض عرقًا، ثم قال ﷺ: «إن الله نظر إلى وضح نوره فخلق منه نورًا، فجزّأه ثلاثة أجزاء، فخلقني من الجزء الأول[1]»، فهو ﷺ بدا في النور الأول، فمنه الأوَّليَّات كلُّها، والى نوره ترجع البادئات كلُّها، فهو الأوَّل مطلقًا، وكما قال ﷺ: «خلقني من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، وخلق المؤمنين من نور عمر[2]»، فله في كلِّ أوليَّة أوليَّةٌ من أول الإبداء وأولويات الإعادة والإرجاع، فلذلك هو الأول في الذكر، وهو الأوَّل في النبوة، الذي نبوَّته نبوَّةٌ للنبيين، الذين نبوَّتهم نبوَّةٌ لسائر الأمم، وإلى ذلك الذكر الأوَّل يرجع ما آل ذكره المضمون في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، فهو الأوَّل في الذكر وفي النبوَّة، وكما أنه أوَّل في البدء فهو أوَّل في العود، فهو أوَّل من تنشقُّ عنه الأرض، وهو أوَّل من يدخل الجنة، ومن كانت له الأولية من أمته بما شملهم أولية الحمد الذين يدخلون الجنة معه قبل الأنبياء والمرسلين بأربعين عامًا، كما ورد عنه ﷺ، وكذلك هو أوَّل شافعٍ وأوَّل مشفَّعٍ، كما كان في أوليات البدء في عالم الدرّ أوَّل مجيبٍ؛ فهو ﷺ

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١/١٧١)، وذكره الذهبي في الميزان (١/٣١٤)، وابن حجر في لسان الميزان (١/٣٢٨).

الذي بادر بالجواب، إذ أخذ ربه الميثاق على الذرية الآدمية فأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف:١٧٢]؟! قال ﷺ: «فبادرتُ بالجواب، فقلت: بلى، أنت ربُّنا[١]»، فله في كلِّ أوليَّة في العبودية أوَّل في بدئه ذلك وعوده؛ فهو الأول مطلقًا في ذلك كله، وإلى هذه الأوَّليَّة التي سُمِّي بها ترجع الأوليات كلها، وأوَّليَّته العليَّة هي الآية الكبرى للآية الربانيَّة العليَّة، الذي أولية عبده من أوليته، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾ [النجم:٤٢].

***

[اسمه ﷺ: الآخر]

لفظ آخر: مضارع على صيغة فاعلٍ، يقال في معناه الأول بحسبه، ويقابل كل أولية آخر يخصُّها، فكما هو الأول في العبودية مطلقًا فهو الآخر لها مطلقًا، وكما هو الأول في كلِّ أوليةٍ فهو آخر في كل آخريَّة، والآخر مآل الأمر في العود، فأول الآخر مبدأ العود، ولما كان الإبداء كله ذات حجاب ولسان بُعد كان مبدأ المرجع الخلق الآدمي الذي كماله الظهور المحمديُّ، فكانت أُول الآخريةً الجليَّة آخريته، لذلك ما بعث مع نفس الساعة، و لم يكن بينه وبينها نبيٌّ، فكان لذلك ﷺ في بعث النبوة الظاهر في الأرض الآخر، وكانت أمته آخر الأمم عِيانًا، كما كانت معه أول الأمم نورًا، قال ﷺ: «نحن الآخرون الأوَّلون، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم[٢]»، وقال ﷺ: «أنتم موفون سبعين، أنتم خيرها وأكرمُها على الله[٣]»، فهو ﷺ تصنيف رتبهم سوابق الأمم على رتبهم، فهو سابق الأنبياء، وصدِّيقه سابق الصديقين، ومؤمنه سابق المؤمنين، ورحيمه وخليفته عثمان ﷺ سابق الرحماء بما رحم الأمة أن تفترق، فمنعها أن تفترق في نصرته، وقال لهم: أن تقتلوني، فلن تُضلوا جماعة بعدها، فكان كذلك من حيث لم تكن الأمة راجعةً إلى إذن إمامٍ واحد بعد قتله، وكما كانت السبقيَّة في أمر دينه وسرعته الظاهرة كان السبقية لإمامٍ أمته وليها القائم لسرِّ الله في خلقه، فكان إمام أمته سابق الأئمة، ووليّ الأولياء على مولى من كان رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٥٣).

(٢) رواه مسلم (٢/٥٨٥)، والنسائي في الكبرى (١/٥٢٤)، وأحمد (٢/٢٧٤)، وأبو نعيم في الحلية (٥/٣٨٨)، والديلمي في الفردوس (٤/٢٨٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٣٠٤).

(٣) رواه عبد بن حميد في مسنده (١/١٥٦).

مولاه، والنبيُّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وكذلك فقيه أمته سابق الفقهاء، وأمينه سابق الأمناء، وفقيرها سابق الفقراء، كذلك رتب الثمانين صفًّا الذين تُصفُّ على عددها أمته يوم القيامة، كل صنف من أمته سابقٌ من يماثلهم من سائر الأمم، قال ﷺ: «صهيبُ سابق الروم، وبلالٌ سابق الحبشة، وسلمان سابق الفرس[1]»، فله ولأمته الآخريَّة في النهايات بما له في الأوليَّات، فهو الآخر مطلقًا في العبودية الأول مطلقًا فيها.

* * *

[اسمه ﷺ: الظاهر]

الظهور: الغلبة البادية للحسِّ والعيان في كمال وجود الذوات إلى أنهى ما يبلغ أطوارها في التطورات وتجلِّيها في التنزُّلات، ولما كان أغلب الكون على الكون الخلق الآدمي كان الأظهر عليه حتى سخَّر له ما في السماوات وما في الأرض، وأسجدت له الملائكة كلهم أجمعين إلا من كان من الجن ففسق عن أمر ربه، فكان لذلك الظهور للآدمية الجامعة لتفاصيل الكون علوًّا وسفلاً ولحقائقه، وكان الظهور في الظهور الآدمي للكمال المحمديِّ، فكان ﷺ هو ظاهر هذا الظهور العبدانيِّ، الذي ظهر على الظاهرات ظهوره، وظهر على الأديان دينه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف:١٤]، ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ*بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ*وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الروم:٤،٥،٦]، وكذلك ظهور فضله وفضل أمته على ذوي الفضل على ترتيب ما ذكر، وشرفه وشرف أمته على شرف الأشرفين، فختم بملك أمته الملك، قال الله تعالى في آثاره عنه: «مولده مكة، ومهاجره المدينة، وملكه بالشام»، فكان شرف ملك أمته آتيًا على كل شرف، فأتى على شرف الأقاصرة والأكاسرة، وسيأتي بحول الله على شرف كلِّ متطاولٍ لشرف حتى يقهر إمامه وأمته، وحكمه الدجال ويأجوج ومأجوج حتى تفتح الحرب أوزارها، فكان الظاهر في الشرف والفضل والدين، وكذلك هو ﷺ الظاهر، فما علن في وجوده المنبئ عنه حقيقة اسمه محمد من حيث كان اسمه به في

(١) رواه ابن سعد في الطبقات (٢٢٦/٣)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (٧٢٩/٢)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (١٩/٢)، وابن هشام في السيرة النبوية (٩٦/٢).

الأرض التي هي أظهر البادئات وأظهر الملك والملكوت، فكان هو الذي علن بصورة الحمد وسورته واسمه، فكان الظاهر في الحمد على كل ذي حمد، أو أخذ بحظٍّ منه، وكان الحمَّادون من أمته هم الظاهرون على أمته وعلى جميع الأمم.

قال ﷺ: «لا تزال أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله[1]»، فكان له الظهور بالحمد عينًا واسمًا؛ فهو الظاهر في وجوه الظهور كلِّها، الذي لا أظهر في كمال العبدانيَّة منه، فظاهريته من الظاهريَّة العليَّة الإلهيَّة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح: ١٠]، فكان ظهوره من اسمه تعالى الظاهر، ظهورًا لا خفاء بعده، يدوم بدوام ظهور ربِّه، وهو تعالى الظاهر الذي ليس فوقه شيءٌ.

***

[اسمه ﷺ: الباطن]

البطن: لطف وخفاء في مقابلة الظهر الذي هو قوة وبدوٌّ، كما هو في خلق ابن آدم الذي حصل ظهره عظيمًا هو عماد قوته، وبطنه حشوه هي ألطف جسمانيته، ولما كان ظاهر الكون موجود الدنيا من السماء والأرض كان باطن الكون موجود الملكوت الذي هو العرش والكرسيُّ، وكان أبطن الباطن العرش، الذي هو سماء الكرسي، كان من بطونه ﷺ خفاء نبئه، وذكره باسمه الذي انتهى إليه به ظهوره في الأرض، فكان اسمه مع اسم ربِّه في ساق العرش: لا اله إلا الله محمدٌ رسول الله، قال ﷺ: «إن الله خلق العرش فاضطرب، فلم يسكن اضطرابه حتى كتب اسمي مع اسمه في ساق العرش: لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله، فسكن اضطرابه، وذلك قبل أن يخلق الخلق بسبعين ألف عام، ولا فخر[2]».

وكان ﷺ الباطن لوجوده في أبطن باطن الكون الملكوتيِّ، وكما هو الباطن في باطنٍ من الأعيان الملكوتيَّة فهو ﷺ أبطن باطنٍ من وراء ذلك فيما وراءِ الأعيان من

(١) رواه البخاري في الصحيح (١٣٣١/٣)، وفي الكنى (٧٨/١)، ومسلم (١٥٢٣/٣)، والترمذي (٥٠٤/٤)، وأحمد (١٠٤/٤)، والطبراني في الكبير (٤٠٢/٢٠)، والقضاعي في الشهاب (٧٦/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٧٣/٨).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٢٠٠/٢٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٩)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (٣٣٦/١) بنحوه.

البواطن إلى باطنية السرِّ، الذي هو خُبِّئ في السماء والأرض وفيما وراء ذلك، فهو باطنٌ ليس دونه في الباطن العبدانيِّ باطنٌ، وباطنه من الباطنيَّة الربانيَّة الإلهيَّة، كما ظاهريَّته من ظاهريَّة ربِّه، فباطنيته من باطنيَّة ربِّه، وأوَّليَّته من أوَّليَّة ربِّه، وآخريَّته من آخريَّة ربِّه، فهو في العبدانيَّة أول مبدأٌ للأسماء الحسنى الجامعة لتجلِّي الرَّبَّانيَّة، ظهورًا لظهور، وبطونًا لبطون، وأوَّليَّةً لأوَّليَّة، وآخريَّةً لآخريَّة، جمعًا بشمله مضمون قوله تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠].

وقال ﷺ: «العبد من طينة سيده[(١)]»، فما هو من الأسماء في التجليَّات الربانيَّة نباءٌ، فهو وجوده عيانٌ، قال تعالى: ﴿**وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾ [آل عمران: ١٠١].

* * *

[اسمه ﷺ: المقفَّى]

التقفية: الإتيان عند قفي آت متقدِّم من ظاهر أمد وعلوٍّ في مقابلة التعقيب الآتي، عقب آت متقدِّم في دنوٍّ أمر، ولماً كان العقب أدنى القامة وكانت النار أدنى الدانيات كان اسمه ﷺ في النار العاقب، جاء عقب ما دنا، كمن وجود وأمر في ذات الخلق والأمر، جاء مقفيًا ما علا، فهو يعقب الآثار والأعقاب بما يقيمها، ويقفي الأمور العُلا بما ينـــزلها، فيُعلي ما دنا تعقيبًا، ويُنـــزل ما علا تقفيةً؛ ليقع سواءً ما بين القفا والعقب في ختم أمره، فيعقبه من مد غيب الثرى، ويعقبه من مد غيب العلا، وهما أتمُّ اسمين من أسمائه في الإشارة إلى سرِّ ختمه وسواء أمره، فق في الله بالرسل تنـــزيلاً لأمره العليِّ، وكان أحلا تقفية تقفيته بعيسى ابن مريم، الذي هو روحه وكلمته، كما قال تعالى: ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**﴾[الحديد: ٢٧]، ففصل بين التقفيتين؛ لتفاوتهما في العلوِّ، فكانت تقفية محمد ﷺ من وراء تقفية الروح والكلمة، كما قال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ**﴾ [الجاثـــية: ١٨]، وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ**

---

(١) رواه الخطيب في تاريخه (١٨/٤)، وذكره الذهبي في الميزان (٢٠٩/١)، وابن حجر في لسان الميزان (١٣٠/١) بنحوه.

مُسْتَقِيمٍ*صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ ﴾ [الشورى:٥٢،٥٣]، فكانت تقفيته وتعقيبه من سرِّ ذلك المصير إلى الله الذي قام به ختم الأمر وإخراج الخبء، حتى جمعت شريعته حكم الطهارة تقفيةً، كسائر الأنبياء وحكم التتمُّم تعقيبًا خصوصًا به ﷺ، وكلُّ معنًى فيه علوٌّ في معنى أسمائه فهو من تقفيته، ومن تقفيته نباء ما أظهره الله عليه في إسرائه من ذكره ما انفهقت به العلا من سدرة المنتهى وجنة المأوى وشجرة طُوبى، قال تعالى: ﴿**إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى**﴾ [النجم:١٦]، وذكر الحجب: الدُّنا، كلُّ ذلك مما ق في به مورد ما تقدَّم من الكتب المنـــزلة من دون ما أبداه تقفيته علوًّا على كلِّ ذلك وإحاطةً به.

* * *

[اسمه ﷺ: الملاحمي]

اعلم أن الله ﷻ لما أبدى خلقه وأمره بين نهايتين: نهاية علوٌّ فيما تعرف به وطرف دنوٌّ ممن تعرف إليه من خلقه جعل بين ذلك العلوِّ العلا وبين ذلك الدنوِّ وصلةً منه وإيحاءً من لدنه، فكان خافية وصلته تنـــزيلاً إلى الطرف الأدنى المالكة الروحية التي نـــزَّلها إلى الروح القدسيِّ والروح الأمين والملائكة والمرسلين، ونـــزَّلهم بما نـــزل إليهم، وكان ظاهر وصلته الرسالة البشريَّة الآدميَّة بما نـــزل به ملائكته المرسلين والروح الأمين وروح القدس إلى ما وراء ذلك من اصطفاء التكليم إلى تفضُّل الرؤية، فكان موقع الاختصاص في الرسول لبشرى فيما بينه وبين ربِّه نبوَّةً، وبلاغ المرسل من ذلك الاختصاص حظًّا عامًّا لمن دون النبيِّ في ذات اختصاصه رسالةً، ولما جبل الخلق عليه من إباء عن قبول ما ينـــزل عليهم ساق النبوَّة والرسالة تسلط من المرسل عليهم على المرسلين في ابتداء أو إلى انتهاء، وإقامة قسطاس، وإظهار سلطان، وموافاة نقمات على الآبين؛ نجاةً للمرسلين، قال تعالى: ﴿**فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كانوا قَوْمًا عَمِينَ**﴾ [الأعراف:٦٤]، وكانت النقمات آتية من سطوات أمر الله من الآفاق، من المياة والرياح، والخسف، والنار، والصعق، مما هو خارجٌ عن المدافعة المتقاربة التكافؤ، فلما أُرسل ﷺ رحمةً للعالمين وجعل أمته أمةً باقيةً إلى يوم الدين استصرف ﷺ جميع النقمات؛ إبقاءً على أمته وعلى عامة المدعوين إلى ملَّته، فجعلت له الملاحم وهي جمع الملحة، والملحمة: اختلاط اللُّحوم في مجازر مواطن

الحرب، حتى سمَّى حواريه الجازر[١] دونه، أعداه بسيفه الجزَّاز[٢]، فله ﷺ بكل نقمة لحقت أمته رسول على إبائها ملحمة تناظرها في يومه إلى أن تضع الحرب أوزارها، فهو بذلك رسول الملاحم الذي جُعلت له الملاحم عوضًا من النقمات، حتى قال ﷺ: «حرابُ المغربِ بالسيف[٣]»، حيث قال: «لا يزال أهل الغرب أو أهل المغرب ظاهرين على الحقِّ[٤]»، فكان الأظهر على الحقِّ أولى بنقمة الملحمة، فهو بذلك نبيُّ الملحمة المختلفة جهات الاعتبار بحسب إمتاع مواقعها وأوقاتها، وكان في طيٍّ ما هو الرسول الملاحمي مسرًى لما هو رسول، رحمةً لجميع العالمين؛ لأن أخذ الملاحم عن مدافعة ومقاواة بخلاف ذل أخذ النقمات الآفاقية ونحوها؛ فكان في كونه رسول الملاحم تدارك رحمة ترفع خزي الدنيا عن الآبين ممن دعاهم؛ ليظهر الإيثار في كفار من دعاه على سائر كفَّار الأمم، كما ظهرت المزيَّة في مؤمني أمته على مؤمني سائر الأمم، كما ظهرت مزيته في نبوته على سائر نبوات الأنبياء، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ [التحريم:٨]، فنال العالمين من رحمته ما الخزي عن المؤاخذين بسيفه من أمته، فأخذوا مدافعة لإصر طوامّ واقعة لَمَّا أنــزل عليه ﷺ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال ﷺ: «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم، أعوذ بوجهك، فلما أنزل: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥] قال ﷺ: أعوذ بوجهك، فلما أنزلت: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال ﷺ: هذه أهون[٥]»، وذلك بما هو رسول الملاحم، فردَّ النقمات القاصمة، واستهون الملاحم المتدافقة، فكان رسول الملاحم بما بين الفئة الكافرة والفئة المؤمنة، وكان في طيٍّ ذلك ما وقع في أمته بإذاقة بعضها بأس بعض على تفاوتها من ملاحمٍ يقع منها عليها بين فئتين: باغيةٍ ومحقَّة، ومما يتطرق إليها من غيرها، وذلك بما ينتصف تعالى لنفسه على أيدي أوليائه، وينتصف

(١) الجازر: هو الذي يجزئ لحم الجزور.

(٢) الجزاز: يقال زمن الجزاز: أي زمن الحصاد وصرام النخل، والْمِجَزُّ: ما يجز به، وأجز البر والنخل والغنم: أي حان له أن يُجز ويقطع ثمره.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية (٩٦/٣)، وأبو عوانة في مسنده (٥٠٨/٤، ٥٠٩).

(٥) رواه أحمد (٣٠٩/٣)، والطبري في تفسيره (٢٢٤/٧)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٧٤/١)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٩٩/١٩)، وابن كثير في تفسيره (١٤٠/٢).

لأوليائه على أيدي أعدائه، ولذلك هو رسول الملاحم على ترتيبها وتصنيفها في ترتيبها، واختلاف جهاتها، حتى يندرج في باطن ذلك ما يقع للأمة من ملحمة الألسنة، قال ﷺ: «لَعْنُ المؤمن كقتله[1]»، ولا يزال ذلك ملاحم سنان تنال لحوم الأبدان، وملاحم لسان تنال لحوم الأعراض، إلى أن تضع الحرب أوزارها.

***

[اسمه ﷺ: نبيُّ الملاحم]

لما كانت النبوة أمرًا خاصًّا وخفيًّا والرسالة أمرًا عامًّا ظاهرًا كان مجرى الملاحم في رسالته مما يستجدُّ ظواهر الأفعال والمدافعات بالأقوال من الملاحم، وكان مجرى الملاحم في نبوته ما تستجدُّه الضمائر والأحقاد والأحساد وسائر الأوصاف الخفيَّة من العقوبات، التي كانت مثلاً تستجدُّ عقوباتٍ باطنةً من نحو الغمِّ والضيق الذي قد أُخذت به أممٌ، فكان خلف ذلك في نبوته ملاحم تكون أهون وقع الآخذات على بواطن المأخوذين، بما يكون أشدَّ من أمر الملاحم، أغرق الله سبحانه فرعون فأذلّه بما ملأ فاه من حال البحر، وشهر جثته بما جعلها على نجوة من الأرض باديةً؛ ليكون لمن خلفه آيةً، وفرعون للنبيِّ ﷺ أبو جهل بن هشامٍ أخذه الله مواقعة في بطشة بدر مقابلةً، وستره النبي ﷺ ومن معهُ من المشركين في قليب بدر.

وكان من بواقي الحظوظ في أمته مما أصاب الأولين ما استطعمه هو من ارتقاء الهذلي على صدره، حيث قال: «لقد ارتقيت مرتقًى صعبًا يا رويعي الغنم[2]»، فهو نبيُّ الملاحم.

وذكر لفظ الملاحم مع معنى النبوَّة مجموعًا غير منسوب؛ لاختصاص النبوَّة بمعنًى باطنٍ تصير الرسالة ظاهرةً وثانيًا عنه، فجاء معه على حدة، وكان الظاهر منسوبًا إليه ثانيًا عنه، حيث وقع بالنسبة في اسمه الرسول الملاحمي؛ لينسب الأعمُّ إلى الأخصِّ، فهذا الاسم متقدِّمًا في الرتبة من حيث الخصوص على الاسم الرسوليِّ، والرسول متقدِّمٌ

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/٢٦٨)، وأحمد (٤/٣٣)، والدارقطني في العلل (٦/١٩٦)، وابن أبي حاتم في العلل (٢/٢٥١)، والديلمي في الفردوس (٣/٤٦٨)، والطبراني في الكبير (٢/٧٥)، والخلال في السنة (٣/٥٢١)، والبزار في مسنده (٩/١٧)، والدارمي في سننه (٢/٢٥٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٧٣).

(٢) رواه الطبري في تاريخه (٢/٣٧)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٧/٢٩٥)، وابن هشام في السيرة النبوية (٣/١٨٤).

بالظهور على النبويِّ، كما هو حكم كل أظهرٍ لتقدُّمه في العلم، وكل أبطنٍ لتقدُّمه في الرتبة.

* * *

[اسمه ﷺ: نبي الملحمة]

لما كانت النبوة أمرًا خاصًّا باطنًا وكان الباطن أجمع الأوصاف في معنى منفرد كان اسم إفراد الملحمة الجامعة للحقيقة الواحدة التي منها تنشق جميع الملاحم مناطًا باسم النبوة فكان الاسم نبي الملحمة؛ لأن الباطن بمنـــزلة الأسماء الذي تجتمع الظاهر، فكان أولى بالإفراد من معنى الرسالة ومعنى الملحمة، يجمع كلية الملاحم ودوامها إلى الانتهاء إلى الملحمة التي تكون في أواخر اليوم المحمدي، التي تقع بين الأحمدية والعيسوية المغيرة بعد اجتماعٍ يقع بينهم؛ لمقاتلة عدوٌّ لهم من ورائهم، كأنه يعادى حملة أهل الكتاب، فيقع بينهم في منقلبهم استجارٌ يكون سبب إكرام الله لأهل هذا الجيش بالشهادة، فليلحق هذه الأمة بالملحمة نوعٌ من الاستئصال، الذي كان لمن قبلهم إلا ما أفلتته النجاة ممن لم يشهد ذلك المشهد، وفي طيٍّ حكومته مكافأةٌ بين النصر والظفر، ومعادلة بين الدماء من قسط الله الذي رفعه كفاء خفضه، وخفضه عدل رفعه، ثم تكون العاقبة للمتَّقين، ويستجدُّ ذلك الفتح الأعظم فتح القسطنطينية، التي هي باقي قواعد الروم، كما ورد: أن الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية يكون في ستة أشهر أو سبعة، فهو ﷺ نبيُّ الملحمة الجامعة من أوَّل ملحمةٍ بدت إلى الملحمة الكبرى، الذي بها ينتهي الأمر إلى أن تضع الحرب أوزارها.

* * *

[اسمه ﷺ: نبيُّ التوبة]

لما كانت النبوَّة قوامًا في ذات النبيِّ وفيما بينه وبين ربِّـــه اختصاصًـــا جـــرت في الأمور الباطنة والأمور المتسعة أكثر من الرسالة، وجرت الرسالة فيما هو من نسبه مـــا بين النبيِّ والأمة التي أُرسل إليها، فكانت أخصَّ في أمر النبيِّ، وأعـــمَّ في أمـــر الأمـــة، وأظهر في معانيه، فكأن الرسالة أولى بما هو تبليغٌ إليهم، وكانت النبوَّة أولى بما هو مردٌّ لهم إلى ما هو فيه النبيُّ ﷺ من مرجعه إلى ربِّه، واختصاصه بما خُصَّ به، فكانت التوبة أعلق بأن تكون من أمر النبوَّة، فلم يكن للاسم رسول التوبة، وكان للاسم نبيُّ التوبة، والتوبة مرجع العبد إلى الله تعالى من حد بعده في أسفل سافلين إلى أعلى عليين، ممـــا

يبدو عليه ظاهرًا من فعله وقوله وحاله، فبنبوته ﷺ عاد الخلق إلى ربهم فيما اختلفت فيه أعمالهم ومختلفات أحوالهم؛ لأن كلَّ مزدوجين من أحوال الخلق وأعمالهم وأقوالهم صنفٌ منهم للحوبة وصنفٌ منهم للتوبة، فما منه مبعدٌ فهو للحوبة، وما منه مقرَّبٌ فهو للتوبة، فهو ﷺ نبيُّ إرجاع الخلق عامِّهم وخاصِّهم إلى ربهم من حدِّ البعد إلى حدِّ القرب، ومن حدِّ القرب إلى غاية الوصول، ولما كان من إحاطة الرحمة التي أُرسل بها أن ييسِّر الأمر على أمته بما رفع عنهم من نقمات الأمم الماضين، إلى أن صار أمرهم إلى عقوبة الملاحم ومجموعها، فكان نبيُّ الملحمة نبيَّ التوبة، وكانت التوبة لهم لطفًا أن ينالهم الملحمة، قال تعالى: ﴿**إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾ [المائدة:٣٤]، فكانت التوبة لهم عوضًا من الملحمة التي في مضمون قوله: ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ**﴾ [المائدة:٣٣]، هذه ملحمةٌ كانت تحلُّ بهم عقوبةً لمحاربتهم، فرفق بهم في قبول توبتهم، ولم تكن محاربتهم حاقَّةً عليهم بالملحمة؛ لتخلصهم منها بالتوبة، فكان نبيَّ التوبة التي أغنى موقعها عن الملحمة، التي أغنى موقعها عن النقمة، فرفق بهم، ثم لطف بهم، وعمَّ ذلك جميع كافرهم ومؤمنهم، ﴿**وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً*يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ*وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً إِلاَّ مَنْ تَابَ**﴾ [الفرقان:٦٨، ٦٩، ٧٠]، وعامَّة ما تقدَّم من الأمم كانت الحواق تلزمهم بالنقمات على أفعالهم، وإنما تكون توبتهم فيها كما قال تعالى: ﴿**فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ**﴾ [البقرة:٥٤].

وذكر له بعض القوم حال بني إسرائيل فيما كان يصبح مكتوبًا على أبوابهم حين يفارقون الذنوب من كفارات أصارٍ كانوا يلزمون بها من قطع الأعضاء وغيرها، عوضهم الله بذلك آية التوبة، فجعلَ التوبة عوضًا لهم من تلك الكفارات الإصريَّة، ومن جمع النقمات، فبذلك اختص به أن يكون نبيَّ التوبة، وكلمة التوبة هي كلمة: لا إله إلا الله، يقولها القائل مجتهدًا فيها، مشربًا ظاهره وباطنه بمقالها حتى يأخذ كل عضوٍ منه قسطه منها، فبذلك تتحات عنه كما تتحات الورق من الشجر، و في كلِّ مقامٍ توبةٌ حتى ينتهي مقام التوبة إلى التوبة من التوبة، فيتمُّ به أمرٌ لم يكن لأحد قبل محمد ﷺ؛ لما فتح له من الفتح المبين، الذي به غفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، ولا لهُ متقدَّم الذنب في الإبداء ومتأخره في الإعادة، فكانوا في قيام أمرهم كما كانوا قبل الإبداء في وجودهم لربهم حيث كانوا غيبًا عن أنفسهم قائمين بربهم، وذلك تمام التوبة

بالتوبة من التوبة، فمستغفرٌ يكون استغفاره توبةً من الدين، ومستغفرٌ يكون استغفاره جلاء توبة من الغين، كما قال ﷺ: «إنَّه ليُغانُ على قلبي، فأستغفرُ الله في اليوم سبعين مرةً[(١)]»، وقال: «توبوا؛ فإني أتوب في اليوم سبعين مرةً[(٢)]».

وبين ذلك من رتب التوبة ما يحيط به دنوُّ الدين علوُّ الغين؛ فلكلٍّ ذي مقامٍ توبةٌ بحسب مقامه، يرفع بها من أدنى مقامه إلى أعلاه؛ لتردده ما دام في دنياه بين أدنى مقامه وأعلاه، الذي فيه إقامته، وبه قوام من دونه منه، حتى تكون تمام التوبة لقاء الله، فهناك يستقرُّ المتاب ويقرُّ اليقين.

* * *

[اسمه ﷺ: نبيُّ الرحمة]

هذا الاسم من أخصِّ الأسماء به ﷺ وألزمهم له؛ لأن متنـزل وجوده في الإبـداء لم يزل رحمةً ساريةً في كلِّ مبدإٍ، فما ظهرت مزيَّة الآدميَّة لآدم فمن دونه إلا به، كما قال ﷺ: «فكان حظُّ آدم من الخير بنا ونطقه بمستودع نورنا[(٣)]».

وكذلك ما ظهرت إقامة ما حواه العرش إلا عن إفاضة بركة رحمته، كما ذكر أن العرش لم يسكن اضطرابه إلا بكتب اسمه عليه مع اسم ربِّه، ولا ظهرت مزيـة آدم إلا ببركته ﷺ، قال ﷺ: «أنا الذي قال الروح القدس جبريل عليه السلام: أتدري يا محمـد لِـمَ أمرنا الله بالسجود لآدم فسجدنا؟ إنما أراد بذلك تعظيمه؛ إذ كنـت في صـلبه، ولا فخر[(٤)]»، وكما قال ﷺ: «أنا الذي نصر الله بي نوحًا على قومه، وأخرجه من السفينة بالسلامة والعافية، كما كتب اسمي حول السفينة: لا إله إلا الله محمـدٌ رسـول الله،

---

(١) رواه مسلم (٤/٢٠٧٥)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/٤٣)، وأبو داود (٢/٨٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (١/٣٢٥)، وأحمد (٤/٢١١)، والطبراني في الكبير (١/٣٠٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٤٩).

(٢) رواه البخاري (٥/٢٣٢٤)، وأبو داود (٢/٨٤)، والترمذي (٤/٣٣٦)، والنسائي في الكبرى (٦/١١٤)، وأحمد (٢/٩٠)، وابن ماجه (٢/١٢٥٤)، والبزار في مسنده (٦/٢١٠)، والبيهقي في الشعب (٤/١٦)، وفي الكبرى (٨/١٠)، وابن حبان في الصحيح (٣/٢٠٤).

(٣) حديث كشفي صحيح.

(٤) حديث كشفي صحيح.

فنطقت السفينة فقالت: ألا وكل من دخل فِيَّ فهو في ضمان الله حتى يخرج، ولا فخر[١]»، وكما قال ﷺ: «أنا الذي من أجلي قال الله: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] لما كنت يومئذ في صلبه، ولا فخر[٢]»، وكما قال ﷺ «أنا الذي لما دعا صالح ربَّه أن يخرج الناقة من الصخرة وأدخل جبريل ريشًا من ريش أجنحته فقال له: الماء به، فرفع الصخرة قليلاً من وجه الأرض حتى يرى الخلائق، والصخرة فرسخ في فرسخ، وقد أخذها الطلق، فنُودي: يا صالح إنه قد استصعب من أجل دعوة؛ فقل: بحقِّ محمد خاتم النبيين ألا خرجت! فلما قالها خرجت الناقة، ولا فخر[٣]»، فكان ﷺ رحمةً في الإبداء كله حتى نالت الرحمة قريشًا، بما كانت فيه من أمر جاهليتها، بما رحمت ببركة منشأها إلى تمام ظهوره، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ*أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ*وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ*تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ*فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ﴾[الفيل:١،٢،٣،٤،٥]، وقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ*إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ*فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ*الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش:١،٢،٣،٤]، وصرف الله عن أهل مكة البلايا والنقمات بما أقامه له من رحمة، حتى صرف عنهم جميع ملائكة الآفاق والأركان: من الرياح والنيران والمياه والجبال، وغير ذلك مما أذن الله لهم في نصرته على من كذَّبه، فصرف ذلك كله ﷺ بفضل رحمته التي اختصَّ بها، وصابرهم وطاولهم رحمةً لهم بضعة عشر سنةً، حتى رفع الله عنهم العذاب بكونه فيهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال : ٣٣]، بما هو نبيُّ التوبة، وكذلك هو نبيُّ الرحمة في الإعادة، لما أبقى الله لهم من دعوة الشفاعة حتى أنه ليشفع للأولين والآخرين في رحمة القضاء، واستبراء سجن الوقوف في مأزق الحشر الذي يضيق؛ لطوله أنفس الواقفين، فيطلبون الفلات منه، فلا ينفضُّون منه إلا برحمة شفاعته، إلى ما وراء ذلك من شفاعاته وشفاعة الشافعين من شفاعاته، إلى ما وراء أبد الأبد الذي

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) حديث كشفي صحيح.

تكفَّل بها لذرية أنصاره، كما قال في قوله في الأنصار: «بل للأنصار، ولأعقاب أعقابهم أبد الأبد[١]»، فرحمته ﷺ عامَّةٌ للعالمين، دائمةٌ، تنال كلَّ شيءٍ بحسبه، حتى تنال الكافر في التخفيف، كما تنال الذين أسلموا والذين آمنوا في التخليص، إلى ما ليس وراءه مرمًى، فكان له من الرحمة ما هو له علمٌ واسم مسمٍ لأظهر ظاهرٍ من صفاته التي هي لمحةٌ من لمحات إحاطة أحمديته ﷺ.

* * *

[اسمه ﷺ: نبيُّ الرحمة]

لما كانت له ﷺ الأحمديَّة التي هي أعلى في كلِّ شيءٍ فكان في نبوَّة رحمته في رتبة أعلى الرحمة، وكانت محمديَّته دائمةً بدوام ربِّه، كانت نبوة رحمته دائمةً مكررةً متضاعفةً، فاشتقَّ له من الرحمة اسم المرحمة، بزيادة ميم التمام والدوام، فكان نبيَّ المرحمة إذا أنال الله الخلق منه رحمة استدرّ لهم رحمةً تأتي على ما بقي عليهم، ولا يزال يسترحم ويستمطر لهم مراحم الله حتى تنالهم شفاعته الكبرى الموصلة إلى الله تعالى، فكان لذلك نبيَّ المرحمة التامَّة الدائمة المكررة المتضاعفة منذ بدء نوره الأول إلى أن يغلب على ما في السماوات وما في الأرض بنورِ الله، الذي هو نور السماوات والأرض، فكانت مرحمته نائلة المقربين في قربهم، وأهل اليمين في يمينهم، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلامٌ لك من أصحاب اليمين، وأهل المشأمة في مشأمتهم بما ينالهم برحمته من التخفيف، قيل: يا رسول الله هل نفعت عمَّك؟ قال: «وجدته في غمرات النيران، فأخرجته إلى ضحضاحٍ[٢]».

وقال ﷺ: «ما بال أقوامٍ يزعمون أن رحمتي لا تنفع، أمَّا إنَّها والله لتنفع في الدنيا والآخرة[٣]».

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه مسلم (١/١٩٥)، والحاكم في المستدرك (٤/٦٢٥)، والحميدي في مسنده (١/٢١٩)، والطبراني في الأوسط (٨/١٢٠)، وأبو يعلى في مسنده (٤/٤١)، وابن منده في الإيمان (٢/٨٨٨)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢٢٣).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٥/٢٠٣)، والحاكم في المستدرك (٤/٨٤)، والطيالسي في مسنده (١/٤٩٤)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢/٢٩٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٣٧٦).

وقال الطَّيْلاً: «أما إن بني فلان ليسوا مني ولست منهم، ولكن لهم رحم سأبلُّها ببلالها[(١)]»، فرحمته تامَّةٌ دائمةٌ، ولمسراها باطنًا اختصَّ لفظها بمعنى النبوَّة، حيث لم يكن الاسم مع اسم الرسالة.

[اسمه ﷺ: صاحب الحوض المورود]

اعلم أن الله ﷻ أبدى ما شاء من أمره وخلقه، وأظهر ما شاء من خلقه وأمره، فأظهر من خلقه عالم الملك والشهادة الذي هو عالم الدنيا، وأخ في عالم الملكوت الذي هو عالم الآخرة، وجعل كلية ما أظهر آيةً كليةً ما أخفى، وكل صورةٍ باديةً في كلية ما أظهر آية صورة ما أخفى، وكان جملة ذلك جمعًا وتفصيلاً آية على ما قام ذلك من أمره، وما أبداه من أسمائه وأوصافه من حلمه وقدرته ومشيئته، وما تجلَّى به مما لا يحصى من أسمائه وأوصافه، فكان من أعظم أمره ما هو آية علمه قوله تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة:٢٥٥]، فكان في موجود الملكوت ما هو شفاءٌ لا ليعود داؤه من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبدًا، آية ما هو العلم الإحاطي الذي لا ينتزع بعد إعطائه كما قال ﷺ: «إن الله لا ينتزع العلم انتزاعًا بعد أن أعطاكموه[(٢)]»، فكان آية ذلك الماء الشافي شفاء لا داء بعده، هذا الماء الذي في عالم الملكوت شفاء وقت يعاود داؤه، ولما كان هذا اللسان لسانًا عربيًّا كما قال: ﴿إِنا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [الزخرف :٣] كان مجرى في الخطاب بآيات ما تعتاده العرب، كما ضرب مثل السماء بناءً، ومثل الأرض فراشًا الذي هو من شأنها، كذلك ذكر لها آيةً مثل العلم بالحوض الملكوتيِّ، فكأن آية الحوض الملكوتيِّ الحوض الملكيُّ الذي تشهده؛ لأن الحوض عندهم أعظم موارد الاستعمال، فكان ﷺ من إحاطة علم الله ما آتاه مما علَّمه ما لم يكن يعلم، فآتاه من آتيه في الملكوت حوضًا قدره مسيرة شهر، آنيته عدد نجوم السماء، يشخب فيه ميزابان من الجنة: ميزاب ذهب، وميزاب فضةٍ، ماؤه أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها

(١) رواه البخاري في الصحيح (٢٢٣٣/٥)، وفي الأدب المفرد (٣١/١)، ومسلم (١٩٢/١)، والترمذي (٣٣٨/٥)، والنسائي في الكبرى (١٠٧/٤)، وأحمد (٣٣٣/٢)، والطبري في تفسيره (١٢٠/١٩)، والديلمي في الفردوس (٢٨٦/٥).

(٢) رواه البيهقي في الكبرى (١١٦/١٠)، وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢٥٤/١)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٥٨٧/٣)، والفاكهي في أخبار مكة (٣٢٧/١)، وذكره ابن حجر في مقدمة فتح الباري (١٩٤/١).

أبدًا، ساقيه عليه باب مدينة علمه علي الطَّيْلا، وهو ﷺ يرد الكراع الخارج من الجنة؛ لتنال أمته بركة سؤره في جمه الحوض كله، فيحسب ما ينال عالم من العلم العلوي الآلي المحمديّ الإحاطيّ، الذي ليس شأنه أن ينتزع، الذي ليس هو بكثرة الرواية وإنما هو نورٌ يضعه الله حيث يشاء، الذي ليس روايةً تنسى ولا جلبابًا ينسلخ، كما قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ [الأعراف:١٧٥]، وإنما هو نورٌ في القلب، ينشرح له الصدر، وتستقيم به الفعال، ويشتدُّ به المقال، فعلى قدر نائلة العالم في يوم الدنيا من ذلك العلم يكرع من ذلك الحوض، فمن لا مورد له في العلم العلويِّ فلا تكرُّع له في الحوض المحمديِّ، أناديهم: ألا هلمَّ، ألا هلمَّ، ألا هلمَّ، كأنَّ الأولى: نداء إحسان، والثانية: نداء إيمان، والثالثة: نداء إسلامٍ، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: فسحقًا، فسحقًا، فسحقًا، ردًّا بكلِّ سحقٍ منها إلى رتبةٍ من رتبة الدين الثلاث، الذي وقع الاستدلال عنها بالانتماء إلى غفلةٍ في الإحسان، وتشبيهٍ في الإيمان، وإجرامٍ في الإسلام، كلٌّ على حدةٍ، فبحسب ما ينفع غلةَ الجهلِ ماء العلم في هذه الدار ينفع غلة العطش ماء الحوض يوم الحشر في تلك الدار، فمستقلٌّ ومستكثرٌ، قال تعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ} [يوسف:٧٦]، فهو ﷺ صاحب الحوض المورود، فهو صاحبه بما هو صاحب العلم العليِّ، الذي أوحى إليه ربُّه ما أوحى مما هو مبهمٌ من وراء كلِّ عقلٍ ونقلٍ، وهو الحوض الكامل الأعظم الذي لا أعظم منه، الذي منه يتفجَّر ما دونه من الأحواض، المورود بما أقرَّ الله به عين نبيه ﷺ، بما خوله من أئمة آله وخواصِّ أمته، وبما استخلص له من صالحي أمته، فهو موروردٌ يرد على أمته وأمم يعلمها الله مما أحاطت به نبوة أحمديَّته، ورسالته محمديَّته.

ورد عنه ﷺ أنه قال: «ما من أمتي فيمن يرد على الحوض إلا جزءٌ من ألف جزء(١)»، فهو الحوض المورود تمامًا وكمالاً، قرة عينٍ له ﷺ ولأئمته وصالحي أمته، كما قال تعالى في آثاره عنه: «وأوتيهم من مكنون علمه ما لا يشكل عليهم دقيقٌ ولا يُعييهم خفيٌّ(٢)»، وكما كان من أسمائه ما يبدي عظيم اختصاصه بما له من ربِّه في خلَّته ومحبَّته من معنى قدرته وقوته في نحو (نبي الملحمة)، كان له هذا الاسم بما له من علم ربِّه، بما في مضمون خلَّته ومحبَّته، كذلك جميع أسمائه تسمَّى منه جهات ما أقامه

---

(١) رواه أحمد في المسند (٣٦٧/٤)، والحاكم في المستدرك (١٤٩/١)، والطيالسي في مسنده (٩٣/١)، وعبد بن حميد في مسنده (١١٤/١)، والديلمي في الفردوس (٣٤٢/١).

(٢) حديث كشفي صحيح.

الله له من مظاهر أوصافه وأسمائه، فهذا الاسم اسمٌ عائده إلى علم الله، وما علمه حبيبه من علمه، وما خصَّ به آله وأئمته الذين هم إخوانه وأحبَّاؤه ومن لحق بهم بالتصديق والإيمان من صالحي عامَّة الأمة، ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

***

[اسمه ﷺ: صاحب المقام المحمود]

صاحب الشيء المختصُّ به، المنفرد بكليَّته، والمقام: موضع القيام، والقيام: الاستقلال في الأمر، والمحمود: الواقع عليه الحمد من الحامدين، فاختصَّ النبي ﷺ بهذا الاسم بما ينجلي معناه، فجلا معنى الحمد ومقامه المحمود، وذلك أن الله ﷻ أبدى الباديات سوى نور، ثم نــزَّلها أرواحًا، ثم نــزَّلها أنفسًا، ثم نــزَّلها أجسامًا، وأجرى في كلِّ تنــزيلٍ سرًّا، وجعل فيما هو إلى الأظهر من الأجسام والأنفس لباس تفاوت حجب به سوى ما ألبسه التفاوت، وستر لباس التفاوت بلبس الافتراق، وأجرى حكم المدح والذم على لبس الافتراق، وأجرى حكم التفصيل والتخيير على لباس التفاوت، وأخ في من وراء اللبس واللباس عُرى السواء، التي ما يرى فيها من تفاوت، فمن جعل منظره لبس الافتراق لم ينفكَّ عن منــزل مدحٍ أو ذمٍّ، بما هو نازلٌ في مسدول الافتراق، وعلى حكم ذلك أجرى سبحانه في خلقه حكم التعاند والتقابل والتضاد، كلُّ فريقٍ ضدٌّ لما يقابله، ومن مستبصره لباس التفاوت لم ينفكَّ عن لسان تفضيلٍ وتخييرٍ، بما هو متحيزٌ إلى حين لباس التفاوت، ومن جعل مرآه عُرى السواء فلم يحجبه لباس التفاوت. ولا غطاء عليه لبس الافتراق لم يكد يخرج عن لسان حمد الله في الكل إلا عن حكمٍ من الله، يلجئه إليه، ويلزمه به، وذلك اللزوم لذلك المرئي السواء في عريته و في لباس تفاوته و في لبس افتراقه هو المقام المحمود الذي لا يزال صاحب الحمد ناظرًا إليه، طالبًا بحكمه طلبًا عامًّا إلا أن يصرفه الحكم.

قال ﷺ: «تحابُّوا بروح الله بينكم[1]»، فردَّهم إلى محبَّةٍ بحكم سواء الروح.

---

(١) رواه أبو داود (٣/٢٨٨)، والنسائي في الكبرى (٦/٣٦٢)، والبيهقي في الشعب (٦/٤٨٥)، والعقيلي في الضعفاء (٣/١٦٦)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٧/٤٣٦)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٣٦٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٤/٢١).

وقال: «تحابُّوا لجلال الله بينكم[١]».

وقال: «أبوكم واحدٌ وربُّكم واحدٌ[٢]».

وقال: «كلكم من آدمَ وآدمُ من تراب[٣]».

كل ذلك تنبيهًا للقلوب، وتذكيرًا للألباب على مرأى السواء؛ ليذهب بمرآه عوارض التنافس في التفاضل، والتعاند في الافتراق.

وقال ﷺ: «لا تخيروا بين الأنبياء[٤]».

وقال: «لا تفضِّلوا بين الأنبياء[٥]».

ولما كان ما أظهره لباس التفاضل ولبس الافتراق طامسًا لشعاع نور السواء أجرى الله سبحانه وتعالى فيه حكم سواء بموازنة واقعة بين المتقابلين في الافتراق، والمتفاوتين في التفاضل، وذلك هو حكم عدله الذي هو في المفترق والمتفاضل، سواء حكميٌّ متفرعٌ عن سواء حكميٍّ ثابت في أصل سواء، وكان أظهر السواء العدل، والسواء أحمد، فكان صاحب المقام المحمود لا ينفكُّ عن حكم عدلٍ أو حقيقة سواء، كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥]، وذلك حين اعتدل في الميزان الأعظم صنجة الدنيا وإن صغرت بما قصرت، مع صنجة الآخرة وإن كبرت بما طالت، كما هو آية هذا الميزان الذي وضعه في الأرض، الذي يوزن به الأثقال المثبت عنه المقدار بالصنجة القليلة المقدار؛ ليعادل ما يقع بين الصغير والقصير، مع الطول والكبر، فكان ذلك عدلاً هو سواء حكمٍ، فلما كان ﷺ ناظرًا

---

(١) ذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٢٧/٢١) بنحوه.

(٢) رواه أحمد في المسند (٤١١/٥)، وأبو نعيم في الحلية (١٠٠/٣)، والطبراني في الأوسط (٨٦/٥)، والبيهقي في الشعب (٢٨٩/٤)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٦٦/٣)، والقرطبي في تفسيره (٣٤٢/١٦).

(٣) رواه أبو داود (٣٣١/٤)، والترمذي (٧٣٥/٥)، وأحمد (٥٢٣/٢)، والبيهقي في الشعب (٢٨٦/٤)، والديلمي في الفردوس (٣٠٤/٤)، والدارقطني في العلل (١٥٨/٨)، وابن سعد في الطبقات (١٤٣/٢).

(٤) رواه البخاري (٨٥٠/٢)، ومسلم (١٨٤٥/٤)، وأبو داود (٢١٧/٤)، وأحمد (٣١/٣)، والديلمي في الفردوس (١٩/٥)، والبيهقي في الشعب (١٨٣/٢)، وأبو يعلى في مسنده (٥١٧/٢)، والطبراني في الأوسط (٨٨/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢٦/٦).

(٥) رواه البخاري (١٢٥٤/٣)، ومسلم (١٨٤٣/٤)، والنسائي في الكبرى (٤٤٨/٦)، وأحمد (٤٠/٣)، والبيهقي في الشعب (٣١٠/١)، وعبد الرزاق في مصنفه (١٢١/٨)، والطيالسي في مسنده (٣١٢/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤٢/٣).

إلى السواء إلا أن يجبر على حكم العدل الذي هو سواءٌ في الحكم كان ﷺ صاحب المقام المحمود دائمًا في الدنيا والآخرة، وكان من تفاضل كلية إقامته في هذا المقام ما يظهر ويشتهر موقعه عند الأوَّلين والآخرين بمعنى سواء، يقع لهم في أمرٍ ما، فكان من ذلك شفاعته ﷺ لأهل الموقف: عامِّهم وخاصِّهم، مؤمنهم وكافرهم لربِّه، في أن يمضي بينهم كلمة قضائية، ويستبرئ سجن وقوفهم بحكم عدله، فكان مقامه هناك مقامًا محمودًا يشهده الأوَّلون والآخرون، ويلجأ إليه الكافرون والجاحدون ملجأً واحدًا، فكان مقام سواءٍ للكلِّ، فكان محمودًا عند الكل، ولا يزال مقامه المحمود يشهده الموقن دائمًا، ويراه العارِف عند نهاية معرفته دانيًا، ويسمعه المؤمن عند ملمح إيمانه باديًا، ويشترك فيه الخاصُّ والعامُّ عند تصوره الشفاعة ظاهرًا، وذلك الظاهر الذي يشهده الأوَّلون والآخرون والمؤمنون والكافرون آية مقامه المحمود العليِّ الأعظم، الذي له من وراء أبد الأبد.

هو سرٌّ من أسرار الله في خلقه، مودعًا في سمائه وأرضه، كنـزًا في عرشه وكرسيه، دائمًا في ملكه وملكوته، وهو الذي يعلم السرَّ في السماوات والأرض؛ فهو ﷺ صاحب المقام المحمود دومًا وتفضيلاً، ينال كلُّ كائنٍ منه وقتًا ما حظُّه؛ ليكون محمود المقام عند كلِّ بادٍ كان من أهل البعد أو من أهل القُرب، يقل مرآه لأهل البعد، ويكثر لأهل القرب، ويدوم لأهل الوصول.

* * *

[اسمه ﷺ: المحضر المشهود]

المحضَر: موقع الحضور، والحضور: ارتفاع حجاب الواجد عن الواجد بحضور قلبه، وخلوص لبِّه، والمشهود: مثال الشهادة، والشهادة: رؤية إحاطة وخبرة، بحيث يبدو باطن الشيء المشهود على ظهره كأنه اتصال الرؤية بالنظر، واجتماع الخبر والخبر، فهو ﷺ صاحب المقام المحمود بما هو بين يدي ربِّه خطيبٌ بإحاطة حمده، وهو صاحب المحضر المشهود، بما هو مقبلٌ على جميع الخلائق، بما أثمره له مقام حمده من قضاء حاجتهم فيما استشفعوا به؛ لأنهم لا يشهدون مقامه المحمود، ولكن يشهدون محضره لهم المشهود بما تيسَّر من مطلبهم على يديه، بما شفع لهم، فاسمه صاحب المحضر المشهود هو ظاهر باطنه اسمه المقام المحمود، فكان مقامه المحمود من أحمديَّته، ومحضره المشهود من محمديَّته، فهو منقذ الخلائق لفصل القضاء على حكم سواء العدل الذي هو حمدٌ ظاهرٌ، فمن حيث دام وتفصَّل المقام المحمود يدوم، ويتفصل المحضر المشهود،

والمشهود للموقنين دائمًا، بما هو أشهدهم الله به من مشهوده الدائم القائم المضمون في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن٢٦،٢٧]، وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وهو لعامَّة الخلائق وقتًا ما، وكما أن مقام المحمودٍ لهم وقتًا ما وكما أن لمقامه المحمود غايةً من وراء أبد الأبد فلمحضره المشهود كمال شهود عند كمال المقام المحمود، وإليه يرجع الأمر كله، ثم إليه تقلبون.

***

[اسمه ﷺ: صاحب الأزواج الطاهرات]

الأزواج: أمثالٌ باديةٌ للعين، مما هي عليه النفس في الحسِّ، قال تعالى: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء:١]، وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ [الروم:٢١]، فزوجة كل زوجٍ التي هي زوجته قرارًا في دنياه وآخرته هي آية نفسه، أصل ذلك في علم رتقه وفتقه ووصله وفصله أن الله خلق آدم خلقًا جامعًا بيديه، جمع فيه كلَّ حكمته خيرِّها وشرِّها وجميع متقابلاتها، ثم فصل من جميع وجوده أدناه، فكونه خلقًا مثله هي أنثاه وزوجته.

قال ﷺ: «ما رأيتُ من ناقصات عقلٍ ودينٍ أغلبُ لبِّ الرجل الحازم منكنَّ. قيل: يا رسول الله، وما نقصان عقلهن ودينهن؟ قال: أما نقصان عقلهن فإن شهادة الرجل تعدل شهادة امرأتين، وأما نقصان دينهن فإنَّها تمكث الأيام والليالي لا تصلِّي[1]»، فاختصَّ الرجل بأوصاف تكون فيه فصلاً وكمالاً، وصارت مقابلاتها في النساء فضلهنَّ وكمالهنَّ، حتى أن المرأة تمدح بالجبن والبخل والضعف، كما يمدح الرجل بالشجاعة والقوة، وكما قال ﷺ: «رفقًا بالقوارير[2]»، وقال: «إنَّ المرأة خُلقت من

---

(١) رواه مسلم (٨٦/١)، والترمذي (١٠/٥)، وأحمد (٦٦/٢)، وابن ماجه (١٣٢٦/٢)، والحاكم في المستدرك (٦٤٥/٤)، والبيهقي في الشعب (٦٢/١)، وفي الكبرى (١٤٨/١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٤٦٣/٢)، وابن منده في الإيمان (٦٧٨/٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣٥٧/٦).

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٤٠/١)، وابن حجر في فتح الباري (٥٩٤/١٠)، والنووي في تهذيب الأسماء (١٣٦/١).

ضلعٍ أعوجٍ، فإذا استمتعت بها استمتعت بها وبها عِوجٌ[١]»، ولذلك كمُل من الرجال كثيرٌ لما في وجودهم من الاستقامة المخلصة من عوج الضلع المقتطعة من جمع الآدميِّ، ولم يكمُل من النساء إلا قليلٌ، قال ﷺ: «كمُل من الرجال كثيرٌ، ولم يكمُل من النساء إلا أربعٌ: آسية بنت مزاحم، ومريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت رسول الله ﷺ[٢]»، هنَّ لا كلهنَّ أزواج رسول الله ﷺ في الجنَّة بما هو الكامل، فمن كمُل منهنَّ فإنما هنَّ منه بما هنَّ مقتطفاتٌ من استقامة كليَّته التي ما اقتطف منه فهو مستقيمٌ، قال تعالى: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ [النساء:٣٢]، وقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحاً نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ [النساء:٣١]، فالمقتطف من الكامل الاستقامة التي ضلعة مستقيمة لا عوجاء؛ لأنه لا عوج فيه، قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا قَيِّماً﴾ [الكهف:١]، فلم يكن في كتابه عوجٌ بالكسر لما لم يكن في خلقه، فلذلك كنَّ أزواجه طاهرات، وكان كلُّ زوجٍ مقتبسةً على عوج ضلعها التي هي منه ذات عوجٍ، لا يزيله إلا التطهير وإذهاب ما بقي فيه من العوج، كما قال تعالى في المؤمنين: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥]، فالفرقان بين الرتبتين في وصف أزواجه بالطاهرات في ذواتهن بما هو ذات النفس المطمئنة، فكانت آية نفسه ذات الزوج الطاهرة، وكان أزواج المؤمنين بما يزكيهم ويطهرهم أنفسًا مزكَّاة، فكانت أنفسهنَّ المزكاة أزواجهنَّ المطهرات، كما يكون آية الأنفس الخبيثة

---

(١) رواه مسلم (١٠٩١/٢)، والبيهقي في الكبرى (٢٩٥/٧)، وابن حبان في الصحيح (٤٨٦/٩)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٤٥٦/١)، والمناوي في فيض القدير (٣٨٨/٢)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٣٠٨/٤).

(٢) رواه البخاري (١٢٥٢/٣)، ومسلم (١٨٨٦/٤)، والترمذي (٢٧٥/٤)، والنسائي في الكبرى (٩٣/٥)، وفي الفضائل (٧٣/١، ٧٤)، وأحمد في المسند (٣٩٤/٤)، وفي الفضائل (٨٧٠/٢)، وابن ماجه (١٠٩١/٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٨٩/٦)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٩٣/٥)، وأبو نعيم في الحلية (٩٩/٥)، والديلمي في الفردوس (٣٠٦/٣)، والطبراني في الكبير (٤١/٢٣)، وأبو يعلى في مسنده (٢١٩/١٣).

أزواجًا خبيثات، كما قال تعالى: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦]، فوضح بذلك أنه ﷺ الطاهر فهو ذو الأزواج الطاهرات، فلما كانت طهارته أكمل طهارة كان نساؤه بما انتهى وانتهين إليه من طهارة قدسٍ ليس وراءه في الطهارة مرمًى، وكما الأربع الكاملات: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وهى بضعةٌ منه، كما قال ﷺ: «وهي سيدة نساء أهل الجنة[١]»، وورد في الخبر: «ما خلا مريم بنت عمران[٢]»، وذلك والله أعلم بما اختصَّت به مريم من الروحانية، فخرجت عن مجرى نمط السيادة، التي هي بتحقق الآدمية المتهيئة لاحتمال الأذى في الدنيا، فمن غلب روحانيته لم ينله من الأذى ما ينال من تحققت آدميته وحظه الأرضي، وطفا عن محلٍ يدخله في تفاضل الشهادة، فلذلك معنى استثنائية، والله أعلم؛ لأن فاطمة رضي الله عنها فذَّة الكون كلِّه، كما أن محمدًا ﷺ فذُّ الكون كلِّه، فلا نظير له في وحدة كماله، ولا نظير لها في وحدة كمالها، كان ﷺ يعاملها معاملة مكافأة.

قالت عائشة رضي الله عنها: «ما رأيت أشبه برسول الله ﷺ دلاًّ ولا سمتًا ولا هديًا[٣]»، وذكرت أوصافًا أكثر من هذه من فاطمة بنت رسول الله ﷺ، كان إذا جاءها قامت له، وقبَّلت يده، وأجلسته في مجلسها، وكانت إذا جاءته قام لها، وقبَّل يدها، وأجلسها في مجلسه، ومن وراء حقائق ذلك لأهل الفهم ما ينهي إلى فهم الكمال المحمديِّ والكمال الفاطميِّ الذي لا نظير له، فللعبد وما هو منه فردانيَّةٌ في عبوديته من فردانية ربِّه وسيِّده، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

***

---

(١) رواه البخاري (٣/١٣٢٦)، والترمذي (٥/٦٦٠)، والنسائي في الكبرى (٥/٨٠)، وأحمد (٣/٨٠)، وأبو يعلى في مسنده (٢/٣٩٥).

(٢) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٧/١٠٥)، وابن عبد البر في التمهيد (١٤/٢٠٠)، وفي الاستيعاب (٣/١٠٩٩)، والمناوي في فيض القدير (٢/٤٦١)، والمزي في تهذيب الكمال (٢٠/٤٨٤)، والذهبي في السير (٢/١٣١).

(٣) رواه البخاري (٥/٢٢٦٢)، والطبراني في الكبير (٩/٨٧)، والبزار في مسنده (٧/٢٣٧)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (١٠/٦١٣).

[اسمه ﷺ: صاحب العلوِّ على الدرجات]

اعلم أن الأمر والخلق بلحاظته حسنٌ وحمدٌ وكمال حكمة، فكلُّ اسمٍ منبئٍ عن جمع إحاطة فهو اسم كمال، وإن من دون ذلك إفراجًا يمتاز فيه جهة العلوِّ في الإحاطة من جهة الدنوِّ فيها، فذو الأسماء والحقائق العلية تختصُّ به أسماء من معنى جهة اختصاص ذلك العلوِّ، لذي الحدِّ منه في حدِّه، ولذي الإحاطة فيه، بمعنى إحاطة يشمل ذلك العلو، فكما للنبي ﷺ أسماء إحاطة من الإحاطة الجامعة للعلوِّ والسفل وجميع الكل كذلك له أسماء إحاطة جميع العلوِّ؛ ليكون له الإحاطتان: إحاطة الكلِّ الجامع من حقيقة اسم ربِّه الله الأحد، وإحاطة العلو من حقيقة اسم ربِّه الله الصمد؛ فهو الاسم الذي هو صاحبٌ للعلو والدرجات، اسمٌ إحاطيٌّ للمعنى العليِّ، فهو ﷺ جامعٌ لرفعه جميع الدرجات التي خصَّ الله بها أهل العلم والإيمان، كما قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١]، وبما هو ﷺ جمعٌ لا فديةٌ له، حتى لو صلَّى وحده لكان جمعًا في ذاته؛ لأنه إمامٌ دائم الإمامة، فله درجات صلاة الجمع، كما قال ﷺ: «صلاة الجماعة تفضل على صلاة أحدكم وحده بسبعٍ وعشرين درجةً[1]»؛ فهو ﷺ صاحب درجات العلم والإيمان على حدود درجاته، بما كل رتبة علمٍ مقتبسةٌ من علمه، فله في كل درجة علو تلك الدرجة، حتى أنه يجد جواره أهل كل درجة في درجتهم، فهو جامعٌ للدرجات بما له في درجة من إمامة أهل تلك الدرجة، ومن تعليم علمٍ يخصُّ أهل تلك الدرجة، فهو صاحب جمعها، المستحقُّ لكليتها، العائد بفضل مستحقه على من سواه، عوده بالأنفال على من انتهى إليه فضل الله عليه بها، كما قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [الأنفال:١] فجعلها مستحقّةً له ﷺ، فما أخذ الآخذون إلا مما هو مختصٌّ به صاحب إحاطته؛ ليكون الكلُّ في عيلته، وتحت قوام أبوَّته ونبوَّته؛ لتكون أرزاقهم من رزقه، كما أن وجودهم من وجوده، فلذلك هو القاسم لما هو مستحقُّه في الدنيا والآخرة، فهو القاسم لما اختصَّ به من الأنفال في الدنيا، بما أعادها الله على أمته من يده، ثم خصَّه بالخمس في القسم الظاهر، فردَّه عليهم كما قال ﷺ: «ما لي مما أفاء الله عليَّ إلا

---

(١) رواه الترمذي (٤٢٠/١)، والنسائي في الكبرى (١٩٤/١)، وفي الصغرى (٢٩٣/١)، وأحمد (٦٥/٢)، وابن ماجه (٢٥٩/١)، والطبراني في الكبير (١٥٨/٥)، وفي الأوسط (٣٤٤/٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٢٣/١).

الخمس، والخمس مردودٌ عليكم[(١)]» من مقتضى قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال:٤١]، فأثبتها له كلاً وجزءً، فأعاد ﷺ جميع ذلك عليهم، كذلك هو قاسمٌ لما اختصَّ به من الدرجات في العقبى، قال ﷺ: «الجنَّة مائة درجة، من كلِّ درجتين مسيرة خمسمائة عام[(٢)]»، فهي بجملتها له ﷺ، فحظوظ الأوَّلين والآخرين من مختصٍّ حظِّه الجامع قسمٌ منه ﷺ في دار الدنيا والآخرة، بما هو أحمد الكون ومحمَّده وقاسمه، وأصل نسائه ومعلمه وإمامه، وكما أن له استحقاق الدرجات فهو مستحقٌّ العلو بما له من البرِّ، الذي كل يد من ناشئة برِّه، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين:١٨]، فله من إحاطة العلو ما له من إحاطة الدرجات، وورد أن عدد علالي عليين كعدد آي القرآن، لكل آية علوٌّ، وهو ﷺ صاحب القرآن الذي هو خلفه وسوره صورته، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن[(٣)]»، وكل ذي حظٍّ من عليين.

فهو أيضًا قسمٌ منه وتنويلٌ من مستحقه، بما هو ﷺ الجامع للعلوِّ كما هو الجامع للدرجات، فهو صاحب العلوِّ والدرجات إحاطةً وجمعًا واستحقاقًا وتنويلاً لمن نال علوًّا أو درجةً، وله فيما يقابل العلو والدرجات من الدنوِّ والدركات فضل الشفاعة وبشرى اليائسين، الذي ينبئ عنه اسمٌ من أسمائه ﷺ، يكون له بذلك الإحاطة جمعًا وتفصيلاً في العلوِّ والدنوِّ، من إحاطة تفصيل أمر ربِّه، حيث له الحمد في السماوات والأرض.

***

---

(١) رواه أبو داود (٣/٦٣)، والنسائي في الكبرى (٣/٤٥)، وأحمد (٢/١٨٤)، وابن حبان في الصحيح (١١/١٩٣)، والبيهقي في الكبرى (٦/٣٣٦)، ومالك في الموطأ (٢/٤٥٧)، والطبري في تاريخه (٢/١٧٥)، والبزار في مسنده (٧/١٥٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٤١٢)، والطبراني في الأوسط (٢/٢٤٢).

(٢) رواه البخاري في الصحيح (٣/١٠٢٨)، وفي التاريخ الكبير (١/٢٠٣)، والترمذي (٤/٦٧٥)، والنسائي في الكبرى (٣/١٤)، وأحمد (٢/٢٩٢)، وابن ماجه (٢/١٤٤٨)، وأبو نعيم في الحلية (٩/٤٧)، والديلمي في الفردوس (٢/١١٤)، وابن المبارك في الزهد (١/٥٣٨)، والبيهقي في الشعب (٤/٥٧).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١/١١٥)، وأحمد (٦/٩١)، والطبري في تفسيره (٢٩/١٩)، والطبراني في الأوسط (١/٣٠)، والبيهقي في الشعب (٢/١٥٤)، وابن سعد في الطبقات (١/٣٦٤).

[اسمه ﷺ: صاحب الشفاعة]

لما كان له ﷺ إحاطة العلوِّ والدرجات اختصاصًا وتنويلاً كان له ﷺ في السفل الأدنى وإدراك الردى سرُّ علمٍ ومستوى لحظ، نشأ عن وسيلة الظهور عليه والاطّلاع فيه، شفاعته في الأسفلين، وبشراه لليائسين، فكان في إحاطة هذا الدنوِّ الدركيِّ قسمٌ بين ما تناله شفاعته من أهل الكبائر والجبابرة من أمته، فأحاطت شفاعته بكل من شأنه أن تناله شفاعته عن إذنٍ من الله، قال تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة:٤]، وأصل ذلك ووسيلته أن يجعل الله ﷻ بين ذي دركٍ دركٍ وصاحب درجٍ وعلوٍّ وسيلة برٍّ من برِّ الوالدين، أو خيرٍ من خير الدنيا، فيكون ذلك إذنًا في الشفاعة له، فلذلك يجري شفاعة النبي ﷺ في جميع أمته بما شهدوا له بالنبوة، ويجري بوجهٍ ما في ذوي قرابته وذوي رحمه، حتى لا يكاد ينبتر عن شفاعته من أهل العقاب إلا من اجتثت الوسائل كلها بينه وبينه من برِّ الدين وخير الدنيا ووسائل الرحم، فأولئك الذين لا ينالهم سبعة الرحمة إلا من الله بلا واسطة، فيكون هو ﷺ صاحب بشراهم، فيكون له بشرى اليائسين، فيكون له إحاطةٌ في التفضيل بالأسماء بالقسم لأولي العلوِّ والدرجات والشفاعة لا الوساطة والبشرى لأهل اليأس الذين لا ينالهم إلا سعة الرحمة، فتكون هذه الأسماء المفضَّلة ثناءً له في أسمائه، رجعًا على جميع ما له من اسم الحمد.

* * *

[اسمه ﷺ: صاحب لواء الحمد]

اللواء: علم أجلّ من يتقدَّم بالجيوش من نبيٍّ في زمان النبوة، أو خليفةٍ في حضرة الخلافة، أو أميرٍ في موقع الإمارة، أو ملكٍ في زمن الملك، وهو ما يرجع إليه الأتّباع من علمٍ مشهودٍ بجمعهم إلى واحدٍ من أعلامٍ متفرقة، فهو علم الأعلام الذي تجتمع إليه الأعلام الجامعة، فهو ﷺ في ذاته لواء حمد ربِّه، واسمه أحمد ومحمد لواء الأسماء، وهو صاحب اللواء يوم القيامة كما قال ﷺ: «أنا صاحب لواء الحمد يوم القيامة، ولوائي

يبلغ المشرق والمغرب، والأنبياء والمرسلين كلُّهم تحت لوائي، ولا فخر[1]»، وإنما اختصَّ ﷺ بلواء الحمد بما أشهده الله من كلية أمر الله وخلقه جمعًا، لا مذمَّة فيه، ولا عيب يلحقه، ولا نقص يتطرق إليه من حيث إنه ينظر إليه من هو قائمٌ بقيوميَّة الله حمد في جمعه وبفضله ورتقه وفتقه ووصله وفصله، وإنما يفقد الحمد من ينظر إلى التفضيل والتفريق غير ناشئٍ عن وحدة جمعٍ، ولا مفروج عن جمع إحاطة، وأصل منفرد واحد، فيتفضَّل له الكون في مدحٍ وذمٍّ من حيث ينحجب عن مجرى القيومية فيه وسوائها في تكوينه، فلا يكون ذا حمدٍ ولا يزال صاحب مدحٍ أو ذمٍّ مفترقٍ ولا منفرجٍ.

واعلم أن نباء المعاد نباءٌ بواسطة ملكوتي بين بادية كائن يوم الملوك وغاية مما وراء عالم الملك والملكوت جمعًا، فهو ﷺ صاحب الحمد في الدنيا، وصاحب لواء الحمد في يوم المعاد، ومشهد الحمد لأهل الحمد، الذي إليه الانتهاء شهادة اللواء للجمع في عقبى نهاية العود إلى الله، الذي إليه المنتهى وليس وراءه مرمًى، فذلك كمال الحمد الآلي في يوم الملك، ولمن شاء الله أن يلحق بهم فيما وراء ذلك إلى أن يرضى ﷺ الرضا الموعود الذي قيل له فيه: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى:٥].

* * *

[اسمه ﷺ: صاحب ألقضيب]

لما كان ﷺ راعيًا للخلق سابقًا لجميع الكون إلى مواردهم من أقدار ربهم ذائدهم عمَّا حقُّهم الحمية منه كان ﷺ لا يكاد ينفكُّ عن أن تكون في يده إشارةً تشير إلى رعاية أصناف من يرعاه من له طواعيةٌ كطواعية الغنم، أو إباءٌ كإباء الإبل، وما بين ذلك مما يقبل الرفق أو مما لا ينفكُّ إلا بالقهر، فكان ﷺ صاحب القضيب يرعى به أهل الطواعية من الخلق، وصاحب الهراوة يسوق بها أهل الأنفة من الملوك، وصاحب السيف يقدُّ ويقطُّ به من لا تزيده الحياة إلا شرًّا، فيناله رحمة الله التي بُعث بها على يديه، بالاكتفاء من شرِّه بما وقع منه دون مزيد بمهله إليه، وصاحب القوس يرمي به عن بُعد من نظره النفاذ، ولجأ إلى الفرار؛ ليكون ﷺ نائلاً برحمته الفضل المبتدأ على مراتب دنوِّهم، وليكفَّ برحمة قطع المزيد من الشرِّ المتباعدين على قدر تفاوت

---

(١) رواه الترمذي (٥/٣٠٨)، وأحمد (١/٣٨١)، والحاكم في المستدرك (١/٨٣)، والبيهقي في الشعب (٢/١٨١)، وأبو يعلى في مسنده (٤/٢١٥)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/١٦)، والمناوي في فيض القدير (٦/٣٦٤).

تباعدهم، بما هو رسول الله إلى النَّاس كافَّةً وإلى الثقلين وإلى جميع الخلق، فله فيما يُسئل، بيده إشارةٌ يظهر أثرها في الوقت وفيما بعده في يومه إلى يوم القيامة، فهو برعاية أهل الطواعية صاحب القضيب.

***

[اسمه ﷺ: صاحب الهِرَاوة]

لما كان ﷺ داعيًا إلى الله تنال دعوته جميع الخَلق ملوكهم وسوقتهم كان ﷺ يمسك الهراوة؛ ليكفَّ بها أهل العُتوِّ، كما قيل لكسرى في رؤيا رآها عند مبعث النبي ﷺ: سلّم ما بيدك لصاحب الهراوة، والهراوة: عودٌ صلبٌ، له حظٌّ من الغلظ كالذي يكون في الفأس ونحوه من الأشياء التي تستعمل في الكسر والقصم ونحو ذلك، فكان من أثر هراوته ﷺ ما استلب من ممالك الملوك في يومه من الأكاسرة وأهل الجاهليات الذي هم من جنس كسرى، في أنهم ليسوا ممكنين، ليس لهم حدة المقاتلة بالسيف، من حيث ليس لهم كتابٌ ولا شريعةٌ يجادلون به أو يخاصمون به، ففي الإلاحه معنى ذلك أن سيفه ﷺ متوجِّهٌ نحو أهل الكتاب، من كفر منهم ولم يدين دين الحق، ولم يؤمن بالله واليوم الآخر، ولم يلتزم بتحريم ما حرَّم الله ورسوله من حرمات الله ومحارمه، التي من أصلها تتفاصل الأديان وتتشعبُ الفرق وتتشتت الأهواء، حتى ينالها سيفه ﷺ في يدٍّ عمريَّة جاذبة إلى ظاهر الإيمان، أو في يدٍّ علويَّة جائشة إلى شهود الإحسان، فكأنَّ ما يكون بيده إشارةٌ جامعةٌ لما بعض تفاصيله ما أودعه الله في عصا موسى من الآيات والمآرب والدعاية وغير ذلك، بما كل نبوةٍ من نبوته، وكل رسالةٍ من رسالته، وكل أثرٍ من قوادح آثاره، بما كل الكون من نوره ﷺ.

***

[اسمه ﷺ: المبعوث بالحق]

البعث: ظهورٌ عن غيب، بمنـــزلة بعث الماء البادي من غيب الحجارة والأرض، فالبعث: ظهور النبوة على النَّبيِّ عن غيب أمر الله، بمنـــزله بعث الأجسام من القبور بعد الموت، كذلك النبوة: بعث القلوب للحياة بعد موت الغيبة، قال تعالى: ﴿**مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ**﴾ [الشورى:٥٢]، ولما كان الحقُّ حقَّين: حقُّ الإحاطة الذي هو ظاهر باطن الحمد، الذي به خُلقت السماوات والأرض، وهو إقامة الكل بقيومية الحقِّ المبين، الذي يظهر للخاصِّ والعامِّ يوم الدين، وكان ذلك الحق الإحاطي

الذي يظهر عليه من رأى الكلَّ من الله قيامًا، وشهده قائمًا بالقسط يخفضه ويرفعه، متصنفًا صنفين: صنفٌ يتعقب إرادته وكونه الرضا، وهو إقراره بعد كونه، وذلك هو حقٌّ يقابل باطلاً، وهو الذي يعرفه من لم يشهد هذا الحقَّ الجامع، و في مقابلة ذلك ما لا يقرُّه الرضا بعد كونه وإرادته، وذلك هو الباطل، وكان للحقِّ المقابل للباطل منعه، و في رتبتي الدين من الإسلام والإيمان كسعة ما يبدو من الصحابة في الأحكام، كما قال ﷺ: «من جاء من أصحابي فهو في سعة[1]»، وسعة رتب الإيمان من أدنى الإيمان كإيمان السوداء التي قال لها النبي ﷺ: «أين الله؟ فقالت: في السماء[2]»، وذلك أدنى الإيمان، إلى أوسط الإيمان الذي يلحظ: استوى الرحمن على عرشه، إلى عَليٍّ من الإيمان وهو الذي يلحظ ربَّه في قلبه، كما قال ﷺ: «وسعنِي قلبُ عبدي المؤمن[3]»، فكان ﷺ هو المبعوث بجماع هذا الحقِّ الذي له مقابلٌ من الباطل علمًا وإيمانًا، و في باطنه إلاحة بعث بالحقِّ المحيط، الذي يبدو فيه الكلُّ حقًا، الذي منه قوله ﷺ: «السحرحقٌّ[4]»، فهو المبعوث بالحق في الرتبتين: الإحاطة الجامعة للحقِّ المبين، والإحاطة الجامعة للحقِّ المقابل بضده من الباطل.

***

[اسمه ﷺ: المتعلِّم بالحقِّ]

العلم: ما أُخذ بعلمٍ، والتعلُّم: ما تأتّى إليه بتلقٍّ، كما قال تعالى: ﴿**وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ**﴾ [النساء:١١٣]، فهو ﷺ المتعلم من ربِّه بالحقِّ الجامع للحقِّ المبين، والمخصوص بجماع سعة الحقِّ الذي يقابله الباطل، ففي هذا الاسم تنـــزيهه ﷺ بما هو النبيُّ الأميُّ، لم يدخل في تعلُّمه نظرٌ بتكلُّف التعلُّم عنه، فيداخله ما شأنه أن يلابس من يأخذ عن نظرٍ وفكرٍ وتأمُّلٍ، فأغناه الله بما علَّمه عن كلِّ ذلك، فيكون منتقلاً من أميته إلى تعليم ربِّه بالحقِّ، الذي لا وهم يتطرق إليه، ولا خيال يلابسه، ولا حسَّ ينازعه،

---

(١) ذكره الشوكاني في نيل الأوطار (٨٤/٥).

(٢) رواه مسلم (٣٨١/١)، وأبو داود (٢٤٤/١)، والنسائي في الكبرى (٣٦٢/١)، وابن حبان في الصحيح (٣٨٣/١)، والطبراني في الكبير (٣٩٨/١٩)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٦٢/٦)، والبيهقي في الكبرى (٣٨٧/٧).

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٤٩٦/٢)، والقاري في المصنوع (١٦٤/١).

(٤) انظر: شرح سنن ابن ماجه (٢٥٣/١).

ولا باطل يلتبس به، كما شأنه أن يعرض للمتعلمين على رسم ما دون تعلمه العليِّ بالحق، فكان أميَّ النبوة أميَّ الأمة، علَّمها بالحقِّ كما تعلَّم بالحقِّ ﷺ.

***

[اسمه ﷺ: القائم بالحقِّ]

لما كان لأهل العلم اطلاعٌ ولأهل الملك والسلطان اقتدارٌ جمع الله لنبيه ﷺ الغناءين، فعلَّمه بالحقِّ، فكان متعلِّمًا بالحق، وأقامه بالحقِّ، فكان قائمًا بالحقِّ، وهو أوَّل داخلٍ في أفراد قيامه العليِّ في قوله تعالى: ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قائمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [آل عمران:١٨]، فكان قائمًا بالحقِّ من عزَّة ربِّه، متعلِّمًا بالحقِّ من حكمة ربِّه، فكان له غناء الملك مع السلامة من فئته؛ ليتمَّ له الإخلاص من بالعبودية، التي بتمسكه بها أعلاه الله ربُّه حيث لم يقل من العالين، وأقامه بأمره ختمًا في الدنيا، وابتداءً إلى غاية نهاية في العقبى.

فهو ﷺ القائم بالحق في عالم الملك والملكوت وفي عالم الدنيا والآخرة، قبل ظهوره، وحال ظهور صورته، وبعد خفاء صورته، فكلُّ قائمٌ بحقٌّ في أمته، فمن قيامه فهو بالحقيقة القائم بالحق لا سواه، إلى أن ينتهي الأمر إلى القائم بالحقِّ في ختم هذا اليوم المحمديِّ، الذي بقيامه العليِّ تصير الملَّة واحدةً، وتُملأ الأرض عدلاً كما مُلئت جورًا وظلمًا.

***

[اسمه ﷺ: العالم بالحقِّ]

لما كان العلم فيه رتبتي ذي علمٍ وعليمٍ من صاحب علمٍ ومتَّصف بالعلم كان ﷺ متعلمًا ما شأنه التعلُّم، عالمًا بما وراء ذلك بما لم يكن يعلم، وكان عالمًا بالحقِّ على رتبته جمعًا إحاطيًّا وجماع تفصيلٍ، فكان عالمًا بالحقِّ في كلِّ رتبةٍ من رتب العلم، من علم ما في الأرض من المنافع والمضار، بحيث لا يدخل علمه ريبٌ أهل التجربة وأهل الحدس وتنازع ظنونهم، وكان عالمًا بأمر الأرض بالحقِّ، حتى يقول ﷺ من الكليات والتثبتات في الأمور الظنية مثلاً ما لا يدخله فيه ريبٌ، ولا يرتاب فيه مؤمنٌ، مما لا ينال ثبت حقه علم أهل التجارب ولا علم أهل التطيب، وكذلك علمه بأحداث الآفاق وتسيير النجوم وحركات الأفلاك، وما وراء ذلك من ترتيب السماوات وجواهرها وما تحت الأرضين وترتبها، وعالم الملكوت والقيامة، وبعالم الملل وجهات تطورات المخلوقات

وتنـــزلات أمرها، بحيث ما تكلّم متكلمٌ قطُّ بعلمٍ يناله مليئ ولا تخلّى من علمٍ نقليٍّ ولا عقليٍّ إلا هو ﷺ العالم بالحقِّ فيه، كما قال تعالى: ((واجعل الحكمة معقولةً)) وفيما وراءه جمعًا وتفصيلاً، كأين وقت ونبأ ما مضى وخبر ما لم يكن؟ وعلمًا بتكيفات الأشياء حتى أنبأ ﷺ من ذلك عمَّا لا تناله العقول؛ لقوله ﷺ: ((إن النطفة إذا وقعت في الرحم طارت في كلية المرأة، حتى تشيع في جملتها، ثم تجتمع اجتماعًا إلى محلها بما أخذت مما حملت في شياعها من صورة تبدو بها[1]))، وغير ذلك من حقائق ما تكلّم فيه ﷺ مما لم يدرك أهل الملل والنِّحل إلا أطرافًا منه ملتبسةً بضروبٍ من التخيلات والظنون، وهذا الاسم من أخصِّ الأسماء به ﷺ بما أطلعه الله عليه من علم كلِّ شيءٍ دقّ أو جلّ.

فهو بالحقِّ أن يكون هو ذا العقل الأوَّل، والنفس الأولى، والعلم الأوَّل، الذي كما علم آدم الأسماء، ولإدريس عليه السلام علم الحكمة، ولا علم عالمٌ من علم الله علمًا إلا وهو ﷺ السابق إليه بدءًا وختمًا، كما ذكر عن عليٍّ عليه السلام في قوله: ((فكان حظ آدم من الخير بنا وبنطقه بمستودع نورنا[2])).

***

[اسمه ﷺ: الضارب بالْحُسام المثلوم]

الضرب: أشد الوقع، والحسام: السيف القاطع الماضي، والثلم: كسرٌ في حدّ الشيء، فالمثلوم الذي تكرر الضرب به مرةً بعد مرة، فلم يكن الضرب به فلتة بل لزومًا إلى قصد غاية، كما قال ﷺ: ((حتى علنت كلمة: لا إله إلا الله[3]))، ولا يزال سيفه المثلوم ضاربًا حتى تضع الحرب أوزارها، عند علن أمر الله وتكرره في الرتبتين، في رتبة ضرب لغاية أن يقولوا: لا إله إلا الله، وذلك هو إسلامٌ يعيذ من أحكام الدنيا، فإذا قالتها قلوبهم فذلك إيمانٌ يعيذهم من أحكام الأخرى، فإذا عاينتها نواظرهم فذلك كمال الإحسان الذي عندها يرتفع الضرب وينحل الوثاق المشار إليه في قوله تعالى: **﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى**

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٧٧/٣)، والبزار في مسنده (٢٨٠/٤)، وابن أبي عاصم في السنة (٨٠/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤١٤/٢)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (٢٨٥/٦).

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) حديث كشفي صحيح.

﴿تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد:٤]، فهو حسامٌ إسلاميٌّ ظاهرٌ، وحسامٌ إيمانيٌّ متوسطٌ، وحسامٌ إحسانيٌّ متميزٌ، فالإيمانيُّ كحسام خليفة رسول الله ﷺ في قتال أهل الردة حتى ردَّهم إلى الإيمان بقبول الأحكام على الدوام من الله ورسوله وخلفائه وأئمته دوامًا مع دوام شريعته وبقاء سنته، وحسامٌ إسلاميٌّ ظاهرٌ كحسام أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب ﷺ الذي فتح به فتوح الإسلام، واستنقذ به الأقطار والأمصار من أيدي أهل الكفر والطغيان، وحسامٌ علويٌّ أوليٌّ هو الحسام الإحسانيُّ الفاتح لإغلاق القلوب، القاطع لحجبها وأستارها؛ لظهور ضياء الإيقان والنقلة عن غيب الإيمان إلى عِيان الإحسان، وكلُّ حسامٍ للنبي ﷺ الذي تقرر به الضرب جمعًا في آن النبوة، وتفضيلا في رتب الخلافة، فلظهور السيف الإسلاميُّ لم يختلف فيه، ولذلك لم يختلف على عمر ﷺ في زمانه؛ لقتاله على ظاهر الإسلام المقاليّ، ولخفاء الحسام الإيمانيّ وقع على خليفة رسول الله ﷺ اختلافٌ فيه، ثم يعقبه الإذعان إليه، ولغيبة الحسام العلويِّ الإحسانيّ لم يقع عليه اتفاقٌ، ولم يثبت فيه إلا إمامٌ يدور الحق معه حيث دار، أو منقاد إليه مذعن لعلمه، فالإسلام في الفقر قليلٌ، والإيمان في الإسلام غريبٌ، والإحسان في الإيمان عجيبٌ، ولحسامه ﷺ مرجع ضرب كلِّ حسامٍ، ضرب به في أمته في إحدى الرتب الثلاث إلى أن تضع الحرب أوزارها.

***

[اسمه ﷺ: الأعلم بالله]

ولما اتَّصف ﷺ بالعلم وكان للعلم معلمان: معلمٌ ظاهرٌ: هو الحقُّ الذي قرن بوصفه به صيغة الفاعل في اسمه (العالم بالحقِّ) كان ما علمه بالله الذي هو بكل شيءٍ محيطٌ صيغة الإنهاء، فكان اسمه منه (الأعلم بالله) بحسب إحاطة اسمه تعالى (الله)، وظهر اسمه تعالى (الحق)، فكان له ﷺ من العلم بالله ما انتهى إلى نهايةٍ ليس وراءها في العلم منتهًى، هي حدُّ معرفته التي هي رأس مال علمه؛ لانتهاء علمه بربِّه إلى عيانٍ اختصَّ به، كما قال ﷺ: «أُعطي موسى الكلام وأُعطيت أنا الرؤية[1]»، فكان الأعلم بالله بما انتهى علمه إلى رؤيته، وكان كلُّ علمٍ بالله من نور علمه، كما كان العلم تفضيلاً من تفضيل الحق من علمه بالله، فأتى اسمه العالم بالحق واسمه الأعلم بالله عن إحاطة ما آتاه الله من علمه الذي: ﴿لاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾ [البقرة:٢٥٥].

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (١٦٢/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٢١٣/٢).

فكان قائمًا بالحق القيام الأتمَّ الذي منه اسمه (القائم بالحق)، فالتأمت أسماؤه من العلم ظاهرًا وباطنًا، وقيامه جمعًا وتفصيلاً، وانتهى علمه إلى الكمال بشهادته المضمنة رأسًا وإحاطة في قوله: «شهد الله»، فكان أكمل الشهداء؛ لقوله تعالى: ﴿يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ١٤٣]، وكان أكمل العلماء علمًا بما في مضمون قوله: ﴿وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وكان أكمل القائمين قيامًا بما في قوله: ﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨]، فكان في الثبت أكمله، وكما هو ﷺ في الثبت أكملَه وأتمه إحاطةً، فكذلك هو في المحو أكمله وأتمه محوًا، فلذلك هو الأعلم بالله الأتقى لله.

* * *

[اسمه ﷺ: الأتقى لله]

التقوى: البراءة من الاستغناء بشيء من دون الله، فكلٌّ ما كان أبرأ كان أتقى، فهو ﷺ انبرى أن يستغني بشيء من مِلك أو مُلك أو فعلٍ أو وصف أو آنية، فهو بذلك ﷺ الأتقى لله، وصف كمالٍ وصيغته انتهاءً؛ فهو ﷺ الذي اتَّقى الله حقَّ تُقاته، فذكره، فلم ينسه، وأطاعه، فلم يعصه، وشكره، فلم يكفره، بما هو الأتقى الذي لم يستغنَ بشيءٍ مما به غنى الخلق، وبما للصدِّيق ﷺ من براءته من ماله لله ولرسوله، ومن براءته من نفسه لله ولرسوله، نـــزعًا للاستغناء بشيءٍ من ذلك؛ إذ لا غنى إلا لمن استغنى بالله، أو بما منَّ الله.

ورد أن النبي ﷺ قال: «أنا مدينة التقوى وأبو بكر بابها[1]»، فهو ﷺ الأتقى براءةً مما سوى الله، وغنيٌّ بالله لا بما سواه.

* * *

[اسمه ﷺ: الأخشى لله]

لما كان ﷺ الأعلم بالله كان الأخشى لله؛ لأن الخشية على حسب العلم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، فالعالم بإحاطة أمر الله علوًّا وسفلاً ويمينًا وشمالاً وخلفًا وأمامًا تنبسط خشيته انبساط علمه، فيخشى الله في قهره ومكره، كان ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ احفظني من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٢٣٦) بنحوه.

وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أُغتال من تحتي(١)»، فمن إحاطة أمر الله من كل وجه خشية من كل وجه، ومن انحاز في أمر الله إلى وجه كان حاله الخائف لا حال الخاشي؛ لاختصاص جهة توقيه، قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، فلإحاطة علمه ﷺ إحاطة خشية فكان الأخشى لله ﷺ.

***

[اسمه ﷺ: النَّبيُّ]

النبوة الخاصة به ﷺ هي نبوة الرفعة المشتقة من نبوة الأرض: وهو ما ارتفع منها، فلرفعته في وجوه الرفعة كلها عروجًا وتدليًا رفعة إحاطة لا رفعة اختصاص كان ﷺ نبيَّ النبوة التي هي عُلوٌّ، وعلت نبوته عن أن تكون خبرًا من النباء؛ لاستغنائه بالعلم عن الخبر، ولذلك والله أعلم لما قيل له: يا نبيء الله (بالهمزة) قال: «لست بنبيء الله؛ أنا نبيُّ الله(٢)»، فبين اختصاصه بنبوة العلو والرفعة، وتنـــزهه عن نبوءة النباء والإخبار، الذي هو حظٌ من لا علم له بما نبئ به، فلما علمه الله ما لم يكن يعلم كان ﷺ نبيَّ علوٍّ، لما انتهى إليه علمه إلى الغاية الجامعة المحيطة فكان العالم بالحق الأعلم بالله، كانت نبوة تمامًا، فكان النبيَّ المكمل بما يشير إليه الدوم كلمة (ال)، فإذا أطلق اسم النبيِّ اختصَّ به هو ﷺ، وإلا قيل: نبيُّ بني إسرائيل، ونبيُّ بني فلان.

فهو النبيُّ المحيط النبوة، الذي كلُّ النبوة من نبوته، السابق في النبوة، كما قال ﷺ: «كنت نبيًّا وآدم بين الماء والطين(٣)»، وهو ﷺ النبيُّ بما أوحى إليه ربه ما أوحى بلا واسطة مُلقٍ ولا مُبلغٍ، المنتهي في النبوة إلى جمع علو السمع، والعين المنتهية إلى الوجد العليِّ الذي هو به نورٌ كله، قلبه وقبره وشعره وبشره ولحمه وعظمه ودمه، حتى كان ﷺ طاهر الدم طاهر جميع الفضلات بما هو نورٌ كله، فهو النبيُّ مطلقًا في ذاته نورٌ، وفي بيانه إنارةٌ.

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٢/٢٢٥)، وفي الأدب المفرد (١/٢٤٣)، وأبو داود (٤/٣١٨)، والنسائي في الكبرى (٤/٤٦٦)، وأحمد (٢/٢٥)، وابن ماجه(٢/١٢٧٣)، والديلمي في الفردوس (١/٤٥٦)، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/١٣٥)، والحاكم في المستدرك (١/٦٩٨).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٤٢٠)، وابن عدي في الكامل (٢/٤٣٧)، وذكره الذهبي في الميزان (٢/٣٧٦)، وابن حجر في لسان الميزان (٤/٥).

(٣) ذكره المناوي في فيض القدير (٥/٥٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢/١٦٩)، والقاري في المصنوع (١/١٤٢)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/٥٦).

[اسمه ﷺ: الأميُّ]

هذا الاسم من أخصِّ الأسماء به ﷺ، بما أعلى في النبوة إلى ما وراء الحساب والكتاب، فهو على أميته لا يكتب ولا يحسب، ففطرته من وراء ما فطر الناس عليهم، قال تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ﴾ [الشورى:٥٢]، و في إشعار أميته ﷺ ما انتهى إليه أمره من إطلاق مضمون قوله: «لا أحصي أسماءك، ولا ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك[١]».

و في آثاره عن الله يقول لعبد من عباده: «ما دمت تكتب دمت تحسب، فإذا لم تكتب و لم تحسب جعلت لك حظًا في الأمية، فكنت من النبيِّ الأميِّ».

وهو ﷺ مأخوذٌ إلى ما وراء الحدود، مزجوجٌ به إلى ما وراء الحجب، أدبه من ربه من غير واسطة، كما قال: «أدّبني ربِّي فأحسن تأديبي[٢]»، أدبه مبدأ الآداب، وعلمه مبدأ العلوم، منه تعلَّم المتعلمون بما علمه الله، فلم يكن له تعلم من كتاب كتب قبله، وكذلك عظم التقول عليه في قول القائلين: ﴿أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان:٥]؛ لكونه منزَّهًا عن ذلك في أميته وفطرته وبهذه الأمية والسذاجة عن أخذ العلم من الكتب والآثار فضل العرب والعجم بما تولَّى الله تعليمها، و لم يكلها في تعلمها إلى أنفسها كلة طوائف من العجم الذين تعلَّموا من الكتاب، وحسبوا من قوانين الحساب.

رُوي: أن عليًّا الطَّيْلا سُئل وهو يخطب عن الفريضة الدنياوية؟ فأجاب في الوقت من غير فكرٍ فيما شأنه أن يفكر فيه الليالي والأيام، فأوتي أئمة العرب من منال الفطرة في غوامض الحسب ما يحتاج فيه الأعاجم إلى إتعاب الأفكار وقطع الأعمار، فكان فضل العجم للعرب نقصًا، وكانت سذاجة العرب وإغناؤها عن مطالعة الكتب والحكم فضلاً، حتى علَّمها ما لم تكن تعلم، كما قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا

---

(١) رواه مسلم (٣٥٢/١)، وأبو داود (٢٣٢/١)، والترمذي (٥٢٤/٥)، والنسائي في الكبرى (٩٨/١)، وأحمد (٩٦/١)، وابن ماجه (١٢٦٢/٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٥٣/٢)، والحاكم في المستدرك (٤٤٩/١)، وابن حبان في الصحيح (٢٥٩/٥)، والبيهقي في الشعب (٣٨٥/٣).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٢٢٤/١)، والعجلوني في كشف الخفا (٧٢/١)، والقنوجي في أبجد العلوم (٣٨٧/٢).

لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]، فكان علمها من ربها، ولذلك يوجد من الأميين من البله من يؤتيها الله ما لم ينله أحدٌ من حكماء العجميين، بما أن فضل العلم الذي يعلمه الله العبد على الذي يتعلمه الخلق بعضهم من بعضٍ، فيستنتجونه من أنفسهم وعقولهم، كفضل الله على خلقه، ولذلك تبعت العجم العربَ، فكانت العرب أئمةً والعجم أمةً، فالأميُّ يقرئه الله ما كتبه بيده، وما خطته أقلامه العلية في ألواح قدسه، فيغنيه بذلك عن أن يقرأ ما تكتب الخلق، أو ما يكتب من سوى الحق، حتى حمى الأمي من وضع صور الحروف في الكتاب، كما حمى أمته من صنعة التصاوير لذوات الأرواح، فبرئت يد الأميِّ من كل صورةٍ كانت صورة خلق أو كتاب أمد، وأسلم لله أمرًا، كما أسلم الصورة لله خلقًا، فلم يكتّب و لم يحسب، فكان كذلك الأميُّ كملاً.

***

[اسمه ﷺ: العربيُّ]

العرب الأمة البالغة في البيان إلى أبرع براعته وأتم بلاغته، بما أوتوا من الوفاء بأوصاف الأنفس، فأبانوا عمَّا وجدوه في ذلك، وأعربوا عنه إعراب واحدٍ له متحقق به، لا إنباء مخبر عنه، متلقٍّ حقيقته من غيره، وتلك حال عامَّتهم في القرْب البيانيِّ، الذي هو بيان ما في الطباع وجوده من مكارم النفس وفضائل الأخلاق، التي بالاهتمام بها والعناية بتوفيتها أعرضوا عمَّا توفرت دواعي الأعاجم عليه من أحكام المثاني، وتوشية الملأ، وتطييب المطاعم، فرغبت العرب عن الأمور الحسية الجسمية، وتوفرت عنايتها بالفضائل النفسانية من الحلم والوفاء والجاه والحفيظة والذمَّة والصدق والأمانة، وأعربوا عن ذلك إعراب من يحسن به في نفسه، ويجد عار نفسه، ويستطعم مذاق كماله في طباعه وطباع آله وعشيرته، فكانوا أهل معانٍ لا أهل مبان، حتى قيل في مثلٍ: (خلَّدت العرب أمرها بالمعاني، وخلدت الأعاجم ملْكها بالمباني، فتهدمت المباني وبقيت المعاني)، فجعل الله لذلك ولما وراءه أمرهم ختمًا للوجود وكمالاً للإبداء، فجاء بهم وبأمرهم عند كمال إنشائه وتتمَّة إبدائه، وجعلهم مطَّلعين على جميع من تقدَّمهم من الأمم السابقة والقرون الماضية، يقضون على فضائلهم، فيوفُّونها، ويطَّلعون على معانيهم فيتوفونها، فبررت سابقتهم على سوابق الأمم، فكانوا لذلك شهداء على جميع العالمين، بما انتهى إليهم من علمهم، وبما علموا خبره من توفية أوصافهم، وجعل يومهم يومًا سابعًا موترًا لستٍّ أيام الأمم الخالية، كما كانوا يوم استوائه على عرشه سابع أيامه لستٍّ خلقه السماوات والأرض، فكان يوم الجمعة ويوم الجمع ويوم

العروبة فكان يوم البيان، فما كان من وفاء الاتِّصاف بأوصاف الأنفس والبيان عنه كان أمر عامتهم وما كان من الأنباء والأعراض، عما فتح لخاصتهم بنور الإيمان حتى كشفت بواطن أبصارهم ما قصرت عنه بيانات من تقدمهم من الأمم، فوقفوا عنه أو تحرَّجوا منه، فأنكروه، فثبت لهم موجودٌ سمعيٌّ: آمنت به قلوبهم بكشف بصائر أبصارهم موجودةً، وهو موجود العرش والكرسي والألواح والأقلام، فأنبأوا عمَّا كشفوه عِيان باطنٍ، كما أعربوا عن بيان فضائل الأنفس، فكذلك أعربوا عن موجود الروح الأمين والروح القدس، ولحظوا قاع العرش وموجود الجنة والنار عَيان كشف لم يصل إلى النباء عنه أهل كتابٍ قبلهم، فكيف بمن ليس من أهل الكَتب والإيمان فتضاعف إعرابهم وتنافت عربيتهم؟!

شهد جماعة من حاضري النبي ﷺ الروح القدس جبريل العَلَيْهِ قاعدًا بين يدي النبي ﷺ يسأله عن الدين، ورأوه داخلاً وخارجًا، وشهدوه مراتٍ عديدةً، وشهدوا الملائكة في مواقف حروبهم، وسمعوا حنين الجذع، ورأوا ثمار المحسوس الطبيعي من مدد غيبي مراتٍ لا تُحصى كثرةً، ورأوا نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ، وعند الله كل عنده، هو الذي ملكه الماء الذي منه كل حيٍّ، وهو نور كل شيءٍ، وسمعوا تسبيح الأشياء الذي ينكر ذوو العقول تسبيحها، إلى غير ذلك مما وسع إدراك حسِّهم وعلمهم، بما أجزل الله لهم من حظِّ العقل والعلم، فعلموا حكمة السماوات والأرض وما حوت، وعرفوا مستنزلات العرش والكرسي وما وعت، فكان ذلك حال المتوسطين في الرتبة منهم، فاتَّسعت عربيتهم بذلك اتساع من علم العالمين وشهد الدارين، وظهر عليهم من بركات ذلك ما أظهر منهم الزهد في الدنيا، ورفض بهجتها، فملكوها، وتركوها على قدرةٍ منها، وزهدوا عن غُنية، وحلموا عن قدرة، وتواضعوا عن رفعة، ولبسوا المرقّعات، وكسُوا الحلل، وخمصوا بطونهم، وأشبعوا من دونهم، فلم يضعوا لبِنةً على لبنة، ولا ادّخروا من ملك الله ومودّ الدنيا ذخيرةً، وأعدوا الله ورسوله لنوائبهم عدةً، فكانَ في اليقين قوتهم، و في الثقة كنزهم، و في النجاء إلى الله لنصرهم، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، وقال: ﴿فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ﴾ [آل عمران:١٧٣،١٧٤]، فهؤلاء أوساط العرب الذين أعربوا عمَّا شهدوا كشفًا من عالم

الروح، كما أعربت عامَّتهم عن فضائل النفس، وتأكّد رفضهم لظاهر أمر الدنيا وبهجة زينتها الظاهرة الجسمانية بما عاينوه، مما هو خيرٌ منه فيما كشفته حواسُّهم لما أيقنت به قلوبهم، فتركوا الدنيا على يقينٍ، كما تركها عامتهم عن ترفُّعٍ عنها، فتضاعف زهدهم كما تضاعف تغربهم، واتَّسعت علومهم وتمت عقولهم بما تولّى الله ربهم من تعليمهم، وجعل عدهم وعمدهم في جميع أمورهم، حتى شرب شاربهم السمَّ الناقع، فلم يبل به يقينًا واستدفاعًا لمضرته بما تعلموه من الاستعاذة بكلمات الله التامات عمَّا في سننه وحكمته من المضارِّ، فلم يتطرَّق إليهم ما تطرَّق لسواهم من الأمم من استيلاء أمر الطبيعة عليهم، بل علوا على كلية الحكمة بما اعتلقوا به من أمر الحكمة، من حيث لم يخافوا مما دون الله، ولا استنصروا بما سواه، ولا استرزقوا إلا منه، وملّكهم من ملك الأكاسرة والأقاصرة، وزوى لهم ملك المشارق والمغارب ما لم يكن لأمةٍ قبلهم، فملأ الكون غيبه، وشهادته عربية؛ فكانوا عرب الكون كله، المنبئين عن غيبه وشهادته، المثبتين لتفاضيل أحكامه وحكمه، القاهرين حكمه بكلمته، ثم اختصَّ به من أوساطهم من شاء، فكان محمد ﷺ العربيَّ الذي أبان عن ربِّه بيانًا لم يُعرب عنه أحدٌ قبله بما أعرب به هو عنه، فانتهت العربية إلى عربيته، وأقرَّ الله عنه بأن اتبع عربيته العليَّة أئمة أمته، فأعربوا من ربهم بما أحبهم باتِّباع إمام الأئمة نبيهم، فكان من أعظم عربيته ما أنبأ به عن ربِّه من عظيم أمره وقيوميته، من نحو قوله: «أعوذُ بعفوك من عقوبتك[1]» فمحى الأسماء والأفعال عمَّن سواه، وأعاد الأمر منه إليه إعلانًا بالحمد الذي شهده ووجده، وكما جمع الأفعال كلها إلى ربِّه، فاستعاذ بفعله من فعله، كذلك جمع الأوصاف إلى أوصاف ربِّه في قوله: «أعوذ برضاك من سخطك[2]».

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (٤/٤٦٨)، والبيهقي في الشعب (٣/٣٨٥)، والدارقطني في السنن (١/١٤٤)، والحكيم الترمذي في النوادر (١/٦٩)، والربيع في مسنده (١/٥٩)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٠٨).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٤/٤٦٨)، والبيهقي في الشعب (٣/٣٨٥)، والدارقطني في السنن (١/١٤٤)، والحكيم الترمذي في النوادر (١/٦٩)، والربيع في مسنده (١/٥٩)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٣/٣٠٨).

فلم يبق لمتصفٍ وضعًا، ومحى ما سوى أوصاف ربه إلى عليٍّ مستعاذه في قوله ﷺ: «أعوذ بك منك[(١)]»، فكان لهذا القرب البالغ إلى أعلى البراعة في النباء عن ربِّه هو العربيُّ الكامل العربية، الذي عربية أئمة أمته من عربيته، وعربية المطَّلعين على العالمين متعلقةٌ بعربيته، وعربية عامَّة العرب المنبئين عن فضائل الأنفس مشيرةٌ إلى عربيته، وكما كان أدنى العربية من هذا في ظاهر أمر الدنيا وزخرف جسمانياتها وتضاعف باطِّلاع أوساط العرب على العالمين زهدهم في الدنيا كذلك تحقَّق زهده هو ﷺ فيما سوى ربِّه، كما قال: «لي وقتٌ لا يسعني فيه غير ربِّي[(٢)]»، فهو بذلك العربيُّ الذي ليس وراءَ عربيته مرمًى.

* * *

[اسمه ﷺ: القرشيُّ]

القرش: الكسب، والتقرش: التكسُّب، وينبئ كلُّ اسمٍ من أسمائه ﷺ عن وجه كمالٍ وتمامٍ في كل جهةٍ من جهات التصرف في أمر الدنيا و في أمر الآخرة، و في أمر ما ظهر و في أمر ما بطن، وفيما يقال وفيما لا يقال، فكان مما أنبأ عن اتصافه ﷺ بأفضل أمر الدنيا ما أنبأ عنه اسمه (القرشيُّ)، وذلك أن الله ﷻ لما اصطفى من إبراهيم إسماعيل فآواه إلى حرمه كان هو وذريته فيه آمنين مما يطرق أهل الأرض من الغارة عليهم والنهب منهم، وكانوا هم أيضًا متنزِّهين بما هم أهل حرم الله أن يكسبوا بالغارة والنهب، فنزَّههم الله عمَّا كانت عليه الأعراب، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت:٦٧]، فجعلهم الله أهل تجارةٍ بالضرب في الأرض رحلة شتاءٍ وصيفٍ، حيث لم يكونوا أهل حرثٍ يذلهم للحرث الذي قال ﷺ في السكة لما رآها: «ما دخلت هذه بيت أحدٍ إلا ذُلَّ[(٣)]»، قال

---

(١) رواه مسلم (٣٥٢/١)، والبخاري في التاريخ الكبير (١٩٥/٨)، وفي الأدب المفرد (١٣٧/١)، وأبو داود (٢٣٢/١)، والترمذي (٥٢٤/٥)، والنسائي في الكبرى (٩٨/١)، وفي الصغرى (٤٧٠/١)، وأحمد (١١٨/١)، وابن ماجه (٣٧٣/١)، وأبو نعيم في الحلية (٤٦/٦)، وابن حبان في الصحيح (٣٧٣/٥).

(٢) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٤)، والعجلوني في كشف الخفا (٢٢٦/٢)، والقاري في المصنوع (١٥١/١)، وانظر: شرح سنن ابن ماجه (١١٣/١).

(٣) لم أقف عليه.

تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم:٣٧]، وكذلك لم تغلب عليهم الحرف والصناعات كغيرهم من الأمم، فاصط في الله لهم من أعلى أمر الدنيا التجارة، ولم يجعلهم ملوكًا؛ لما في الملك من العدوى وتقطُّع الأرحام، وإرادة الانفراد، وحفظ الرتب، والاستئثار بالدنيا، فكما اصط في أنفسهم للفضائل اصط في لهم في أمر التجارة، وقد صنّف الله أصناف هذه الأمة ثلاثة أصناف، فذكر التجّار في أولهم، ولأنه كان أول أحوال رسول الله ﷺ أن نخبر في قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠]، فهذه الأمة: صنف التّجار، وصنف الأمراء المجاهدين في سبيل الله، وصنف القرَّاء والعلماء، وسائر من سواهم بدمهم، وصنعة آلاتهم، والمنصرفون في تكملة أدواتهم، إلا أهل الظهرة منهم المؤدَّبون بسوط الله الذي وضعه في الأرض، وهو المرض كما قال ﷺ: «المرض سوط الله في الأرض، يؤدِّب الله به عباده[1]»، كأنّهم الذين يفتقرون إلى الأدب مما يقع منهم في متجرهم أو مجاهدتهم أو قراءتهم، فيكون المرض طهارةً لهم، فكذلك صنفٌ من الناس يكونون خَدمة المرضى، فيلحق الأصناف في العدد أربعةٌ: الذين ذكرهم ﷻ وسائر من سواهم خدامٌ لهم، فكان في تسميته بالقرشيِّ إنباءٌ عن اختصاصه واختصاص قومه وعشيرته بأجلِّ التكسُّبات في الدنيا، ولأنه لا يكاد أن يصحَّ الملك الذي يتَّسع لما يبرئ من الشحِّ بآداء الزكوات وقري الضيوف والإعطاء في النوائب مع البراءة من الذلِّ والاستيلاء والقهر إلا للتجَّار؛ لأن الملوك والأمراء لا يملكون إلا قدر ما يتقوَّتون، وسائر ذلك مال الله لا يجري له فيه ملكٌ؛ لأن إعطاءه حقٌّ عليهم، وإبلاغه لأهله آداء أمانة لأربابها من أهل الفيء والصدقات وغير ذلك، فلا يكاد يتحقَّق منهم الإنفاق أصلاً وكذلك الثراء، والعلماء أُلزموا ألا يتموَّلوا؛ لأنهم أئمةٌ لا يُسئلون أجرًا، ولاحقهم أن يرغبوا عن سنة نبيهم وخلفاء نبيهم، قال ﷺ: «من رغب عن سنَّتي فليس منِّي[2]»، وكانت سنته التزام الفقر لذي العلم؛ لما في العلم من الغناء، فكان ﷺ لا يتموَّل وخلفاؤه من بعده على ذلك، فلا يكاد العالم ولا الفقيه أن يقوم بوظيفة الإنفاق لواجب زهدهم وتركهم

---

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٦/٢٦٧).

(٢) رواه البخاري (٥/١٩٤٩)،

الدنيا لآبائها، فتعين التجار لفضيلة الإنفاق؛ فكانوا سراة أهل الدنيا، الواجدين لما ينفقون مما يتكسَّبون بما ينقلون من منافع الأقطار المتباعدة بعضها لبعضٍ، وأيدي التجار بما هم ممكنون من الإنفاق خزائن أمراء العدل وعلماء الإرشاد، ومن أموالهم كان عامَّة تجهيز جيوش رسول الله ﷺ، حرَّض يومًا على إعطاء تجهزيه جيشٌ، فجاء عثمان ﷺ بألف دينار، فسكبها في حجر النبي ﷺ، فرفع يديه إلى السماء، وقال: «اللَّهُمَّ لا تنسَ لعثمانَ هذا اليوم[1]»، وجهَّز في جيش العسرة ألف راكبٍ ما فقدوا شكالاً ولا عقالاً، وقال ﷺ: «ما نفعني مالٌ كما نفعني مثل مال أبي بكرٍ[2]»، فلم تزل أيدي التجار خزانة الله المتجهِّز منها خيل الله في زمن النبوَّة إلى أن تداركت الفتوح وتجهَّزت الجيوش من المغانم في أزمنة الخلافة، فتلك فضيلة قريش في جاهليتها وإسلامها، حفظ الله عليهم أن يكون أمرهم ملكًا، فيتعرَّف بعضهم على بعضٍ ويذلُّ بعضهم لبعضٍ، فجعلهم آمنين في حرمه أمنًا على ماله، قائمين بوظائف الملوك بأموالهم، قائمين بوظائف الإنفاق، متنــزهين عن بداوة الأعراب، فكان ذلك حال عامَّتهم، فترقَّى تقرش خاصيتهم إلى تجارة الآخرة، فكانوا قريشها بما ابتاعوا الآخرة بالدنيا، فربحت تجارتهم ونما ربحهم، وما ربح تاجرٌ مثل نفسه فربحوا أنفسهم، فكانت عامَّتهم تجار الأموال، وخاصَّتهم تجار الأنفس، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة:١١١]، كان حال أئمتهم وعليه خاصتهم أن ربحوا بما خرجوا عن أنفسهم الوجد بربِّهم، والمغبون من عين نصيبه من الله، كما قال عليٌّ ﷺ: «فبدَّلوا المال ونالوا أفضل الدنيا، وبذلوا الدنيا فنالوا خير الآخرة، اللَّهُمَّ لا خير إلا خير الآخرة، وبذلوا أنفسهم وخرجوا عن إراداتهم، وأمحى ذواتهم، وكانوا بربِّهم[3]».

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٥٩/١)، وذكره القرطبي في تفسيره (٣٠٦/٣).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٣٧/٥)، وأحمد في المسند (٢٥٣/٢)، وفي الفضائل (٦٥/١)، وابن ماجه (٣٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (٢٠٧/٥)، وابن عدي في الكامل (٧٥/٥)، وابن سعد في الطبقات (٢١٣/٣)، والديلمي في الفردوس (١٠٤/٤)، والخطيب في التاريخ (٣٦٣/١٠)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٧/٢).

(٣) حديث كشفي صحيح.

فكان اسمه ﷺ (القرشيُّ) منتهيًا إلى أعظم النيل وأجلِّ الربح، بما كانت المعرفة رأس ماله، وكان ربحه أن كان بربِّه؛ فهو القرشيُّ الذي لم ينته في القرشية أحدٌ لما انتهى إليه، فانتهت قرشيته إلى قرشيةٍ ليس وراءها مرمًى.

* * *

[اسمه ﷺ: الهاشميُّ]

أسماؤه ﷺ من حكم ما تصرفت منه أسماء كمالٍ فيما يخصُّ معناها من أي الجهات كانت: من نسبٍ أو حسبٍ أو مكانٍ أو زمانٍ أو حالٍ أو وصفٍ، فاسمه ﷺ الهاشمي منبئٌ عن اتصافه بالخصوصِ الهاشميِّ، وهو يغمره الإنفاقَ وسحبَ الفضلِ، فكما أنبأ اسمه القرشيُّ عن حال القرشيِّ في الكسب والتكسُّب الذي هو أفضله، أنبأ اسمه (الهاشميُّ) وهاشم عن أوسع الإنفاق وأتمِّ البرِّ من ذلك المال الذي هو عن تقرُّش؛ لأن من أنفق ماله من نهب فكأنَّه لم ينفق؛ لأنه لم ينفق عن كسب، فأجلُّ الإنفاق إنفاق الهاشميِّ القرشيِّ، وأكمل البر برهُ الذي أتى المال عن حبِّه في زمن الجاهليَّة، فكان لهاشم والهاشمين فضل البرِّ وإيتاء المال على حبِّه للعامِّ والخاصِّ حتى هشم الثريد لقومه؛ ليتعجل لهم أكله كما قيل، ورجال مكة مسنتون عجاف، فكان له ﷺ أخصية خصوص عموم إنفاق هاشم، فانتهى في الإنفاق إلى غايةٍ ليس وراءها مرمًى كما كان ما انتهى إليه في وصف القرشي غايةً ليس وراءها منتهًى.

«خرج ﷺ مرةً ومعه ثمانية دراهم؛ ليبتاع بها قميصًا، فيذكر أنه لقي جارية لقومٍ من اليهود بعثوها بدرهمين؛ لتبتاع لهم مرفقًا، فضاعت منها، فأبطأت عليهم يومها، فلقيها في روعتها فسألها عن شأنها، فأنبأته بخبرها، فدفع لها درهمين، فبقيت على حال روعها فسألها عن ذلك، فذكرت خوفها من عقوبتهم، فمشى إليهم ﷺ شفيعًا لهم فيها، فلما وصل إلى دار اليهودي وعرفه، قال: أبا القاسم. قال: نعم. قال: فيما جئت؟ قال: لأشفع لك في هذه السوداء. قال: يا أبا القاسم، هي حرَّةٌ، وأنا أشهد أنَّك رسول الله. فأسلم هو وأهل بيته، ثم عاد ﷺ إلى السوق فوجد عاريًا، فابتاع له قميصًا بأربعة دراهم، وابتاع لنفسه قميصًا بدرهمين، قال ﷺ: ما كان أبركها من ثمانية دراهم، أمّنت خائفًا، وأعتقت عبدًا، وأسلم عليها بيته، وكست عاريين[1]»، وأنفق ﷺ المال إنفاقًا لم ينفقه أحدٌ قبله ولا بعده، وجزا على الهدية كما انبا ما تقرر ومن كرم

---

(١) حديث كشفي صحيح.

شرعته أن ليس لها تقويمٌ، فأهدى له آخر قثاء وطبق رطب، فأثاب المهدي ملء كفه ذهبًا، وأُعطي ﷺ يوم هوازن فيما يُذكر أربعين ألف بعير، لم يعطها أحدٌ قبله ولا تهيأ أن يعطيها أحدٌ بعده، وأُعطي ما بين جبلين غنمًا، حتى قيل: إن محمدًا يُعطى عطاء من لا يخاف الفقر، وأنفق ﷺ الماء الذي هو مدد الأموال، وبر البر من يمينه، فعاين أصحابه ما كانت الشعراء تغلوا به في أشعارها من قولهم: إن أنامل الكريم تغني عن السحب، فكان ما أوغل به الشعراء في المدح مما لا يظنون أن يكون كائنًا عن عادته ﷺ، ولا يكاد يمرُّ له وقتٌ إلا ويصرفه فيه الإنفاق تصرف برٍّ وإيثارٍ لا ينفق من دوامه، فكان أحقَّ هاشميٍّ باسم (الهاشمي) بما أعلى الله من خليقة هاشمٍ، في أمر إنفاقه وبرِّه وإيتائه المال على حبِّه ومحبَّته في بذله و في الأخذ منه و في أكل طعامه، فكان هو ﷺ من الهاشمية في الغاية القصوى، حتى أنبأ سرُّ إنفاقه أن وجود كلِّ شيءٍ من وجوده، ونور كلِّ شيءٍ من نوره، فهو هاشميُّ الله، الذي انتهت الهاشمية التي هي علم اسم الإنفاق إليه ﷺ.

***

[اسمه ﷺ: المكيُّ]

اعلم موفقًا أن الله ﷻ خلق الخلق، ونـــزَّل الأمر، واصط في من خلقه وأمره ما شاء لنفسه، فكان من أجلِّ ما اصطفاه من التربة تربة مكة وجبالها وبطحاها، وخصَّها بالخليل غايةً، وبالحبيب بدايةً، وجعلها أم القرى، فدحى الأرض من تحتها، فجعلها ممد البركة، ومنشأ الهدى العام لجميع العالمين، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ أَوَّلَ بَيْــتٍ وُضِــعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران : ٩٦]، وجعلها قيامًا للناس وأمنة للأرض، كما قال تعالى: ﴿**جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَــرَامَ قِيَامًــا لِّلنَّــاسِ**﴾ [المائدة:٩٧]، وقال ﷺ : «الكعبة أمنة الأرض، فإذا خربت الكعبة أتـــى الأرض مـــا توعد[1]»، وفي طيه: «إن فتنة الأرض من فتنتها، ومخافة أهل الأرض مـــن مخافتـــها، وسفك الدماء في الأرض من سفك الدماء فيها، وإنها إذا حفظت حرمتـــها انحفظـــت الحرمات في الأرض، فإذا ضيعت حرمتها تداعت وتدكدكت حرمات الأرض، وهـــي بقعةٌ عرشيَّةٌ؛ ليقودها في السماوات السبع والأرضين السبع[2]»، قال ﷺ: «إنَّها خمسة

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) حديث كشفي صحيح.

عشر بيتًا، فسقفها العرش، وماء زمزم من ماء العرش[1]»، هو نــزل الله للوافدين عليه في الدنيا، يبرئ من أدواء ماء المزن، وينبت اللحم والدم، فهو طعام طُعمٌ وشفاء سُقمٌ، وهو لما شرب له من منفعة، ولما شرب منه من داء ومضرة، يبرئ من أدواء ماء المزن، وماء المزن: ماء السماء الذي بيته في الأرض البيت المقدس، الذي وضع بعد وضع مكة بأربعين، وهو أدنى الأرض إلى السماء، وكما قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ [الروم:٢،٣]، وحكمه حكمها، كما أن حكم مكة حكم العرش، قال ﷺ: «من دُفن في البيت المقدَّس فكأنَّما دُفن في السماء[2]»، وقال: «الذي يغصب شبرًا من مكة فكأنَّما غصبه من تحت الرحمن[3]»، وبمعنى من ذلك والله أعلم كانت الصــلاة في البيت المقدس بخمسمائة صلاة أمر ما بين السماء والأرض كأنَّها واقعــةٌ في الســماء، تضاعفت أعدادها بحسب علوِّ موقعها، وبمعنى من ذلك كانت الصلاة في مكة بمائــة ألف صلاة؛ لأن مائة الألف ضعف الخمسين الألف، الذي هو معرج الأمر يوم الــدين يوم يكون للأمر أمرًا عرشيًّا، قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٧]، وقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، فكان بداية ظهور صورة النبيِّ ﷺ في الأرض في مكة التي هي حرم الله وأمنته للأرض، كمــا أن محمدًا ﷺ رحمةً لجميع العالمين، فكان المكيُّ الرحمة، المكيُّ الإقامة، المكيُّ الإمائــة، المكيُّ الإعادة، المكيُّ الحرمة، الذي كل معنًى وشرف وحرمة هو لمكة، فهــو عمــوم أمره ثم خصوصه لأهل الفضل من أمته، ثم أخصّ خصوصه له ولآله ولأئمته، فمكــة الحقيقية حاله حيث حلّ.

فهو المكيُّ الذي بقعته مكة حيث كان بحقائقها، وكان من آية ذلك توجيهه لها حيثما توجَّه كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَــرَامِ﴾ [البقرة:١٤٩]، فهو فيها بالوجهة، وأمته فيها بالوجهة على الدوام، حتى أن حقيقــة كلِّ صلاة وقعت في الأرض إنَّما هي فيها بما هم موجهون إليها، والمرء حيث قصده لا حيث جسمه، ومن حقيقة من معنى ذلك كانت الحديبية محلاً لإحلاله، والله ســبحانه يقول: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج:٣٣]، فحلَّ من عمرته حيث حُــبس، وكانت تلك سنةً لأمته يحلون حيث حُبسوا، فهي مكّتهم في السعة، وجميع الأرض لهم مكّة متى حصروا أو أحصروا على ما تفتحت إليه أقوال العلماء في الحصر والإحصــار

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) حديث كشفي صحيح.

بمرضٍ أو عدوٍّ، فهو ﷺ المكيُّ الذي لم يبرح قطُّ من مكة وجودًا أو قصدًا حتى كـان عند العلماء من سنة الميت أن يوجَّه إلى الكعبة؛ ليكون كأنَّه ميتٌ بها، ومـن أوصـى لشيء فهو لما أوصى إليه، ولذلك محبَّة الصلاة إيماءً، فاستو في وجودها العقل العيـاني والإيماء القصدي، وبذلك تم له ﷺ أن كان المكيُّ دائمًا المدنيُّ دائمًا، فلم تحصره البقاع عن البقاع، و لم تقيده الأزمنة عن الأزمنة، بل هو بما هو عبد ربِّه، والعبد مـن طينـة سيده في كل مكانٍ و في كل زمان، دائمًا بدوام ربِّه، فهو في كل عالمٍ بحسبه، حـتى كان من أسمائه ﷺ فيما تقدم: الأولُ، والآخر، والظاهر، والباطن ﷺ.

***

[اسمه ﷺ: المدنيُّ]

المدن: الإقامة، وكل بلد في الحقيقة قلعةٌ إلا مدينة رسول الله ﷺ؛ فإنها مدينة إقامة لا رحلة عنها، لا في الدنيا ولا في الآخرة، قال ﷺ: «ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنَّة[1]»، وقال تعالى: ﴿**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ**﴾ [الزمر:٧٤]، فهذه الأرض والله أعلم الأرض التي بها الإقامة، وهذه الأرض القائمة الدائمة التي لا يصيبها زلزال الأرض، ورجفها وتبديلها هي والله أعلم المدينة، التي هي مدينة إقامة لا زوال عنها ولا نقلة منها، فكما أن الأرض الدنيوية دُحيت من تحت مكة فكذلك والله أعلم أحكم الأرض الباقية الدائمة مدحوة المدينة، بوجهٍ لطيف ومعنًى شريفٍ تلحظه أرواح العقول من الفهم العليِّ الآليِّ العلويِّ.

وهذه الأرض التي هي دار الإقامة لا رحلة منها ولا نقلة عنها هي والله أعلم الأرض التي ورد في الخبر أن الله خلقها من قطرة عرق قُطرت من عرق النبيِّ ﷺ، فهي لذلك ألطف الأرض وأدومها وأبقاها، وهي أحبُّ الأرض إلى الله الذي جعلها مسجد حبيبه، وتربته الطيبة الطاهرة، كما ورد من آثاره رؤيا عن النبي ﷺ أنه لقن بعض المنفقين دعاءً يقول فيه: «اللَّهُمَّ ربُّ محمد نسألك بتربة الطيب الطاهر وما ضمه وما رفعته منك إلى ملكوتك الأعلى[2]»، فتلكَ المدينة التي محمد بها مقيمٌ في دنياه وآخرته

---

(١) رواه البخاري (٣٩٩/١)، ومسلم (١٠١٠/٢)، والترمذي (٧١٨/٥)، وأحمـد (٢٣٦/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٢٦/٣).

(٢) حديث كشفي صحيح.

ويلحق بوجودها ومدِّ شعاع نورها سائر مساكن أهل الجنة ومدهم، بما هو ﷺ القاسم في الجنَّة، وكما أن جميع الأرض في الدنيا إنما تقسِّمها أمة محمد وتوزعت أرجاءها شرقًا وغربًا، وما اتسعت إليه جنوبًا وشمالاً من المدينة، أمرت بقرية تأكل القرى، يقولون بيثرب وهى طيبةٌ، فكذلك تقع فيها قسم منازل أهل الجنة ودرجاتها من محلِّ النبوة والخلافة والإمامة والولاية، التي هي روضة جنته ﷺ، التي هي سرُّ الجنَّات، ومبدأ كيانها، وأصل مددها، ونشر طيِّها وطهورها، وبركة تمامها ومزيدها، وملابس حسن صورها إلى ما شاء الله، ويشاء في محمد وآله وأمته وسائر العالمين تبعًا له رتبةً رتبةً، يتبع كل صنف بصنف منه ومن أئمته وأمته، ويتحقق اختصاص هذه الأمة المدنية لمحمد ﷺ ما يحققه القيام خلقها بالقيام خلق صحابته وذريته، وموجود ما هو منه في باقي نفحته وطيب رائحته بما انتظمه معنى الخير الوارد أنه ﷺ قال: «كنت جوهرةً لطيفةً أطوف حول العرش، فغشيني نظرٌ من الرحمن، فغرقت حياءً، فقطرت مني ستُّ قطرات، خلق الله تعالى من قطره الأول أبا بكر، ومن قطره الثاني عمر، ومن قطره الثالث عثمان، ومن قطره الرابع عليًّا، ومن قطره الخامس الورد، ومن قطره السادس الأرض(١)»، وكانت هذه الأرض والله أعلم هي من مدينته التي هي روضةٌ من رياض جنته، مقامه بها دائمٌ في دنياه وبرزخه وآخرته، كما أن صحابته وقرابته وأصحابه الذين طهروا من ماء عرق وجوده القائم الحمديِّ، كما ظهر موجود ما في العرش من مائه الذي كان عليه، فكان العرق ماء القائم الحمديِّ الذي ظهر وجود ما منه به، كما كان العرش عرق وجود الدائر العرشيِّ؛ ليظهر حظُّ تكافؤ ما، واستحقاق توالٍ بين وجوده العليِّ في التجمد النورانيِّ الذي هو ظهور الجوهرة في تنـــزلات وجوده تكافئيًّا لموجود العرش، فكذلك كان والله أعلم جوهرةً لطيفةً تطوف حول العرش؛ لأن الجوهريَّة تجمد النورانيَّة، ووجوده الأول هو نورٌ من نور ربِّه، كما قال ﷺ : «إن الله خلقني من نوره، وخلق أبا بكر من نوري، وخلق عمر من نور أبي بكر، وخلق المؤمنين من نور عمر(٢)»، فالجوهريَّة تجمُّد النور كما ورد في آثاره عن الله سبحانه أنه قال: «تكلمت بكلمة فسبَّحت لي الكلمةُ، فخلقت من تسبيحها نورًا وظلمةً، فخلقت من النور أرواح من آمن، وخلقت من الظلمة أرواح من كفر، ثم مزجتها، فجعلتها

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (١/١٧١)، وذكره الذهبي في الميزان (١/٣١٤)، وابن حجر في لسان الميزان (١/٣٢٨).

حجرًا جوهرة، فالجوهريّة من النُّور، والحجريَّة من الظلمة[(١)]»، فكان وجوده ﷺ متنــزلاً في العوالم الخاصَّة به في رتب متوازية، ورتبة تكونه عليه كل رتبة من رتبة عرشيَّة إلى سماويَّة إلى أرضيَّة إلى ما دون الأرضين، كل وجود له يوازي وجودًا عرشيًّا، يكون ذلك العرش بالحقيقة منه، كما أن مدد نور العرش من نوره كما ذكر قبل، ويحقُّ لهذه الأرض أن تكون موازنة في اللطافة والاختصاص به للطافة الورد واختصاصه به ﷺ، فأن الورد كما قال ﷺ: «سيد ريحان الجنَّة بعد الآس[(٢)]»، كما أنه ﷺ سيِّد ولد آدم الذين هم ريحان الكون، وكان نفحه من نفحه ومن نفح عرقه ﷺ، حتى قال: «من شمَّ الورد ولم يصلِّ عليَّ فقد جفاني[(٣)]»، فكان موجود الورد عطرًا من عطر وجوده، كذلك أرض المدينة أرضٌ من ذات وجوده منها ترابية صورته العليَّة الكريمة التي هي بالحقيقة لا صورة لها بما كان يُرى، يمشي مع الطويل فيوازيه، ويمشي مع القصير فلا يعانيه، ولم يكن له بالأرض ظلٌّ فيكون لأرضيته حجابيَّة، ولذلك كانت تربة مدفنه؛ لأن أحدًا لا يدفن إلا في التربة التي خُلق منها، ورد أنه ﷺ نظر إلى قبر حبشيٍّ حُفر له في المدينة فقال: «لا إله إلا الله جاء الله من سمائه وأرضه إلى الأرض التي خلق منها[(٤)]»، فهذه الأرض المحمديَّة التي خلقت منه ابتداءً فجعل له منها لباس صورة انتهاءٍ هي أرض المدينة التي هي أحبُّ البقاع إلى الله، بما هي أرض حبيبه ومهاجره ومدفنه وموضع مبعثه، ومسجده بما هو وتر المسجدين: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، والله وترٌ يحبُّ الوتر، فكان المسجد الحرام موطن رحمة الله وأمنته، وما أشير إليه في ذكره، وكان المسجد الأقصى موطن فضل الله ونعمته التي بارك حوله، فكان مسجد حبيب الله ﷺ هو جامع ما حواه المسجدان من رحمة وفضل اللتين هما فرح الخلق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس:٥٨] بالتاء خطابًا والباء غيابًا، فكان لذلك الخاتم الجامع بين طرفين موجودهما لبركاتهما، فيكون محلُّه منهما في ختمهما به محلّ النبيِّ ﷺ في ختم نبوته جمع النبوات،

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل (٣٣/٧)، والخطيب في التاريخ (٥٥/٥)، وابن المبارك في الزهد (٦٧/١)، والديلمي في الفردوس (١٥٦/٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٢/٧).

(٣) ذكره الذهبي في الميزان (١٩٦/٤)، وابن حجر في الإصابة (٣٦٨/٦)، وفي لسان الميزان (٣٥٦/٣)، والعجلوني في كشف الخفا (٣٣٤/٢).

(٤) حديث كشفي صحيح.

كما قال ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء ومسجدي خاتم المساجد[1]»، والختم نهاية العمل في الخلق كما أن الختم نهاية الأنبياء في الكتب، فمنتهى البقاع والمدائن مدينة النبيِّ ﷺ، ومنتهى مساجد الله مسجد حبيبه ﷺ، كما أن منتهى النبوة والرسالة رسالة حبيبه ﷺ، فهو ﷺ الذي مدن بمدينة لا رحلة منها، ولكل مدينة سواها توقُّل[2] وترقٍّ إليها، فلا مدينة بالحقيقة إلا مدينته، فهو ﷺ المدنيُّ التي منها فُتحت الفتوح لأمته، ومنها قسمت الغنائم، ومنها يبدو خاتمة الختم لآخر ختم الهداية؛ لأنه ينبعث من المدينة إلى مكة فيبايع بها، ثم يتوجَّه إلى نحو البيت المقدَّس وما حواه من الشام؛ ليقع الختم للخاتم المهدي بجمع المساجد استيطانًا كما وقع الختم النبوي بجمعها مولدًا ومهاجرًا ومسرًى، فأُسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وهاجر به من مكة إلى المدينة، وكان مثواه بالمدينة، فانتهى في المساجد والبقاع إلى ما إليه المنتهى، وما من بقعة يستوطن بها ساكنٌ إلا والمدينة خيرٌ لساكن تلك البقعة، كما قال تعالى: ﴿خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾، وهى كبير البقاع التي يُن في خبثها ويُنصح طيبها، وإليها بارز الإيمان، كما انساب منها، كما بارز الحيَّة إلى جحرها، ومنها فتحت مكة فتحًا نبويًّا، وفتحت إيلياء فتحًا خلافيًّا عمريًّا، وكلُّ الكون دنياه وآخرته عائدٌ لها منته إليها، فلها الحظٌّ من المستوى الذي إليه يرجع تفاوت المتفاوتات واختلاف المختلفات، وهى أرضٌ ابتدأ نـــزولها العلماء في زمن تبَّعٍ، كما ذكر ارتقابًا لمهاجر النبيِّ ﷺ إليها، فكانت بداية عمارتها علمًا، ثم أصابها نور النبيِّ ﷺ ونصرة الأنصار ومهاجرة المهاجرين، إلى أن انتهت الهجرة إلى هجرته ﷺ، فكان استيطانه بها أخصية خصوص عمومها العلميِّ، فكما هو ﷺ حبيب الله فهي الحبيبة، وهو من أسمائها التي ذكرت فمن أسمائها: طابة، وطيبة، والحبيبة، والمحببة، والمسكينة، والمدينة، فجرى في أسمائها من مجاري أسمائه ما كانت منه وهو منها، فهو ﷺ المنتهي في كمال معنى المدن الذي هو إقامةٌ لا حول عنه إلى غايةٍ ليس وراءها مرمًى.

***

---

(١) رواه الفاكهي في أخبار مكة (٢/٩٤).
(٢) التوقُّل: التصعُّد.

[اسمه ﷺ: التهاميُّ]

كما خُصَّ ﷺ في نسبه فيما يعمُّ، وما يخصُّ بأسماء ممَّا له خصوصية فضل كذلك خُصَّ فيما يرجع إلى الصقع الذي فيه مولده ﷺ، فلما كَانَ مما اصط في الله لظهور أمره الأرض بكليتها اختصَّ منها ما شاء من أصقاع مساجدها، فكان ممّا اختصَّ منها جزيرة العرب، واختصَّ من جزيرة العرب الحجاز، واختصَّ من الحجاز تِهامة، التي هي متنــزَّل أرضها من على الثنيَّة، التي إليها يلجأ القارُّون ممَّا وراء الثنية، ينالوا في تهامتها بلغة الدفء من صرٍّ ما وراء الثنية وقُرِّها، وكان معنى الاتِّهام والانخفاض أولى ممَّا ينسب الله من النجد ونحوه بما هو ﷺ عبدٌ مذللٌ لربِّه، كما قال ﷺ: «فاتَّبعوني في البرِّ والتقوى والتواضع وذلَّة النفس(١)»؛ فهو ﷺ التهاميُّ الصقع في ذلك الاتهام له ولآله وللمختصِّين به كمال العبودية، الذي هو عليُّ الرفعة في الدنيا بنفوذ أمره ورفعة ذكره مع ذكر ربِّه، و في الآخرة بلواء حمده وشفاعته، فهي في ذاته للقاصد لمنال الروح والراحة عنده تهاميُّ المأوى، معاذٌ من المخاوف، محفوظًا من المتالف من اعتصم به، ونــزل عن نجد كبر نفسه، وانحدر عن إبانه إلى تهامة سعة رحمته ويسر شرعته، ورقِّي في دائم وجوده، كما تقي تهامة في زمان الإيواء إليها ما يلجأ إليها من أجله من أذى الأزمنة ومنال صرِّها وقرِّها، واختصَّ الوجه التهاميِّ بالنسبة في اسمه ﷺ بما هو الوجه المقبل به على وجه الكعبة التي من قبلها هي المناسك، كلها من الموقف والازدلاف وموطن الذكر في المشعر الحرام والمنحر والمبيت بمنًى، والمطَّلع على وجه الكعبة، والملثم والمستلم والملتزم، ومبدأ الطواف، والركن الأسود، كل ذلك الوجه العليُّ.

فهو ﷺ المنتمي بكلية ذلك من أخصِّ خصوصه إلى أعمِّ عمومه، ولذلك له ﷺ أسماءٌ كثيرةٌ من معنى ذلك، فتح باب علمها أن ما من اختصاصٍ أظهر الله مزيَّته في زمانٍ ولا مكانٍ ولا نسبٍ ولا علوٍّ ولا دنوٍّ ولا رتبة عالمٍ إلا وله فيه ظهور اسمٍ، فمنه ما ذُكِر واشتهر، ومنه استغرب وندر، ومنه كثيرٌ مما لم يذكر لو ذكر لظهر، ولذلك ربما ذكر من أسمائه مما يتعدَّد في المبين، كما أن أسماء الله سبحانه بحسب ما يتجلَّى به من خلقه وأمره، وبالجملة فأسماء الله وأسماء عبده وحبيبه ورسوله لا تُحصى، كما قال هو ﷺ في أسماء ربه: «لا نُحصي أسماءك(٢)»، كذلك يقول لسان النطق في حقِّه هو ﷺ: لا أحصي أسماء حبيبك، هو كما أثنيت عليه، فما لله اسم تجلٍّ من وراء الحسِّ

(١) حديث كشفي صحيح.
(٢) حديث كشفي صحيح.

والمحسوس والعقل والمعقول إلا وللنبيِّ ﷺ ظهورٌ وبدوٌّ عِياني، هو عِيان ذلك الاسم الربَّانيّ، والأسماء العبدانية عِيان الأسماء الربانيَّة، فمن فتح الله له باب العلم العلويِّ الآليِّ طرّق له العلم والشهود مما اقتصر عليه النطق والشرح، وما سوى ذلك مما لم يُحصه النطق والشرح إلى ما لا يُحصى مما تكلُّ عنه العلوم، وتشير إليه الفهوم، والوجه المسفر عن حقيقة معنى تسميته بهذه الأسماء الحرمية خاصِّها وعامِّها تنبيه العرب عن أن لهم في ذات أتِّباعه من الحقائق ما سُمِّي به من البقاع والآباء والأحوال ما للقوة من تملك البقاع، ومن أولئك الآباء فما لهم من الأمنة في مكة، فكماله له وحقيقته لهم بالإيواء إلى مكة ذاته ﷺ وحرمه وتهامته وأبطحيته؛ فإن تلك البقاع التي ألفوا مأواها في مصيفهم وشتائهم معاذٌ وراحةٌ من اختلاف أهواء الدنيا؛ فإن لهم بالإيواء إليه راحةً وملاذًا من أهوال يوم القيامة وأهواء الأديان، وتنبيهًا على أن تلك الرسوم الظاهرة إنما هي ناشئةٌ منه بما اتصل بها من حقيقة وجوده، فمن كانت أمنية البقعة الأرضية فليجب ما من البقعة الحقيقية عنه ﷺ، فإن به أمنت في ذاتها وأمَّن من حلَّ بها، فمن لجأ إليه منها كان في أمان مؤمنها، فصار بمنـــزلتها منه، فترقَّت رتبته بالإيواء إليه عن رتبته في الإيواء إليها، وليكون في إيوائه إليه عين إيوائه إلى الله.

ولذلك كان ﷺ أحقَّ بالإجابة من جهتها حين دعا المصلي المتوجه إلى الكعبة المستقبل لمناجاة ربِّه على قدر حده وعلمه من ربِّه، فكان الواجب عليه أن يجيبه؛ لأنه هو ﷺ كعبة الكعبة وعِيان المناجاة، والذي من أطاعه فقد أطاع الله، ومن بايعه فقد بايع الله، إجراء لم يجرِ على سواه بما هو فانٍ عن نفسه بالكليَّة، كأين لربه لا حجابية لذاته ولا ظليَّة لصورته، إذا توجهت إليه القلوب لم يحجبها، وإذا توجهت إليه العيون لم يغطِّ عليه؛ فهو ﷺ بما هو هو كشف الغطاء، ورفع الحجاب، وبدو العيان، ومكمل دين الإحسان، الذي لمح لائحة الغيوب، ووقف على الموعود، كما قال عليٌّ عليه السلام في خطبة خطبها: «وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله شهادة من عاين الغيوب، ووقف على الموعود[1]»، فمن عاينه عاين الغيب، ومن شهده بإشهاد الله أراح الحجب، فمن كان شأنه أن يأوي إلى تهامة لتحصيل راحة وملاذ من أذى صرٍّ زائلٍ دُعي إلى تهامته، ليلجأ إلى مأوًى دائمٍ؛ فهو ﷺ بذلك التهاميُّ الذي لا تزال تهامته عياذٌ أو راحةٌ في الدنيا والآخرة دائمًا بدوام الله، فهو في التهامية منتهٍ إلى حدٍّ دوامٍ لا يصل إليه تمامه.

---

(١) حديث كشفي صحيح.

[اسمه ﷺ: الأبطحيُّ]

كما كان اسمه الهاشميُّ خصوصًا من اسمه القرشيِّ بما خصَّ حقيقته أمر هاشم في جوده وإنفاقه من عموم قريش في حبس تكسُّبها وأمانتها وصدقها في تجارتها كذلك خُصَّ اسمه (الأبطحيُّ) خصوص ما كان لهم من السعة في المنـــزل في وساع أرض الأباطح، اختصاصًا مما لهم في راحة عموم تهامة حين نـــزلوها، فأشعر اسمه (الأبطحيُّ) بخصوص من اسمه (التهاميِّ)، فكان اسمه (التهاميُّ) راحةً من تعب، وكان في اسمه (الأبطحيِّ) إيذانٌ بتوسعٍ في تلك الراحة، وهدوءٍ وإيواءٍ إلى حرم الله من سعةً حلِّ تهامته، وما أطاقت به من حوزها، كذلك الأبطحيَّة خصوص سعةٍ وهدوءٍ وأمنةٍ في حرم الله، وما أطاف بحدِّها من أعلام الحرم وأرجائه.

فهو ﷺ بما هو (التهاميُّ) معاذٌ من كلِّ ضرٍّ، وبما هو (الأبطحيُّ) تمكن في كـــل نفـــعٍ وبرٍّ، كذلك هو لمن نـــزل تهامة راحته بما هو حريصٌ على المؤمنين، عزيزٌ عليه، عنتهم مقيمٌ ممكنٌ لمن تمهد سعة أبطحه بما هو أبوهم ومخوّلهم وممكنهم في أمر الله في العاجلـــة والآجلة، قال ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حسابٍ، مع كل واحدٍ منهم سبعون ألفًا(١)»، فهو ﷺ المعيذ للفائزين، الممكن للأولين، الذي هـــدى الموقنـــون في أبطحه، كما استراح المؤمنون في تهامته، حتى كانت أبطحية دينه إحسانه وتهامة دينـــه إيمانه، فهو التهاميُّ للمؤمنين، الأبطحيُّ للمحسنين، والله يحبُّ المحســـنين، وهـــو ﷺ رءوفٌ رحيمٌ بالمؤمنين، فاسمه الأبطحيُّ حرميٌّ، واسمي التهاميُّ حليٌّ محـــيطٌ بأشـــرف الحلِّ، واسمه الأبطحيُّ محيطٌ بكلية الحرم، واسمه المكيُّ محيطٌ بكلية البلد توقُّل درجاتٍ وكمال معلوماتٍ ومثل آيات؛ ليشهد حقائق تلك البقاع من أحواله ﷺ، فمـــا مـــن حقائقها هو القائم به، فهو باقٍ في الدنيا والآخرة، وما من أمر تلك البقاع متاعٌ مـــن متاع الدنيا زائلٌ بزوال الدنيا، وهو ﷺ وأسماؤه وحقائق أسمائه دائمةٌ بدوام ربِّه، فلـــه بالحقيقة تهامة والأبطح ومكة والحرم والكعبة والحطيم وزمزم والملتزم والمستلم، الـــتي هي موجودةٌ في الآخرة كمال نعيمٍ وشرف مقامٍ، كما كانت أمثالها في الـــدنيا مقـــام

---

(١) رواه البخاري (٢١٨٩/٥)، ومسلم (١٩٨/١)، والترمذي (٦٢٦/٤)، وأحمـــد (٣٥١/٢)، وابن ماجه (١٤٣٢/٢)، وأبو عوانة في مسنده (٨٣/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣١٥/٦).

أمانٍ وشرف مجدٍ، وبه الغنى عمًّا سواه، وما سواه ضرب مثلٍ هادٍ إلى ممثول كمال ذاته، الذي جُمع إليه كمال العبدانية كما قال: «وكلنا لك عبدٌ[١]»، فانتظم تحت نون استتباعه في قوله: «وكلنا» جميع ما اشتمل عليه الكون القائم بالكان العليِّ الإلهيِّ، فباسمه التهامي لاذ اللائذون، وباسمه الأبطحي اطمأنَّ المطمئنون، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

[اسمه ﷺ: البشير]

البِشر: طلاقة الوجه وحسن الرواء بما تحمل من نبأ ما يسر من انتهى إليه إنبائه، وصيغة فعيل مبالغةٌ في لزوم البِشر ومصيره وصفًا لحامل نبأ الخبر العاجل والآجل، وإنما يتمُّ ذلك بصفاء القلب وانشراح الصدر وتهلل أسارير الوجه، فبذلك يظهر أثر نبأ الخبر في وجه المنبئ، و في أحوال مرآه، قالت عائشة رضي الله عنها: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأسارير وجهه تبرق[٢]»، ذلك بما هو ﷺ نورٌ صافٍ، يتلألأ نور البشر في وجهه، وهو نور الله الذي لا يطفئ، فبذلك هو في ذاته البشير بما هو متهيُّءٌ بالصفاء؛ لظهور البشر عليه، لذلك ما يخصه الله بالبشر ويزويه عن الإبعاد حتى إذا أوعد الله تولى الإيعاد بنفسه، وإذا بشَّر ولاه البشرى بما هو ذات البشر، كما يقول تعالى: ﴿**وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ**﴾ [المزمل:١١]، وقوله: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ**﴾ [الحجر:٩٥]، ﴿**فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ [البقرة:٢٤]، ويقول له: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**﴾ [البقرة:٢٥]، فهو رسول الله بالبشرى لمن شاء أن يبشِّره،

---

(١) رواه مسلم (٣٤٧/١)، وأبو داود (٢٢٤/١)، والنسائي في الكبرى (٢٢٤/١)، وأحمد (٨٧/٣)، والحاكم في المستدرك (٦١٥/٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤١٥/٨)، والطبراني في الكبير (٢٣٢/٦)، والبيهقي في الكبرى (٩٤/٢).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (١٠٠/٥)، وابن حبان في الصحيح (٤١٢/٩)، وذكره المناوي في فيض القدير (١٠٤/١)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٦١/١٠)، والعجلوني في كشف الخفا (٤٦/١).

فهو بشيرٌ في ذاته مطلق البشرى، يتلقى البشرى منه عباد الله على حدود منال رحمة الله لهم، فابتدأ بشراه للذين آمنوا وينتهي بشراه لليائسين، بما هو ﷺ مبشِّر اليائسين فهو البشير في ذاته.

قال جرير بن عبد الله البَجَلي: «ما رآني رسول الله ﷺ قطُّ إلا تبسَّم لي[1]»، وكان جرير من أحسن الناس وجهًا وأجملهم مرأى.

ورد أنه قال ﷺ: «اطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه[2]»، ذلك بما في الصباحة من البشر والبشرى بقضاء الحاجة، وهو ﷺ الذي أُوتي الحسن كله والجمال أجمع، كما قال هو ﷺ: «رأيت يوسف فإذا هو قد أُوتي شطر الحُسْن[3]»، ففهم الفهماء أنه ﷺ هو الذي قد أُوتي الحسن كله، وقال قائلهم: ما رأيت من ذي لَمَّةٍ سوداء في حُلةٍ حمراء أحسن من رسول الله ﷺ، ففي اسمه البشير يندرج نبأ ما آتاه الله من كمال حسنه واجتماع جماله وتمام خلقه، حتى كان كرم خلقه ظاهرًا يصلح لشفاف عظيم خلقه، بما هو الأكمل خلق ظاهرٍ وخلق نفسٍ، ولذلك كانوا يقولون: كان رسول الله ﷺ أنور المتجر، فكان ﷺ بحقٍّ أن يكون ذات البشر هو لآلىء نور الله لمن استقبله، حتى كان يجد القريب والبعيد منه مسرى بشرٍ وبشرى لا يخ في عن وليٍّ، ولا يقدر أن يجحد عدوٌّ، وكما هو ﷺ بشيرٌ في ذاته فهو بالإضافة إلى من ينتهي إليه بشارته مبشِّرًا، فهو البشير المبشِّر.

***

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٧/١)، والنسائي في الكبرى (٨٢/٥)، وفي الفضائل (٥٩/١)، والطبراني في الكبير (٢٩٣/٢)، والحميدي في مسنده (٣٥٠/٢).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٥٨٧/٣)، والخطيب في التاريخ (١٨٥/٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥٤٠/١)، والعجلوني في كشف الخفا (١٥٣/١)، وابن حجر في لسان الميزان (١٥٨/٥).

(٣) رواه مسلم (١٤٦/١)، وأحمد (١٤٨/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٣/٦)، وابن عدي في الكامل (٣٨٥/٥)، والديلمي في الفردوس (٤٠٤/١)، وأبو عوانة في مسنده (١١٤/١)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٧/٦).

[اسمه ﷺ: المبشِّر]

لما كان ﷺ البشير في ذاته بما هو نور الله يتلألأ فيه نور البشر ويبرق في وجهه أسارير نبأ الخير جعله الله متولي البشرى للمبشرين على قدر رتبهم، فكان أول من بشر الذين آمنوا كما قال تعالى: ﴿**أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ**﴾ [يونس:٢]، وإنما كان ﷺ مبشرًا بما انتهى الأمر برسالته إلى غاية الظهور بما هو الخاتم، فلم يبق وراءه مرتقبٌ يقع بعده تغيرٌ كما وقع لمن كان قبله من الرسل، فإن أمة موسى عليه السلام قد كانت على خير ثم كفرت طائفةٌ منهم بعد ذلك بعيسى عليه السلام فلم يستقر بشراهم بالإيمان بموسى بما كفروا بعد ذلك بعيسى، وكذلك من آمن بعيسى عليه السلام لم يستقر بشراهم بما كفرت كافرتهم بمحمد ﷺ، ومن آمن بمحمد استقرت بشراه، فكان مبشِّرًا لهم لقرار ملتهم وشرعتهم؛ إذ لا نبي بعده، فبتغير بشراه على افتراقهم عليه كما تغيرت بشرى من كان قبله بمن جاء بعده، فهو ﷺ المبشر بشرى قرار لا تغير لها بما هو الخاتم، قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ**﴾ [المائدة:٥٩]، فلم يبق وراء الإيمان به إيمانٌ، فتقررت بشراه تقررًا ليس وراءه تغيرٌ، فهو لذلك ﷺ المبشِّر الدائم البشرى للذين آمنوا والذين يؤمنون والمؤمنين، وللمؤمنين حقًّا على رتب بشراه بشرى ثبات وقرار، «إن الله لا ينـــزع العلم انتزاعًا بعد أن أعطاكموه(١)»، فاستقرت بشراه قرارًا لا زوال له، قال تعالى: ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [لقمان:٢٢]، وكمال بشراه بما ينتهي إليه اسمه العظيم المبشِّر في كونه مبشِّر اليائسين.

* * *

[اسمه ﷺ: الشاهد]

الشهادة: رؤية خبرةٍ على المخبر عنه بما حقَّق فيه من المشاهد له، فهـــو مجمـــوع علمٍ وقضاءٍ وخبرةٍ ونباءٍ عن ذلك، ولما فيه من مضاء الحكم إنما يتم بإيالة واطِّـــلاعٍ، فلذلك الشهيد الحق هو الله سبحانه ومن أشهده ما شاء من خبرة خلقه، كما أشـــهد محمدًا ﷺ وأهل الحمد والوصلة من أمته الذين ليسوا بلعّانين لما يشهدون من إجراء أمر الله في خلقه، كما قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا**﴾ [الأحـــزاب:٤٥]،

---

(١) تقدم تخريجه.

ففيه إشعارٌ بما كشف له من أمر الخلق ومضاء التقدير فيهم وإقامتهم فيما خلقهم لـه، فشهد عليهم بما هو أخبر بهم من أنفسهم، قال ﷺ: «إني لأعرف النظائر من أمتي بأسمائهم وأسماء آبائهم وعشائرهم من كان منهم ومن هو كائنٌ ومن سيكون إلى يوم القيامة[(١)]»، فهو ﷺ شاهدهم، يشهد خبرهم، ويطّلع على حقائقهم.

تقدم أبو هريرة بين يدي أبي بكر الصديق ﷺ فقال له النبي ﷺ: «أبا هريرة تتقدّم بين يدي من هو خيرٌ منك[(٢)]»، وقال في مجالسٍ عدة: «يطلع الآن عليكم رجلٌ من أهل الجنَّة[(٣)]»، فطلع رجلٌ من الأنصار تنطف لحيته ماءً من أثر وضوئه، ونعلاه في يده، فحرّك ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص إلى أن استضاف به؛ ليرى عمله، فلم ير له كثير عملٍ، فلما أستخبره، قال: ما بتُّ قطُّ و في قلبي حقدٌ على أحد، فكان ﷺ شاهد ضمائرهم وذوات صدورهم بما أشهده ربُّه من ظنه أمته موجودهم وغائبهم، قال: «ما فضلكم أبو بكر بصلاة ولا بصيامٍ إلا بشيءٍ وقر في صدره[(٤)]».

وقال ﷺ: «وددت أنّي قد بكيت إخواننا الذين لم يأتوا بعد[(٥)]».

وكان يقول: «واشوقاه إلى أحبائي[(٦)]»، فهو ﷺ شاهدٌ من خبر أمته ما لم يشهد أحدٌ سواه من أمة أرسل إليها حتى كان يقضى فيهم ﷺ بقضاء الخبرة التي يشهدها من مواطنهم وعقيق أعمالهم، بما كان من أمره في الذي سرق فقال: «اقتلوه»، ولما كان مما عهدوه إقامة الحدود عند الأعمال حكمًا كتابيًّا نورانيًّا موْسويًّا قالوا له: «يا رسول الله إنما سرق»، قال: «اقتلوه»، فأكّد حكمه وردد أمره بما شهد، قالوا: «يا رسول الله إنما سرق»، قال: «اقتلوه»، قالوا: «يا رسول الله إنما سرق»، قالها ثلاثًا على ما ورد[(٧)]،

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه الخطيب في التاريخ (٢/٢٢٧)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١/١٨).

(٣) رواه الترمذي (٥/٦٢٢)، والنسائي في الكبرى (٦/٢١٥)، وأحمد (٣/١٦٦)، والطبراني في الأوسط (٧/١١٠)، وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٣٣٨، ٣٣٩)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/٧٨).

(٤) ذكره المناوي في فيض القدير (٤/١٤٤)، وابن رجب في جامع العلوم والحكم (١/٣٠).

(٥) حديث كشفي صحيح.

(٦) حديث كشفي صحيح.

(٧) رواه أبو داود (٤/١٤٢)، والنسائي في الكبرى (٤/٣٤٨)، والطبراني في الكبير (٣/٢٧٨)، وفي الأوسط (٢/١٩٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢/٨٧)، والبيهقي في الكبرى (٨/٢٧٢).

كل ذلك قضاءٌ منه ﷺ بما شهد من خبره المحدود وعقبى عمله حكمًا خضريًّا لدنيا؛ ليكـــون في أحكامه ﷺ جملة أحكام الحاكمين ما أجرى منها على ظاهر الأعمال، وما أجرى منـــها على باطن التكوين، كما قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها: «في ذرارٍ من ذرء أهل النار إن شئتِ أسمعتك عواهم في النار»، فقالت: يا رسول الله، أؤمن وأصدّق[1]، فلما أوقف الله سبحانه هذا الحكم الخضريَّ اللدنيَّ لخفائه ولقلة القائمين به الآخذين بحكم الكتاب بإنفاذه ولاكتفاء أهل العلم اللدنيِّ بهذا القدر من إذنه وإمضائه لهذا الحكم الخضريِّ، حتى اتَّسع في أمته الحكمـــان: الحكم الكتابيُّ، والحكم اللدنيُّ، ففي الرابعة قال ﷺ: «موافقه لحقٌّ ظاهرٍ، وقطعًا للمراء عنـــد حد الإذن في المرادة ثلاثًا والله أعلم فاقطعوه إذًا[2]»، فقُطع، ثم سرق في زمان أبي بكـــر ﷺ فقُطعت رجله، ثم سرق فقطعت يده، ثم سرق فقُطعت رجله، حتى قُطعت شواه الأربع بما ردَّ من إنفاذ يسر ذلك الحكم اللدنيِّ إلى شدة هذا الحكم الكتابيِّ، ثم سرق الخامسة، ففطن لهـــا خليفة رسول الله ﷺ فقال ﷺ: رسول الله ﷺ كان أرحم بهذا، يا ليتنا قتلناه حين أمرنا رسول الله ﷺ بقتله، فأمضى فيه حكم رسول الله بالقتل فقتله، كل ذلك من أحكام شهادته لخـــبرة أمته في صنفي أعمالهم من الخير والشرِّ.

وقال ﷺ: «عُرضت عليَّ أمتي في صورها كما عُرضت على آدم ذريته، وأعلمت بمن يؤمن بي ومن يكفر[3]»، وكان لشهادته خبرة أمته حظٌّ في انشراح صدره، فلم يستمر في ضيق صدره الذي كان قبل حين، كان يضيق صدره بما يقولون، فلما أشهده الحق خبرتهم وأحوالهم حتى صنَّفهم صنوفًا فيما ورد عنه عليه أفضل الصلاة والسلام: «تكون أمَّتي في الدنيا على ثلاثة أطباق، وتكون في الآخرة على ثلاث رتب[4]»، إلى جميع ما أخبر من أحوالهم، وقام مقامًا، فما ترك فائدةً لثمانية فما فوق إلا ذكره باسمه واسم أبيه ونسبه، وأودع خواص أمته من ذلك ما كان يشهدون به صدق الصادق ونفاق المنافق، حتى كان عمر لا يصلِّي على جنازةٍ حتى يرى حذيفة

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٣٢٨/٤)، والحاكم في المستدرك (٤٢٢/٤)، والبيهقي في الكبرى (٢٧١/٨)، والدارقطني في السنن (١٠٢/٣)، والطبراني في الكبير (١٥٧/٧)، والخطيب في التاريخ (٢٠٨/١٣)، وأبو يعلى في مسنده (٨٧/٩).

(٣) حديث كشفي صحيح.

(٤) حديث كشفي صحيح.

يشهدها، وقال له مرة: ناشدتك الله، هل ترى فِيَّ شيئًا من النفاق؟ فقال: لا، ولا أخبر غيرك[١]، فكان ﷺ شاهدًا بشهادة أفاضت على خواصِّ أمته أن كانوا شهودًا، الواحد منهم شاهدًا لما يخفى عن الحواسِّ والمعقول، قال أبو بكر ؓ عند وفاته: ما هما إلا أخواك وأختاك، فقيل له في ذلك، فقال: ذو بطن بنت خارجة أراها جارية. فشهدوا حقائق عالم الملك وظواهر عالم الملكوت، مما هو غيبٌ عن الخلق وإنما يعلمه الله ويشهده لمن يشاء ممن يؤتيه إحاطةً من علمه[٢]، فكان ينبئ ﷺ عن أحوال القلوب وما حوته الضمائر بما هو شاهدها مما لا يكاد يحصى عددها، روي منه كثرةٌ، وفيها جمع له مع الرسالة من الشهادة إعلامٌ بكماله في ذاته، حتى لم يكن في بلاغه محتاجًا إلى شهادة سواه، فكان هو الرسول الشاهد، وبما هو شاهد خبرهم كان شهيدًا عليهم.

***

[اسمه ﷺ: الشهيد]

لما كان ﷺ شاهدًا من ربِّه في خلقه فكان شاهدهم بما أشهده الله منهم، حتى عرفهم حال كونهم وقبل كونهم؛ وعرض عليه الكون كله ملكه وملكوته ظاهره وباطنه، وأشهد الله بإشهاده من شاء ممن اصطفاه من أئمة أمته، والبراء من الانتهاء في الافتراق إلى اللعن والمنابذة، وكان ﷺ شهيدًا على شهداء أمته الذين هم الشهداء على الناس كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣]، والوسط: ما بين طرفي الشيء المالئ لكليته، وكانوا وسطًا بما شهدوا من أمر الله مما بين الأزل والأبد، فكانوا بذلك شهداء على خلق الله، وكان هو ﷺ شهيدًا على هؤلاء الشهداء كما كان نبيًّا للأنبياء؛ ليكون في الرتبة الثالثة علوًّا من كل بداية، فيكون له أحمديَّة الحمد الذي هو عليٌّ على المدح، قال تعالى: ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]، ومن الناس من لم يستخلصه الإيمان بالكلية، وبقي له توقين إلى عاجلة الدنيا حبٌّ شرفها وحبٌّ مالها كما هو حال الملوك وأتباعهم ورؤوساء القبائل وأتباعهم، الذين حظهم منه التذكرة لأجل ذلك الحب للعاجلة كما قال تعالى: ﴿أَكَانَ

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (١/٩٠).

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/٧٥٢)، والبيهقي في الكبرى (٦/١٦٩)، واللالكائي في كرامات الأولياء (١/١١٧)، وذكره ابن حجر في الإصابة (٧/٥٧٥)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (٢/٢٥٧).

لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [يونس:٢]، فأمته الحمَّادون لله على كل حال، الذين لا يلعنون شيئًا ولا يبرأون من خلق، بما شهدوا من حمد ربهم هم الشهداء كما قال ﷺ: «اللَّعَّانون لا يكونوا شهداء ولا شفعاء يوم القيامة[1]» فالانتهاء في الافتراق إلى اللعن جرحة هذه الشهادة المحمديَّة؛ لأنهم منه بما قيل له هو ﷺ: «إن الله لم يبعثك سبّابًا ولا لعّانًا، وإنما بعثك رحمةً ولم يبعثك عذابًا[2]» ولذلك يقول ناطق العلم: إنه لا ينبغي لأهل النقل والرواية أن يقولوا: لعن رسول الله ﷺ كذا في نقلهم بعد هذا التقرير، ولكن يكون لفظ النقل أن يقال: قال رسول الله ﷺ: لعن رسول الله كذا، ليقع الفرق بين أن يكون في اللعنة ناقلاً أو منشئًا؛ لأن الله ﷻ أسند اللعن في كتابه لما صرح به في قوله: **﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** [البقرة:١٦١] فكالذين انتظم في أنهم يلعنون، هم الذين يشهد عليهم، وهم الناس لا الذين يشهدون الذين ليس شأنهم أن يُلعنوا؛ فهو ﷺ شهيد الشهداء بما شهد من عين المشار إليه في إشارة قوله تعالى: **﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾** [الحج:٧٨] وفي هذا فشهوده عيانٌ، هذا المشار إليه في هذه الإشارة العظيمة هو سرُّ شهادته، كما قال تعالى: **﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾** [الحج:٧٨]، فالناس مشهودٌ عليهم، والوسط الشاهدون شهداء على الناس، وشاهد هذا المشار إليه وعظيم هذه الإشارة شهيدٌ على الشهداء الذين أحصروا في إشهاده في قوله تعالى: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا﴾** [النساء:٤١]، وبحكمٍ وقضاءٍ من ذلك الشهود الذي هو به ﷺ على الشهداء شهيدٌ، كان له من التغيير لخبرة الذوات بما هو ﷺ إكسير الله الذي يحيل بنوره الظلم إليه، فكان ﷺ يستخبر الرجل عن اسمه الذي يسمى باطنه في ظاهر القول، فإذا كرهه غيره فيتغير مسمى ذلك الاسم بتغير التسمية اسمًا، فعل ذلك لجماعة من الوافدين عليه، ومن ردَّ ذلك عليه بقي على حال خبرته، كما ذكر عن حزن جدِّ سعيد بن المسيب أنه لما

---

(١) رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/٢٦٤).

(٢) رواه أبو داود في المراسيل (١/١١٨)، وأحمد في المسند (٣/١٢٦)، ومالك في المدونة (١/١٠٣).

قال له ﷺ: «ما اسمك؟ قال: حزنٌ. قال: بل أنت سهلٌ[1]»، فلو قبل الاسم انقلبت حزونته سهولةً، ولكن قال له: إنما السهل الحمار، قال سعيد: بما تبصر بنور العلم فلم يزل تعرف فينا تلك الحزونة، فبذلك الاطلاع الذي مكنه الله في القضاء فيه والحكم عليه بالتصريف والتطوير من حدٍّ أدنى إلى حدٍّ أعلى كان شاهدًا لأمر الله، فكان شهيدًا على خلق الله.

***

[اسمه ﷺ: النذير]

النذارة: إعلام شاهد لخبرة، وعقبى بأمرٍ مخوف يستقبله المنذر، فكما هو ﷺ البشير بما اطَّلع عليه من خبِرة المبَشرين فكذلكَ هو النذِير بما اطَّلع عليه مما غشى فطر بعض المخلوقين من تغير جبلات المنذرين، ومن وراء نذارته بشارةٌ في مضمون اسمه ﷺ مبشرًا اليائسين، فهو البشير مطلقًا، النذير بحسب ما يعد ويجد من تغير الجبلات من دون صفاء الفطر، فهو نذيرٌ معلمٌ بمستقبل عقوبات تكون دواءً لأدواء المدويين على تفاوت دركات بعدهم من حقيقة ما تجمعه الورود من أدناه، كما قال ﷺ: «الحمى حظ كل مؤمنٍ من النار[2]»، مع قوله: «الحمى من فيح جهنَّم[3]»، وما أنذرته من نفسي جهنم بالحر والقر إلي ما أنذر به من شدائد أحوال الموت إلى ما أنذر به من أهوال مطلع القبر وشدائد ضيقه وفتنته، كما قال ﷺ: «ولقد أوحي إليَّ أنكم تفتنون

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (٥/٢٢٨٨، ٢٢٨٩)، وفي التاريخ الكبير (٣/١١١)، وفي الأدب المفرد (١/٢٩٢)، وأبو داود (٤/٢٨٩)، وأحمد في المسند (٥/٤٣٣)، وفي العلل (٣/١٨٤)، والطبراني في الكبير (٢٠/٣٤٨)، وابن سعد في الطبقات (٥/١١٩).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣/٣٣٣)، وفي الصغير (١/١٩٧)، والبيهقي في الشعب (٧/١٦١)، والعقيلي في الضعفاء (٣/٤٤٨)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/٤٢٠)، والعجلوني في كشف الخفا (١/٤٣٩)، وابن حجر في فتح الباري (١٠/١٧٥)، والهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٣٠٦).

(٣) رواه البخاري (٣/١١٩١)، ومسلم (٤/١٧٣١)، والترمذي (٤/٤٠٤)، والنسائي في الكبرى (٤/٣٧٩)، وأحمد (١/٢٩١)، وابن ماجه (٢/١١٤٩)، والدارمي في السنن (٢/٤٠٧)، والبيهقي في الكبرى (١/٢٢٥)، وابن حبان في الصحيح (١٣/٤٣٠).

في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة الدجّال[(١)]»، إلى ما أنذر به من عذاب القبر، وأن عامته من البول ومن النميمة إلى ما أنذر به من شدائد الحشر والموقف وتفضيل أمر الله، قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:٤]، بما ورد عنه وما فسَّره عليٌّ عليه السلام من الخمسين شدة في الخمسين ألف سنة بحسب ما تختصُّ بكل ألف، وما يشرك فيه أعدادها حتى أنذر المنذر بأنهم يقومون على قبورهم ألف سنة، ثم يساقون ألف سنة، ثم يقفون في الظلمة ألف سنة، ثم يكون التبديل إلى تمام ما أنبأ به ﷺ وما أنبأت به أمته المبلغون تفاضيل نذارته الّتي روايتها وحفظها ووعيها وسماعها وإسماعها ليقع الحظُّ منها سماعًا لا ارتباكًا، هي الموعظة الحسنه التي أمر ﷺ بها في قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل:١٢٥]، والسعيد من اتعظ بغيره، وكان حظه من النذارة مشقة سماعها، فكان حسبه من سر سماعه، وأظهر ﷺ من دوافع أمور النذارة ما لم يظهره أحدٌ ممن كان قبله، حتى قال ﷺ: «لا يرد القدر شيء ويرده الدعاء[(٢)]».

وقال: «إنَّ الصدقة لتلتقي البلاء نازلاً في الهواء، فلا يزالان يعتلجان إلى يوم القيامة[(٣)]»، كل ذلك ليداخل نذارته اليسر الذي ينيب عليه سرعته، ويتأكد وتغلب بشارته أجري ذلك في أمور الدين و في إصلاح الدنيا والمعاد، كما قال ﷺ فيمن يرى ما يتطير به: «إن ذلك يذهبه أن يقول: اللّهُمَّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك، ثم يمضي لشأنه، فلا يضره لسان النذارة[(٤)]».

---

(١) رواه البخاري (٤٤/١)، والنسائي في الكبرى (٦٦٢/١)، وأحمد (٢٣٨/٦)، والطبراني في الكبير (٨١/٢٤)، والخطيب في التاريخ (٣٣٣/٣)، والدارمي في السنن (٤٣٠/١)، والبيهقي في الكبرى (٣٢٣/٣).

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) رواه الطبري في تاريخه (٥٠٠/١)، وابن سعد في الطبقات (٩٧/١)، وذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٤٩/١)، والمنذري في الترغيب (٣١٦/٢)، وابن حجر في تلخيص الحبير (١٢١/٤).

(٤) رواه أبو داود (١٨/٤)، والبيهقي في الشعب (٦٢/٢)، والديلمي في الفردوس (٤٩٥/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧٠/٦).

وكما قال ﷺ فيمن ير ما يكره في منامه: «أن يتفل عن يساره ثلاثًا، ويستعذ بالله من الشيطان الرجيم، ويتحول من جنبه الذي كان عليه[1]».

قال بعضهم: كنت أرى الرؤيا فتكون عليَّ أثقل من الجبل، فلما سمعت ذلك من رسول الله ﷺ ما صرت أباليها، كل ذلك من تلطيف نذارته، حتى يداخلها اليسر، ويغلب عليها البشارة بما هو عبد ربِّه، الذي سبقت رحمته غضبه، وغلبت رحمته غضبه، وتسبق رحمته غضبه، وتغلب رحمته غضبه، فقضاءٌ ماضٍ في الابتداء، وحكمٌ نافذٌ في الانتهاء، فيما هو ألطف نذير وأرحمه، جعلت نذارته من نذارة الأقلين، كما قال تعالى: ﴿**هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى**﴾ [النجم:٥٦]، بما كانت النذارة الأولى ماضيةٌ حاقةٌ، قال تعالى: ﴿**يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ**﴾ [هود:٧٦]، وهو ﷺ يقال له: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**﴾[الأنفال:٣٣]، كلٌّ ذلك تلطيفٌ لنذارته حتى تكون كأنها بشارةٌ، حتى قال ﷺ لتلطيف نذارته يومًا: «من قال: لا إله إلا الله أنجته يومًا من الدهر أصابه قبله ما أصابه؛ ليجعل لبشارته سبقًا لنذارته وغلبةً عليها[2]»، وكما اختفت بشارته بالذين آمنوا لأن الأمر عندهم غيبٌ من حيث إن المحسنين الأمر عندهم شهادةٌ وإنما يبشِّر من غاب عنه الأمر لأن كلٌّ من شهده بشيرٌ لا مبشرٌ كذلك تأكدت نذارته في الأقربين من عشيرته، فأمره الله ﷻ أن يخصَّهم بالنذارة؛ ليكون لذلك حظًّا لهم عاجلاً لهم في الدنيا، ينتقذ من شاء الله منهم بموعظته، كما قال: ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء:٢١٤]، فأسمعهم ﷺ حظًا من شدة النذارة، كان غاية حظهم منها كما في قوله: «يا فلان يا فلانة، لا أغني عنكم من الله شيئًا[3]»، بما في مضمون قوله تعالى: ﴿**مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا شَفِيعٍ**﴾ [السجدة:٤]، فهو ﷺ النذير الذي كادت نذارته أن تكون بشارةً بحسن أثرها فيمن رماه بسهم النذارة، إلا ما شاء الله أن يتأخَّر

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٤٦/٥)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٨٧/٣)، والخطيب في موضع أوهام الجمع والتفريق (٤٣٥/٢)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٥١/٦).

(٣) رواه البخاري (١٠١٢/٣)، ومسلم (١٩٢/١)، والنسائي في الكبرى (١٠٨/٤)، وابن حبان في الصحيح (٣٨٦/١٤)، والدارمي في السنن (٣٩٥/٢)، والبيهقي في الشعب (٣٧٩/٥)، وفي الكبرى (٢٨٠/٦)، وابن عدي في الكامل (٩٦/٧)، وابن سعد في الطبقات (٢٥٦/٢).

بشراه، ويتخلد في حكم النذارة، ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٤٧]، وسع كل شيءٍ رحمةً وعلمًا.

* * *

[اسمه ﷺ: السراج]

إن الله ﷻ بدأ خلقه زوجين: نورًا مضيئًا في ذاته، وظلمةً منطمسةً في نفسها، وأظهر من كلا الزوجين أثرًا باديًا فيما من كلّ واحد منهما من الكائنات، فأنار النُّور، وأنار ما في الظلمة، وانطمست الظلمةُ، وغشت ما يظّهره النور، وجعل من آية وجودهما في كلية الكون الليل والنهار، والليل طامسٌ مطمسٌ، والنهار نيرٌ منيرٌ، وكما أجرى بادي النور والظلمة في ظاهر الخلق مما بدا أنه لما وراه فكذلك لباطن الأمر أيضًا نورٌ وظلمةٌ، فللظلمة ظاهرٌ خلقيٌّ وباطنٌ أمريٌّ، وللنور كذلك ظاهرٌ خلقيٌّ وباطنٌ أمريٌّ، وترتب في كلّ عالمٍ مزدوجٍ نورًا وظلمةً خلقيةً أو أمريةً، كان ما يبدو نورًا في ذاته، وما يذهب طمس الظلمة سراجًا، فما تنزل فكان ناريًّا كان سراجًا وهّاجًا، وما ترقّى فكان علويًّا أمريًّا كان سراجًا منيرًا، فالسراج سراجان: سراجٌ ناريٌّ وهّاجٌ، وسراجٌ نوريٌّ منيرٌ، وتفاضلت السروج بحسب ما يذهب من انطماس الليل وطمسه، ولما كان ﷺ ختم الكون كان محيطًا فكان نوره الأمريُّ هو السراج الكامل الإضاءة النوريَّ الرتبة، الذي أضاء على ظلمة ما سوى الحق المبين، فأضاءها بنور الله حتى كان من المنزل عليه قوله سبحانه: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [النور:٣٥]، فكان ﷺ السراج المنير في ذاته المبين لغيره، ولاشتراك السراج بين النوريِّ والنّاريِّ أتبع هذا الاسم بنعت الإنارة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا*وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٥،٤٦]، فهو ﷺ سراج التسرج الذي أضاء إضاءةً لم يبق وراء إضاءته بقيةٌ من انطماسٍ لظلمة، حتى محا نور سراجه الظُّلم كلها من قلوب الأئمة عاجلاً، ومن ظاهر الأرض ختمًا حتى تمتلئ عدلاً، و في غاية المقام المحمود انتهاءً، فسراجيته آتيةٌ على كلّ ظلمةٍ، فهو السراج الكامل النور.

* * *

[اسمه ﷺ: المنير]

لما صرّح اسمه السراج بإضاءته في نفسه وتضمَّن إنارته لما هو متضمنٌ صرَّح اسمه المنير بما تضمنه اسمه السراج، ولكلِّ سراجٍ إنارةٌ بحسب قوته في ذاته، ولما كان هو ﷺ السراج الكامل كان المنير الكامل الإنارة، الذي أنار نور سراجه ظلمة ما سوى الحق المبين، فبدت له الذوات بما هي هي، وكان من إنارة سراجه إبطال دانيات ما سوى الله كما قال ﷺ: «أصدق كلمة قالها شاعرٌ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ[1]»، فأبطلت إنارته ظلمة ما سوى الله، فبدا باد أن الله نور السماوات والأرض، فكان اسمه المنير تلو اسمه السراج من أخصِّ أسمائه وأتمها وأكملها إحاطةً، فمن إنارته ما أشهده الحق وباعثه من الغيوب حتى وقفوا على الموعود، فأخرجهم من ظلمات غيب الإيمان إلى عيان ضياء الإيقان، كما قال: ﴿لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق:١١]، وهذه الظلمات هي ظلمات الغيب التي تبقى في كل رتبةٍ من رتب سرج ما دونه وأنوار ما سواه حتى يخرجهم إلى النور التام الكامل؛ فهو ﷺ المنير سراجه، الذي ليس وراء إنارته بقية ظلمة غيبٍ ﷺ.

* * *

[اسمه ﷺ: الرءوف]

الرأفة: ألطف الرحمة وأسبقها، التي بلطفها تقع العناية بالمرءوف به، فيكون محميًّا في الابتداء كما يكون في ظاهر الرحمة مرحومًا في الانتهاء، قال تعالى: ﴿واعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فالرحمة استدراكٌ، والرأفة افتتاحٌ، فهو ﷺ الرءوف بما هو حامٍ حفيظ على أمته مما توقعهم في مواقع الاختلاف والتشتت، قال ﷺ: «إني آخذٌ بحجزكم وأنتم تقحمون في النار[2]»، فهو بالمؤمنين رءوفٌ بما يبادر من

---

(١) رواه مسلم (١٧٦٨/٤)، وأحمد (٤٧٠/٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٢/٥)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥٢٤/١).

(٢) رواه البخاري (٢٣٧٩/٥)، ومسلم (١٧٨٩/٤)، والترمذي (١٥٤/٥)، وأحمد (٢٤٤/٢)، والديلمي في الفردوس (١٢٩/٤)، والحميدي في مسنده (٤٤٩/٢)، وابن المبارك في الزهد (٣٥١/١).

تأسيس أمرهم لهم على التقوى والبراءة من الحول والقوة، حتى لا يقعوا مبادرة الرأفة فيما يحوجهم إلى الرحمة بعد المغفرة والعفو، كما قال: «هاتوا دواةً وكنفًا أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده[١]»، وكان ذلك من رأفته ﷺ؛ ليحمي بدايتهم بفضل رأفته بهم عمَّا يتداعى إليه أحوالهم، فأنفذ الله مراده فيما وقع من الافتراق في أمته لما لم تستفتحهم في ذلك رأفته، فلم يفتهم ولن تفوتهم إن شاء الله رحمة شفاعته؛ إذ لم يبادرهم بادرة رأفته، فهو ﷺ الرءوف تمامًا بكامل الرأفة لطفًا وابتداءً.

* * *

[اسمه ﷺ: الرحيم]

نيل الموافق للنائل ظاهرًا وباطنًا، فكل موافق للحس رحمةٌ، وكل منافر له نقمةٌ، وصيغة فعيل فيما يكون وصفًا للمتصف الذي يُقال فيه: لا يتعدى مبالغةً في اتصاف المتصف، وفيما يكون منتهيًا إلى ما دون المتصف مبالغةً في نيله الذي يُقال فيه: إنه بمعنى فاعل، فهو ﷺ الرحيم بما يظهر من أثر رحمته أولاً في أهل بيته ﷺ، يقول: «سألتُ الله ألا يدخل أحدًا من أهل بيتي النَّار فأعطاني[٢]»، ثم في ذوي رحمه قال ﷺ: «ما بال قومٌ يزعمون أن رحمي لا تنفع، أما والله إنها لتنفع في الدنيا والآخرة[٣]»، ثم في ذراري أصحابه وأنصاره الذين قضوا ما عليهم وبقي ما لهم فأقر الله عيونهم في ذراريهم، قال ﷺ: «ذرية المؤمن معه في الجنَّة؛ ليقرَّ الله بذلك عينه[٤]»، كما قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ [الطور:٢١]، إلى ما ورد في ترتب منال الأمة في شفاعته كما قال ﷺ: «أوَّل من أشفع له يوم القيامة من أمَّتي أهل بيتي، ثم الأقرب فالأقرب، ثم الأنصار، ثم من آمن بي واتَّبعني، ثم اليمن ثم سائر العرب، ثم سائر الأعاجم ومن أشفع له أولاً

---

(١) رواه البخاري (١١٥٥/٣)، ومسلم (١٢٥٩/٣)، والنسائي في الكبرى (٤٣٤/٣)، وأحمد (٣٥٥/١)، والطبري في تاريخه (٢٢٩/٢)، وابن سعد في الطبقات (٢٤٣/٢)، والخلال في السنة (٢٧١/١).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٣١٠/٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (٧٧/٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٢٠٣/٥)، والطيالسي في مسنده (٢٩٤/١)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٩٩/٢).

(٤) رواه الديلمي في الفردوس (٢٤٥/٢)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٢/٤)، والطبري في تفسيره (٢٤/٢٧)، والحاكم في المستدرك (٥٠٩/٢).

أفضل[١]»، فبركة رحمته نائلةٌ في عقبى الأمور، كما أن عناية نائله في أوائل الأمور، ولكون الرأفة ابتداءً لام صيغتها أن تكون على فعول لما في الواو من العلوِّ المبنيِّ على الاستيلاء والأخذ بقوة حمايةٍ وحفيظةٍ، ولما في الياء من الإنباء عن التعطُّف والتنـــزُّل لأمته أن يكون في الرحمة على صيغة فعيل؛ لأنها تنال بالتنـــزل من شأن غير الرحيم أن يتجا في عنه، كما قال ﷺ: «شفاعتي للجبابرة من أمَّتي وشفاءٌ لأهل الكبائر من أمَّتي[٢]».

وبالجملة: فهو عبد الله ورحمته من رحمة الله، يسابق في أمته الانتقام فيسبقه ويغالبه فيغلبه، ثم في جميع العالمين كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، بما هو تعالى وسع كل شيءٍ رحمةً وعلمًا، فهو ﷺ رحمةً للعالمين، كما أن كتابه في الرتبة العليا ذكرٌ له كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح : ٤]، ثم هو ذكرٌ لقومه كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف:٤٤]، ثم هو ذكرٌ للعالمين كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف:١٠٤]، فهو من حيث الخلق رحمةً للعالمين، ومن حيث الأمر ذكرٌ للعالمين على تدريجٍ وترتيبٍ، الأول فالأول في متسع الأمد إلى أبد الأبد، كما قال ﷺ في ذرية الأنصار حيث قال ﷺ لما وقع واقعٌ في سعد بن معاذ فقال ﷺ: «لا تؤذوا الأنصار، من أحبَّهم فقد أحبَّني، ومن بغضهم فقد بغضني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن قضى لهم حاجةً كنت في حاجته أسرع يوم القيامة»، فقال عمر: يا رسول الله، هذا لسعد خاصَّةً أم للأنصار عامةً؟ قال ﷺ: «للأنصار ولأعقاب أعقابهم أبد الأبد[٣]»، فلم يزلْ ﷺ رحيمًا ورحمةً للعالمين إلى ما قال من أبد الأبد الذي لا يبقى معه باقيةٌ من أثر غضبٍ، حيث تغلب رحمة الله غضبه، وتسبق رحمته غضبه، والله أرحم الراحمين.

* * *

(١) رواه الطبراني في الكبير (٤٢١/١٢)، والديلمي في الفردوس (٢٣/١)، وابن عدي في الكامل (٣٨٢/٢)، والخطيب في موضع أوهام الجمع والتفريق (١٨/٢)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٨٠/١٠).

(٢) رواه الديلمي في الفردوس (٣٥١/٢).

(٣) رواه النسائي في الكبرى (٨٨/٥)، وابن ماجه (٥٧/١).

[اسمه ﷺ: الصادق]

الصدق: مطابقة القول للقلب، ومطابقة الحال للعلم؛ ليصير ما بطن باديًا فيما ظهر، فلكثرة خبايا الأنفس وضمائر الأفئدة يقلُّ الصدق ويصعب موقعه الأعلى من يأخذه في الله لومة لائمٍ كما قال الصديق: «لا خير فيمن لا تأخذه في الله لومة لائم[1]»، وشدة الصدق من حيث أن الصادق عن نفسه بفضحها والفضيحة شدةٌ وصعوبةٌ لا تستطيع الأنفس حملها فلذلك لا يكاد تصدق النفس ما دامت نفسًا ذات خبية، ولشدة ملابسة الصادق اللهجة وقعت المنابذة بين أبي ذرٍّ ﷺ وبين عامَّة أهل زمانه بما قال فيه ﷺ: «ما أظلَّت الخضراء ولا أقلَّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرٍّ[2]»، فكان يصدق عمَّا في باطنه، ويصدق عمَّا يعانيه من قرنائه، فلا يكاد يحمل صدقه إلا صادقٌ حتى عاش وحده ومات وحده ويبعث وحده، بما كان متَّصفًا من صدق اللهجة، وإذا كان الصدق إظهار ما في الباطن على الظاهر فالصادق الحق الذي أظهر باطن أمر الله على ظاهر خلقه، فصدق عن ربِّه بما هو العربيُّ الذي أعرب عن الله وصدق عنه فيما أعرب، فهو ﷺ الذي جاء بالصدق عن الله في نبائه عن علنه، وصدق به فيما هو من علن أمر ربِّه، وصدق به صدّيقه فيما جاء به من أمر ربِّه، فهو ﷺ الصادق الذي لا صدق وراء صدقه بما صدق عن بطل ما سوى ربِّه وأحديَّة ربِّه، ومن تفاصيل هذا الصدق العظيم جميع ما يجري على لسانه قولاً، ومن أخلاقه ومن علمه تعليمًا، فهو ﷺ الصادق عن حكمة الله بما أودعه الله، الصادق عن كلمةٍ بما أنفذها الله، الصادق عن الله بما هو لله وبالله.

ومن كمال صدقه رده الأمر من الله إلى الله كما قال: «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك[3]».

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه البخاري في الكنى (١/٢٣)، والترمذي (٥/٦٦٩)، وأحمد في المسند (٢/١٦٣)، وابن ماجه (١/٥٥)، والحاكم في المستدرك (٣/٣٨٥)، والديلمي في الفردوس (٥/٣٣٩)، وابن عدي في الكامل (٥/٢٧٦)، والعقيلي في الضعفاء (٣/١٧٥).

(٣) رواه أبو داود (٤/٣١١)، والترمذي (٥/٤٦٨)، والنسائي في الكبرى (٦/١٩٢)، والطبراني في الأوسط (١/٩٢)، وفي الصغير (٢/٢٢٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/٣٢٢)، وابن عدي في الكامل (٦/١٩١)، وابن منده في الإيمان (٢/٨٧٢).

وكما قال في الأنجية: «اللَّهُمَّ منك وإليك[١]».

ومن كمال صدقه ظهور حمده لله عمومًا في أمر أرضه وسمائه وما بينهما، وما شاء من شيءٍ بعد ذلك في قوله ﷺ: «ربَّنا لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شئتَ من شيءٍ بعد أهل الثناء والحمد أحق ما قال العبد[٢]»، ثم استتبع جميع الكون في صدقه فقال: «وكلنا لك عبدٌ[٣]»، حتى كان الكون كله بصدقه صادقًا لما كان يحمده حامدًا، ولما كان صدقه ﷺ عن ربِّه يرى صدقه من مضض صدق الصادقين عن أنفسهم لما وراء ذلك من حجاب موجود النفس؛ لأنه كثيرًا ما يتطرق للصادق عن نفسه ضرٌّ عقاب أو حدٌّ بحسب اعتراف أو اعتداء من المبطل حتى أنما يتحقق نفع الصدق في اليوم الآخرِ، كما قال تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة:١١٩]، فكان هو ﷺ في صدقه محمودًا في الدنيا والآخرة، لا يتخصص له يوم نفعٍ؛ حيث لم يكن له مدخل ضرٍّ، فصدقه ﷺ الحميد البريءُ من مدخل النفع والضرِّ، فهو بذلك الصادق الكامل الصدق عاجلاً وآجلاً دوامًا لا تغير له ولا انقطاع له.

* * *

[اسمه ﷺ: الطيِّب]

إن الله ﷻ أظهر الكون أزواجًا لطيفةً وكثيفةً، فكان للطيفة طرفان متقابلان، فأدناه خبثٌ وأحلاه طيبٌ، ومتَّصلٌ ما بينهما حدٌّ ما بين الرجس والطهر، فالطهر تخلص من الرجس، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:٣٣]، والطيب مزيدٌ من وراء الطهر، كما هو ترتيب كمال الجمع يوم الجمعة من التطهير والتطيُّب، فهو ﷺ الطيب البالغ في روحانيته إلى الحد الأو في بما هو في ذاته روحانيٌّ الطيب طيب الروحانية طيبٌ للطاهر،

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (١٧٨/٨)، والشافعي في الأم (٢٤٠/٢)، ومالك في المدونة (٦٧/٣)، والبيهقي في الكبرى (٢٨٦/٩)، وابن عدي في الكامل (٨١/٧).

(٢) رواه مسلم (٣٤٣/١)، والبخاري في الأدب المفرد (٢٣٧/١)، وأبو داود (٢٢٣/١)، والترمذي (٥٣/٢)، وأحمد (٢٧٦/١)، وابن ماجه (٢٨٤/١)، وعبد بن حميد في مسنده (٢٨٥/١)، وأبو عوانة في مسنده (٤٣٢/١)، والطبراني في الكبير (٢٠١/٩)، والدارقطني في السنن (٢٩٦/١).

(٣) تقدم تخريجه.

حتى كان أهله يَسْلُتْنَ عرقه لَيُطيِّبن به طيبهن، وكما قال الصديق ﷺ حين التمس كريم جثته، وقال: «طبتُ حيًّا وميتًا[١]»، وكان هو طيبٌ طيِّبٌ في ذاته، كان من أحبِّ ما له من دنيا أهل الدنيا الطيب بما هو غذاءٌ للروح ونماءٌ للباطن، فهو ﷺ الطيب الذي به اغتذت القلوب فطابت، وتنسمته الأرواح فنمت، فهو طيب الله الذي أنفحه في الوجود، فتعطرت به كليته، وتحقق له، ومنه بادي الطيب حتى كان من عرقه الورد ظاهرًا وموجود الطيب الباطن، حيث كان من عرقه موجود الصدق والإيمان والحياء والعلم وجميع البركات في الأرض، فهو الطيب الذي ظهر منه كلُّ طيب، فكان ﷺ يألف كل طيِّب من القول والعمل والكون، وكان له حظًّا في دنياه، كما قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور:٢٦]، فهو الطيب الذي انتهى إليه الانتهاء في الطيب كما في سائر أسمائه بما هو في كل اسمٍ من أسمائه منتهٍ إلى أحمديته.

***

[اسمه ﷺ: المبارك]

البركة: النماء من غير زرده[٢] ظاهر، ولما كان الغيب عن كلية البادي هو الله سبحانه كان كمال البركة ما هو نماءٌ عن غيب الله لا عن غيب شيءٍ من دونه، فكان ﷺ المبارك الذي نماؤه عن غيب ربِّه بما هو موجود أولية النور، فكانَ نماؤه عن غيبٍ من وراء النور، فمن حيث إن كل عينٍ ظاهرةٍ إذا نمت من غيب ملكوت ذلك الظاهرٍ كان ذلك حظًّا من البركة كان في التبارك رتبٌ متفاوتةٌ ما بين أظهر ظاهرٍ من الملك إلى أبطن باطنٍ من الملكوت، فكان ما انتهى إليه من كمال البركة هو منتهى البركة التي نماؤها من غيب الله كما قال ﷺ: «أدَّبني ربِّي فأحسن تأديبي[٣]»، وكان من آثار بركته ما ظهر من نبع الماء من بين أصابعه؛ فإن عيان بركته باديةٌ من غيبٍ من وراء عالم الملك والملكوت، وبما أنه مبدأ الكون كانت بركة الكائنات ونماؤها بأجمعها واصلةٌ إليها من قبل بركته المستمد من غيب الله، بما ظهر من ماء عرقه الذي ظهر منه ما ظهر من الباديات إلى بركة الأرض التي خلقت منه باطنها الألطف المدنيّ، وظاهرها

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١٣٤١/٣)، وفي التاريخ الكبير (٢٠١/١)، والبيهقي في الكبرى (١٤٢/٨)، وابن أبي شيبة في المصنف (١٤/٣)، والبزار في مسنده (١٨٢/١)، وابن عدي في الكامل (٢٨٨/٤)، وابن سعد في الطبقات (٢٦٩/٢).

(٢) زرد: يقال: زرد اللقمة: بلعها، وهو من باب فهم.

(٣) تقدم تخريجه.

الذي أُنشئ من الضبابة المنشأة من نوره، ولا يزال ذلك منه ومن مدده إلى أن تلقي الأرض بركاتها في آخر اليوم المحمديِّ عند ختم الهداية، فينتهي بركات الإبداء به إلى غاية هي كمال الإبداء، وكذلك تبدو بركته ﷺ في الإعادة بترقي درجات البركات إلى بركته الغيبيَّة، فيكون منه مدد حوضه المبارك أثره لمن شربه، وقد كان ﷺ يُعرف بهذا الاسم عند قومٍ من أهل الجاهلية، بما رأوا له من البركة في شأنهم وحالهم، فكانوا يدعونه الرجل المبارك، فهو ﷺ المبارك في ظاهر أمر الدنيا وباطن يوم الآخرة، وما ينتهي إليه بركات الجنان بما هو القاسم في الجنة التي جميع حظوظها قسمٌ منه ونيلٌ من مدد بركته من بركاتٍ لا نهاية لها كما قال ﷺ: «نعيم الجنة لا آخر له[1]»، وكله مددٌ من بركاته، وقسمٌ من قسمه، وحظٌّ من حظوظ جوده، فهو المبارك عموم حال في العاجلة والآجلة إلى ما وراء ذلك من بركة الوجدان لغيب الله الذي به تحقق تباركه واتضح علنه، حتى كان من المنـــزل عليه قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، فما كان غيبًا صار ببركته عينًا؛ فهو المبارك الذي ليس وراء تباركه مرمًى كما هو في كمالات أسمائه.

* * *

[اسمه ﷺ: المكين عند الله]

المكنة: الملكة المحيطة العالية، والمكانة: الرفعة المعنوية الروحانية، فهو ﷺ المكين بعلوِّ المكانة وكمال المكنة، خصَّه الله بمكانة الأولية؛ فكان أول باد، فله المكانة الأولية، وجعل بعثه آخر بعث ليليه في مجيد يوم الدين إلى الأرض، فكان مكانته من ربِّه، مكانة الذي يليه من أول الأمر وآخره، فبعث مع نفس الساعة، فلم تزل مكانته من ربِّه متصلةً بغير واسطةٍ بينه وبينه، حتى كان من مكانته ذكره مع ذكره، فما أُذِّن باسم نبيٍّ سواه، ولا قُرن اسم أحدٍ مع اسم الله إلا اسمه، فأعلن به في السابقة على ساق العرش، وأذِّن به في اللاحقة على منار الإيمان فاتصلت مكنته بربِّه في البادي القولي كما اتصلت مكنته في البادي الطاهر الغيبيِّ، فآخر امرئٍ من رسل الله محمدٌ، وليته رؤية الله بلا واسطةٍ، وآخر مبعوثٍ في الأرض محمدٌ، جاء به الله للأرض بعد بلا واسطةٍ بينه

(١) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/٤٣٣)، وابن الجوزي في صفوة الصفوة (١/٤٥١)، وابن حجر في فتح الباري (١١/٣٢٢)، والعظيم آبادي في عون المعبود (١٣/٥٤).

وبينه، وأثبت له المكانة بثبات الشفاعة يوم القيامة وفيما وراء ذلك إلى أبد الأبد، فله المكانة من ربِّه والمكنة في خلقه، وأمره مكنة عظمة مائلة للخلق بما هو ذو الخلق العظيم، الذي نزل عليه القرآن العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر:٨٧]، فكل مكانة مقتبسةٌ من مكانته، وكل مكنة توليةٌ منه على ما شاء الله من مضاء مكنته، فهو المكينُ التام المكنة عند الله في ظاهر أمرِه، وله في سرِّ أمر الله ما مكنته عنده آيةٌ عليه، والله الوليُّ الحميد.

***

[اسمه ﷺ: نور الأمم]

النور: هو البادي في نفسه المبدي لغيره، والأمم: جمع أمَّة، وهي الطائفة القاصدة لمأمٍّ: أي مقصد يقصده؛ ليهتدي به مما أحست به من ضلال مسلكها، وأن الله ﷻ كما ورد: خلق الخلقَ في ظلمة(١)، وظلمة الخلق ذواتهم وإحساسهم بأنفسهم، تلك ظلمتهم التي طمنست عنهم الوجدَ بربِّهم، ثم تضاعفت عليهم ظلم ذواتهم دركةً دركةً إلى أسفل سافلين وإلى أطباق سجين، بحيث صارت أدنى الظلمتين طمسًا أهونهما بما يداخل أدنى الظلمتين من نورٍ يظهر ظلمه أشدهما، وكل نور يظهر ذاتًا من ذوات الخلق؛ فهو بما يظهر نورٌ، وبما هو دونَ إرائه الحق وإظهار نور الله ظلمةٌ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً﴾ [يونس:٥]، فهو نورٌ بما يظهر من طمس الظلمة، وهو ظلمةٌ بما هو بادٍ من بوادي الخلق، حجابٌ من دون نور الحق، قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها وقد نظرت القمر: «استعيذي بالله من شرِّه؛ فإنَّه الغاسق إذا وقب(٢)»، فكلُّ بادٍ من الخلق ظلمةٌ بوجه ما إلا محمدًا ﷺ وآله؛ فهو نورٌ لكل من أمَّه من الأمم بما أبدى الله به من نوره وطمس مما سواه، حتى شهد ببطل ما خلا الله، وبمحو الكفر الذي تغطيته هي الظلمة التي محاها نوره، فهو نور الأمم الذي لا يبقي لمن آمن به ظلمةً من وراء نوره، وذلك بما هو النور الأول، كما قال ﷺ: «إنَّ الله خلقني من نورٍ(٣)»، فهو ﷺ نورٌ لا بقية لظلمةٍ فيه، بما هو فانٍ عن نفسه قائمٌ بربِّه،

---

(١) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (١١٣/٤)، وذكره المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٦٦/٧).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٥٨٩/٢)، والطيالسي في مسنده (٢٠٨/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (١٣٤/٥)، والسيوطي في الجامع الصغير (١٤٩/١).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (٢٨٦/١٢).

كما يقول هو ﷺ: «ما أنا حملتكم، الله حملكم[1]»، وكما قيل في أنه شعاعٌ، نوره من أصحابه وأنصاره: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧]، وكما قال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، فهو ﷺ نورٌ ليس في إنارته بقية ظلمة بما نزع الله ممن ائتمَّ به واتَّبعه، خفيُّ الشرك الباقي في خواص أمته، فصاروا أئمةً، ولذلك كانوا نور الأمم الذي ينتهي إلى نوره الأنوار ويأتمُّ به الأئمة، فهو نور الله المستمد بمدد الله، فلذلك هو نورٌ لا يطفأ ﷺ.

***

[اسمه ﷺ: نور الله الذي لا ينطفئ]

لما كان ﷺ محيطًا في خلقه بما كل خلقٍ منه ومحيطًا في أمره بما كل أمرٍ من أمره كان ﷺ مبينًا أعلى أمر الله لأدنى خلق الله، فهو نور الله البادي الذي أرسله، وهو نور الأمم الهادي الذي أوصلها، فهو نور الأمم بما هو هاديها، ونور الله بما هو باديه، الذي لا خفاء له، ولما كان الأول الآخر فكان الخاتم ليس وراء مكانته مكانةٌ ولا وراء إنارة نوره إنارةٌ، لم يكن وراءه ما هو أكمل نوريَّةً منه فيطفئ نوريَّته، كما شأن الأنوار المترتبة في حكمة الله أن تطفئ أشدها أضعفها، كما يطفئ نور الكواكب ويطفئ ضوء الشمس بعد القمر، والإطفاء إذهاب الإنارة، والإنارة الإراءة للأشياء بما شأنه أن يبدو ويبدي، فالإطفاء ذهابٌ له أو ذهابٌ لأثره، كما يذهب السراج وتذهب إثارة القمر بضوء الشمس، فكل نورٍ يطفئه فهو أكمل منه، ونور الله الذي هو نور السماوات والأرض نورٌ لا يُطفأ، فلما كان ﷺ نور البادي كله خلقًا وأمرًا لم يكن وراءه نورٌ بما هو نور الإحاطة إلى ما ورائها من إطلاق الحدِّ؛ فهو لذلك نور الله الذي لا يطفأ، بما ليس وراء نوره مرمًى.

***

[اسمه ﷺ: ركن المتواضعين]

الركن: ما يُقام عليه البناء ليكون عمادًا له وثباتًا، ويكون البناء قائمًا عليه، والوضع: الإلقاء للشيء، فكل ما أتى الله العبد إنما آتاه ليضعه لا ليمسكه، فإذا وضعه

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٤/٦)، ومسلم (١٢٦٨/٣)، والنسائي في الكبرى (١٢٦/٣)، وأحمد (٣٩٨/٤)، وابن ماجه (٦٨١/١)، وأبو يعلى في مسنده (٢٢٩/١٣)، والبزار في مسنده (٥١/٨)، والبيهقي في الكبرى (٥١/١٠).

كان مسلمًا مؤدِّيًا لأمانته، فإذا استمسك به كان خائنًا مخوَّنًا في إمساكه، ولما جُبلت النفوس على منازعة الأشياء دعوى ومَلكًا ومُلْكًا كان الملزم لها أن تترامى؛ لتضع، فالتواضع: الترامي لوضع، فيضعه عنه لله ولمن خوَّله الله إياه، ولو كان له لوضعه كما يقول ﷺ: «أنا كذا ولا فخر[1]»، فيضع ما خوَّله الله لله، حتى لا يكون فخرًا له على من سواه، وقال ﷺ: «أهل النَّار ثلاثةٌ: سلطانٌ جائرٌ، وتاجرٌ فاجرٌ، وفقيرٌ فخورٌ[2]»؛ لأن حقَّ الفقير الفقد والطمأنينة معه، ومن فخر استثبت واستمسك بما ليس في الحقيقة له، والتواضع من أعلام الاتِّباع؛ لأنه أحد الأربعة التي أمر بأن يتبع فيهن، وقد ظهر ﷺ من التواضع ما لم يظهر على شيءٍ سواه؛ لأن أشد خلق الله حملاً وتواضعًا لما يحمل هي الأرض؛ لما حملت من أثقال بني آدم وفضلاتهم، إلا أنها مجبولةٌ على ذلك، فهو ﷺ لما وضع على ظهره السلام والفرث والدم سكن على اختيارٍ واقتداءٍ ليس للأرض مثله، فتواضع ﷺ فيما وُضع عليه، حتى لم يزله عنه حتى أزاله الله بيدٍ فاطمة رضي الله عنها وهي ذلة حكمته تعالى، فكل متواضعٍ تواضع فتواضعه مبنيٌّ على ركن تواضعه ﷺ، فهو الركن الذي اعتمد عليه تواضع المتواضعين، فثبت بقيامه في وجوده، وثبت بتواضعه الحجَّة لمن تواضع، كان ﷺ يرقِّع القميص ويخصف النعل ويخدم في مهنة أهله ويقم البيت، ويطحن مع الخادم إذا أعيت، مع أنه ﷺ يقود الجيوش ويقسم الغنائم فكان له القدر الأعظم والتواضع الأكرم، فله تواضعٌ لم يتواضع إلى حدِّه، ولا نزل عن مقدار قدره، فكل متواضعٍ إنما تواضعه على قدر علوِّ قدره، وهو ﷺ لما كان له أعلى القدر كان تواضعه أكرم التواضع، فكان تواضعه على قدر شرف قدره، وهو ﷺ الذي أخذ التراب من تحت قدميه فمسح به وجهه الكريم ويديه، وجعله الله طهوره، وسجد على التراب، وكان يسجد على الماء والطين، وكان تستتبعه الأمَة والمسكين فيتبعهما حيث دعواه، فكان ﷺ يتطامن للجاهل بقدر فضل علمه، كما قيل: على العالم أن يتطامن للجاهل بقدر ما رفعه الله عليه، فيما كان أعلم العالمين كان أكمل المتواضعين تواضعًا، فقام كل متواضعٍ على ركن تواضعه ﷺ.

* * *

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١/٢٤١)، وابن المبارك في الجهاد (١/١٣٥)، والطبري في تاريخه (٥/١١٩)، وذكره المباركفوري في تحفة الأحوذي (١٠/١٩٦).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٤/٣٢٩)، وابن عدي في الكامل (٤/١١٠)، والديلمي في الفردوس (١/٢٤).

[اسمه ﷺ: المتوكِّل]

التوكُّل: تفعُّل من كلة الأمر إلى من يستقلُّ به، وذلك يقع بحسب العلم بتحقيق الأمر والثقة فيه، ووجه تحقيق العلم بذلك أن الله سبحانه هو القائم بالخلق والأمر، بيده النفع والضرُّ، الطَّبيب لما أدوى، الشافعي لما أبلى، المؤمن مما أخاف منه، الرازق لما خلق، ولما جعل تعالى في خلقه وأمره حكمه تسبيب وتصيير، استند بعض الخلق لبعضٍ في جلب نفعٍ أو دفع ضُرٍّ، فقطعهم ذلك عن كلة الأمر إلى ربِّهم بما حجبهم من حكمته عن ثقتهم فيها بمُجريها، وكان مما وظَّفه على أهل التسبيب والحكمة وقع الحساب والعقاب، وكان مما خفَّفه عن أهل الكلة لله في كلية حكمته من نفعها وضرها رفع الحساب والعتاب والعلوِّ عن محال أهل العقاب، كما قال ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب[1]»، ثم وصفهم بأنهم لا يكتوون ثقةً بأن مُبْلِيهِمْ هو مُعافيهم، واكت في بكلمته النافذة عن حكمته المعالجة.

قيل لأبي بكر ﷺ: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: قد رأيته. فقالوا له: وما قال لك؟ قال: قال لي: إنِّي فعالٌ لما أريد[2].

فمن استشفَّ الحكمة عن مجريها توكَّل، ومن حجبته عن مجريها بفعلٍ وتعمل ضلّ.

وقيل لأبي الدرداء: ألا ندعو لك الطبيب؟ فقال: الطبيب أضجعني[3].

شفت لهم الآيات والحكمة عن ربِّها، فرأوه ولم يروها، وذلك حال أهل الجمع الذين عوَّدهم الله دوام النظر إليه بالغيبة عمَّا سواه، ولما كان ﷺ أكمل خلق الله فيما هو من فضاء كلمة الله كما قال تعالى: ﴿**النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ**﴾ [الأعراف:١٥٨] كان ﷺ الأكمل توكلاً، قال ﷺ: «الثقةُ كَنـــزِي[4]»، ولما سَلَّ عليه السَّالُ سيفه، وقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله»[5]. فردَّه الله بما شاء، وكانت

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (١/١١٣)، وأبو نعيم في الحلية (١/٣٤).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٠/١٣٩).

(٤) حديث كشفي صحيح.

(٥) رواه البخاري (٣/١٠٦٥)، ومسلم (٤/١٧٨٦)، وأحمد (٣/٣١١)، والحاكم في المستدرك (٣/٣١)، والبيهقي في الكبرى (٦/٣١٩)، وأبو يعلى في مسنده (٣/٣١٣)، وابن سعد في الطبقات (٢/٣٤)، وابن حبان في الصحيح (١٠/٤٠٠).

ثقته بالله بحسب علمه بربِّه، وهو أعرف عباد الله بربِّه؛ فهو أتمهم كلة وتوكلاً، فهو المتوكل في كلية ما حجبته الحكمة، ولذلك كان ﷺ يدعو خلقًا كثيرًا من أمته إلى التوكُّل، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:١٥٨].

فمن أسلكه الله سبيله في التوكُّل وضع عنه الحساب، ومن أوقفته الحكمة عن العمل بآثار علمه في الثقة توظفت عليها إعياء الحكمة وتوجه عليه الحساب، ولذلك أمرهم ألا يلقحوا النخل ليهتكوا حجاب الحكمة عن وجه الكلمة ثقةً بالله وتوكلاً على الله، وقد كان من حكمة الله ألا ينتقل المنتقل من طرف أدنى إلى علوٍّ أعلى إلا عن تقريبٍ وتدريجٍ وصبرٍ ومصابرة، فلما تركوا التلقيح فشامتً لهم النخل فلم يصبروا على إخفاقها حتى تنتقل عادة التلقيح والتسبيب بالحكمة إلى يقين الثقة والكلمة، فلما لم يجدوا صبرًا على ذلك ردَّهم إلى عادة حكمة الله في خلقه، كل ذلك لينشلهم مما يلزمهم بالحساب والعقاب إلى أن يلحقوا بالذين لا حساب عليهم، فحين لم يستطيعوه قال: «أنتم أعلم بأمر دنياكم[1]»؛ لما رسخ عندهم من علم الحكمة، فكانوا أعلم بما هو أنـــزل، وكان هو أعلم بما هو أعلى من حيث اتبعوا أثر الأنزل ورفعهم هو إلى أثر الأعلى، ولذلك لم يقل بأمر الدنيا؛ لأن أمر الدنيا بالتوكُّل أتم من أمرها بالتعمل، وقد عمل بما أمر به رسول الله ﷺ من ترك التلقيح من أنهضه الله لقبوله وصابر إخفاقه سنين حتى استوى على حكم التوكُّل في السنة الرابعة وتمادى على ذلك، وإنما هي ثلاث مراتب: مرتبة الآخذين بالحكم المتوسلين إلى الأشياء بأسبابها، وعلى هؤلاء هي وطأة الدنيا والآخرة، الذي أشفق عليهم الله ﷺ من دركها في الدنيا والآخرة، والرتبة المتوسطة التي فوق هذه هي رتبة الجمع وردُّ الأمر إلى الله تعالى وإلى كلمات الله، وضعًا لحمل الأسباب؛ لما فيها من المشاقِّ، واستعجالاً لراحة الثقة والاتِّكال على الله، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ*فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، ولأهل هذه الرتبة راحة أخذ الأمور من يد الله، فلذلك لا يحاسبون عليها؛ لأنهم أخذوا الدنيا من الله ابتداء فضلٍ كما كان وجودهم ابتداء

---

(١) رواه مسلم (١٨٣٦/٤)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤٨٩/١)، والحسيني في البيان والتعريف (٢٩٩/١)، وابن حزم في المحلى (٢٨٦/٨)، وفي الإحكام (٦٦/١)، والزرقاني في شرحه (٣٣٥/٣).

فضلٍ، وكذلك يكون معادهم ابتداء فضلٍ، والرتبة الكاملة الجامعة رتبة أهل الشهود الذين حيثما توجهوا رأوا الله؛ فالتوكل لازمهم والحكمة لباسهم.

فهو كما قال ﷺ للذي قال له: أقيِّدها أم أتوكَّل؟ فكان التقييد حكمةً، والمتوكل كلمةً، فأمره ﷺ أن يجمع بينهما؛ ليكون مع المتوكلين في الراحة من الحساب، ومع أهل الحكمة في إقامة أمرها، فقال: «قيّدها وتوكَّل[1]»، وكذلك كان هو ﷺ يجري الأمور على ما سمح به الوقت من حكمة الله أو الأخذ بكلمة الله، وكان أغلب الكلمة لأهل الحكمة ليخرجهم عنها، حتى إذا اعتادوا الكلمة صار الأمر لهم سواء، فيكونون في حكمتهم متوكّلين، وفي توكُّلهم محكمين، ولذلك لو شاء الله ألا يلقحوا الثمر حتى يعتادوا ترك القاحة لاتسع لهم الأمر حتى يكونوا من شاء لقَّح ومن شاء ترك، فيتسع تصرفهم في أمر الله حكمةً وكلمةً، كما هو حاله ﷺ فيما في توكله محكمٌ وفي حكمته متوكّلٌ، فهو المتوكّل التامُّ التوكُّل، الذي ليس وراء كماله في ذلك منتهًى.

* * *

[اسمه ﷺ: راكب البعير]

لما كان كلية البادي كائنًا قائمًا هو الآدميُّ وكونًا دائرًا هو الكون الدنياويُّ الملكيُّ والكون العرشيُّ الملكوتيُّ وكان الكائن القائم هو المستوي والمستولي على الكون الدائر بما الدائر من القائم والقائم أول والدائرتان عنه في البدء كان المتطامن من المركوبات آية الكون الدائر، وكان الممتطي آية حقيقة الكائن، فكانت المركوبات كلها آية الدائرات من خيلها وبغالها وحميرها، ولما كان قوام أمر الموجودين القائم والدائر بعضه من بعضٍ عطفًا من أعلاه على أدناه، وتسخيرًا من أدناه لأعلاه وكان بعضه ناميًا من بعضٍ وبعضه بادٍ من بعضٍ ليكون له وحدةٌ محيطةٌ جامعةٌ لوحديَّته كان ما هو أنه نماء بعضٍ من بعضٍ وجود الأنعام، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ [الزمر:٦]، فكان ما يقابل منها المركوب هو الغنم والبقر؛ لأنها ليست بمركوباتٍ، كما قالت البقرة في الخبر المروي: ما لهذا خُلقتُ إنما خُلقتُ للحرث[2]،

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك (٧٢٢/٣)، والقضاعي في الشهاب (٣٦٨/١)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢١٥/٢)، والبيهقي في الشعب (٨٠/٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥٣٠/٤)، والعجلوني في كشف الخفا (١٦١/١).

(٢) رواه البخاري (١٣٣٩/٣)، ومسلم (١٨٥٧/٤)، والترمذي (٦١٥/٥)، وأحمد في الفضائل (١٧٩/١)، والدارقطني في العلل (٣٦٦/٩)، والديلمي في الفردوس (١٦/٢).

فتم أمر الوجود بمركوب ومحلوب، وكان منه متاعٌ ولباسٌ وأدواتٌ وآلاتٌ، فكان الحيوان المركوب والمحلوب صنفين، بهما قوام نماء وبلاغ، فجمع الله موجود المتقابلين من المركوب والمحلوب في البعير، فكان مطيةً كالمركوبات، ومحلوبًا كالمنتفع بها؛ للاسترزاق من أزواج البقر والضأن والمعز، فكان البعير جامعًا حتى سُمي ذكره جملاً من معنى الجمل الاجتماع، ولما كان ﷺ صاحب الجمع لكلية البادي كان أحقُّ مركوبه أن يكون البعير الجامع؛ لبركة المركوب والمحلوب، فكان راكب الحمار عيسى عليه السلام، أُركِبَ أدنى المطايا بما هو من أعلى الروح تعديلاً لوجوده، وكان راكب الفرس سليمان عليه السلام ملك الدنيا بما أن الفرس عزُّ الدنيا، كما قيل لآدم عليه السلام: «اخترت عزَّك وعزَّ بنيك إلى يوم القيامة[1]».

ولما كان هو ﷺ نبيًّا عبدًا جامعًا لعلوِّ الأعلى ودنوِّ الأدنى كان راكب الحيوان الجامع، وركب الفرس بما في ضمن أمره من الملك لأمته، وركب الحمار بما هو أعلى روحًا من روح الله عيسى عليه السلام؛ فكان الأخصَّ به ما هو الأجمل والأجمع من البعير، والجمل الذي هو آية كلية الكون حلبًا لأعلاه وامتطاءً لأدناه، ولما في خلقه من الجمع حتى أنه يقوم بما يحمل، وليس شيءٌ من المركوبات يستطيع ذلك، فراكبه قائمٌ بما حُمِّل، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ [النور:٥٤]، فمطيَّته تبركُ، فتتواضع ولا تعجز في بروكها، وتقوم فتحمل ولا تتثاقل في نهوضها، فاستوى حال مطيته في قيامها وبروكها، كما هو ﷺ في أمر ربِّه في علوِّه ودنوِّه على استواءٍ في أمره، فاختصَّ أن يكون راكب البعير اختصاصًا أتمَّ وإعلامًا أكمل.

* * *

[اسمه ﷺ: الموصِّل]

الوصْل: ردُّ ما انفصل على حدِّه ووجهه، ولما كان أمر الله واحدًا وكان فصله عن وصلٍ وفتقه عن رتق وكان كل داعٍ دعا إلى الله ممن دون محمد ﷺ هو الأول الذي ليس بينه وبين ربِّه واسطةٌ في الإبداء والإعادة بقي من وراء كلِّ دعوة فضلٌ ما، إلا دعوته ﷺ؛ فكانت دعوةً واصلةً إلى الله: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف:١٠٨]؛ فهو ﷺ الذي أَوصلَ الخلق إلى ربهم بوسيلة القرآن الجامع المحيط بما أوصلهم بالله إلى الله، وتأكَّد ذلك منهم وتكرَّر وتكثَّر، فكان توصيلا

(١) رواه أبو الشيخ في العظمة (١٧٧٨/٥، ١٧٧٩)، وذكره القرطبي في تفسيره (٣٢/٤).

أدامه الله في آله وأئمته ومن اتبعه حتى أحبَّه الله، فكان لذلك الموصِّل الذي أوصل العبد إلى ربِّه عرفانًا وشهودًا ووجدًا، كما قال: «من عرف نفسه عرف ربه[(١)]»، وقال: «إن الصدقة لتقع في كفِّ الرحمن مما أنـــزل عليه من القرآن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ [التوبة:١٠٤] [(٢)]» فأوصل العباد إلى الله، كما قال بعض أهل المعرفة: المَتصدق يده في يد الله، وقال ﷺ: «القرآن حبل طرفه بأيديكم وطرفه بيد الله[(٣)]»، فأوصلهم بالله إلى الله، وبما من الله إلى رحمته، فهو الموصل في رتبة الوصول، فوصَّل ما أمر الله به أن يُوصل إلى غايته ونهايته، كما حقق لآله أن يقولوا: «نحن بالله وله[(٤)]»، فكانوا بما قوَّلهم، فوصلوا بوصله وتوصيله، فكل موصلٍ إنما وصل إلى حدٍّ استند إلى توصيله، فانتهى توصيله إلى حدٍّ ليس وراءه فضلٌ، فهو الموصل الذي لا موصل بعده، ولذلك هو ﷺ خاتم الأنبياء بما أوصل إلى الله ووصل إليه، فلم يكن وراء توصيله مرمًى.

* * *

[اسمه ﷺ: المرحوم]

الرحمة: إجراء الموافق لظاهر الشيء وباطنه، إن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق فقسمه قسمين: شقيًّا وسعيدًا، فالشقيُّ في نقمته، والسعيد في رحمته، والرحمة رتبٌ، إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فتفاوت العباد في رحمته، فلكل مرحومٍ حظه من الرحمة، تقع منه بوفقٍ إلى حدٍّ وقدرٍ من ذلك العد، ولما كان ﷺ المنتهي فيما يوافقه إلى أعظم الغايات في ذاته و في آله و في أهل بيته وفيمن تصل إليه شفاعته من خلق ربه حتى قال له: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى:٥]، التي هي عند أهل البيت أرجى آيةً في كتاب الله، كان مناله من الرحمة المنال الأعظم، الذي لم يبق ما خوَّله الله من الوفق محل خلاف، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨،١١٩]، وهو الذي رحمه ربُّه بالرحمة العامَّة التامَّة فلم يبق

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٢٠٨/١٠)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (٣٤٣/٢)، والمناوي في فيض القدير (٢٢٥/١).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤/١)، وأبو نعيم في الحلية (٨١/٤)، والجرجاني في تاريخه (٤٩٥/١)، وذكره القرطبي في تفسيره (٢٥١/٨).

(٣) رواه الحاكم في المستدرك (٧٤١/١)، والدارمي في سننه (٥٢٣/٢)، والبيهقي في الشعب (٣٤٣/٢)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥٤٦/٢).

(٤) انظر: مسند ابن الجعد (١٠٩/١)، وشرح معاني الآثار (٢٦٦/٤).

عنده خلافٌ، فكان كل أمره وفقًا حتى قالت له عائشة رضي الله عنها: «يا رسول الله، إنَّ ربَّك يُسارع إلى هواك[1]»، وكذلك الأمر في آله كما قال ﷺ في عليٍّ عليه السلام: «اللَّهُمَّ أدر الحقَّ معه حيث دار؛ ليكون كائن الخلق والأمر وفقًا له[2]»، فهو ﷺ المرحوم الرحمة التي انتهت إلى الغاية التي ليس ورائها مرمى ولا منتهى، بما له من كل شيءٍ أحمده، وبما هو المرحوم الكامل الرحمة كان الموصل إلى الله، كما كان المرحوم في الطامة الأولى عاصمًا من نقمة الله في مضمون قوله تعالى: ﴿**لا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ**﴾ [هود:٤٣]، كأنه يقول عليه السلام لابنه: لا يعصمك إلا العبد المرحوم الذي هو نوح عليه السلام، وكان ذلك من أول بوادي الرحمة لما ظهر بها من العصمة، فكان بادية الرحمة عصمةً، وكان كمالها توصيلاً، وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح عليه السلام فكان ميثاقهم التوصل إلى الله، وكان من ميثاقة نوح العصمة من انتقام الله، ولكل نبيٍّ فيما بينهما رحمةٌ تخصُّه، واقيةٌ من سوءٍ، أو مرقيةٌ إلى خيرٍ، وتلك التوجيه يدانيها؛ لأن الطوفان أول طامَّة ظهرت في الدنيا، وسائر الطوامٌ في هذه الأمة، كما ذكر أن: «الطوامُّ سبعةٌ[3]»، والرحمة الكاملة المحمدية عاصمةٌ من جميعها، قال ﷺ: «المعاقل ثلاثةٌ: فمعقلهم من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدّجال البيت المقدس، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج طور سيناء[4]»، كذلك رحمته المحمدية عاصمةٌ في يوم الجزاء إلى ما وراء أمر الدنيا والآخرة، من هذا التوسل المحمديٌّ الذي نهايته التوصل إلى الله، والعصمة مما سواه الذي هو النهاية، والحمد لله ربِّ العالمين.

* * *

(١) رواه البخاري (١٧٩٧/٤)، وأحمد (٢٦١/٦)، وابن حبان في الصحيح (٢٨٢/١٤)، وأبو عوانة في مسنده (١٣٧/٣)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٥٢٦/٨).

(٢) رواه الترمذي (٦٣٣/٥)، والحاكم في المستدرك (١٣٤/٣)، والبزار في مسنده (٥٢/٣)، وابن عدي في الكامل (٤٤٥/٦)، وأبو يعلى في مسنده (٤١٨/١)، والعقيلي في الضعفاء (٢١٠/٤)، وابن حبان في المجروحين (١٠/٣)، والطبراني (٩٥/٦).

(٣) حديث كشفي صحيح.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك (٥٠٩/٤).

[اسمه ﷺ: الداعي إلى الله]

اعلم أن الله سبحانه وتعالى رتَّب أمر حكمته على فضل ما بين البعد والقرب، وجعل للقرب اتساعًا، وخلّص من شاء من عباده من حدود البعد، أو جعل لهم رتبًا متعالية بعضها فوق بعضٍ في حدود القرب، فمن أقامه في حدٍّ جعله مستجيبًا وأوقفه في حدِّه داعيًا إلى ما استجاب له، وتلك الحدود هي حدود الأنبياء وأوليائهم من بعدهم، فمَن عفا كان داعيًا إلى عفو الله، ومن غفر له كان داعيًا إلى مغفرة الله، ومن رحم كان داعيًا إلى رحمة الله، ومن أقدر كان داعيًا إلى قدره، ومن أعلم كان داعيًا إلى علم الله، ومن أعزَّ كان داعيًا إلى عزَّة الله، كذلك في حدود القرب على ترتب وترقٍّ وتعالٍ، ومن وراء ذلك حدُّ الإحاطة الخاصة لمن استجاب لله من كلِّ وجه، فدعا إليه من كلِّ وجه، فكان خصوص تلك الإجابة لمحمد ﷺ، فكان بذلك الداعي إلى الله لا إلى شيءٍ من دونه، لا إلى حكم وصف، ولا إلى أثر فعلٍ متقصرًا عليه، فدعوته شاملةٌ لكلِّ دعوة، واصلةٌ إلى إحاطة كل دعوة، فهو الذي دعا إلى الله دعوةً ليس وراءها دعوةٌ أكملَ منها، وكل دعوةٍ دعا بها داعٍ فهي من تفاصيل دعوته إلى الله؛ لأنها راجعةٌ إلى حكم وصفٍ أو أثر فعلٍ، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ**﴾ [يوسف:١٠٨]، فدعا إلى الله علمًا وعيانًا، ولما كان من اتبعه ما له من محبة الله له كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿**أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ [يوسف: ١٠٨]، فهو ﷺ وآله داعٍ إلى الله علنًا لا من وراء حجاب ولا من دون غطاء، كشف الله بدعوته غطاء الحسِّ والمحسوس، ورفع حجاب العلم والمعلوم، فعلن أمر الله والداعي إلى الله، واختصَّ بذلك من حيث لم يكن له ﷺ ظلٌّ يمنع ولا وجود يحجب بما هو نورٌ كله، من قصده قصد الله، ومن بايعه بايع الله، ومن أطاعه أطاع الله؛ فهو الداعي إلى الله على بصيرة علنٍ هو ومن اتَّبعه، ممن أحبه الله اختصاصًا، ليس وراء كماله كمالٌ.

***

[اسمه ﷺ: المدَّثِّر]

التدثُّر: اتخاذ الدِّثار، وهو مما يستدفع به أذى البرد فوق الشعار من ثخين الثياب ونحوها، وحقيقة هذا الاسم من أخ في أسمائه في رتبة العلم، وإنما يصل إلى علم اختصاصه بمعناه، وجهه الحمد من وصفه، وبلوغ الأحمدية في انتهائه، أهل الذوق

الذين أوتوا من إحساس الوراثة النبوية حظًّا كما أعطي العلماء من الوراثة النبوية في العلم حظًّا؛ فإن النبوة لها في رتب العلم علوٌّ حظٌّ من العلم يعلو على علوم العالمين، ولها في الحواس الخمس نفوذٌ ومزيد منال على إحساس الحاسِّين وإيناس الآنسين، ولها في الوجدان القلبيِّ والأحوال النفسانية والوجداني الجسماني إحساساتٌ لا يصل إليها وجد الواجدين، وللنبوة وراثةٌ من كل ذلك، فوارثٌ ورث من علمه، يعلم علوم الكتاب والحكمة، ووارثٌ ورث من حسِّه، فكشف مرأى الملكوت، قالوا: يا رسول الله، لم يزل الليلة على دار ثابت بن قيس بن الشماس كأمثال السُّرج، قال: «لعله قرأ سورة البقرة»، فسأل عن ذلك؟ فأُخبر أنه قرأها تلك الليلة[1]، إلى ما لا يُعد كثرةً من مرأى أصحابه وأهل بيته، مما شهدوه وكشفوه من عوالم الملكوت الغائبة عن أهل المعقول المنكر وجوده عند أهل الطبيعة، الذين رضوا بالحياة الدنيا واطمأنُّوا بها، وأغفلهم الله عن آياته، ووارثٌ ورث من وجده وحسِّه وتلقيه لتنـــزلات موارد الاختصاص الربانيِّ عليه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُّتَشَابِهاً مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣]، فاقشعرار الجلود حسٌّ وجدانيٌّ يجده الوارث في جسمانيَّته، هو عند أهل المعرفة المتلقين عن ربِّهم أثرًا من آثار نظر الله للعبد، فإذا نظر الله إلى عبد اقشعرَّ جلده من نظره، وذلك من أوائل آيات الاختصاص في مقابلة الذين لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، فهؤلاء الذين ينظر الله إليهم في الدنيا أول مواجيدهم اقشعرار جلودهم، ومن وراء ذلك مواجيد يجدونها في جسمانيتهم أثرها فيهم، متفننٌ مما يناسب أثر الحرِّ والبرد، وليس هو بالحقيقة من الحرِّ والبرد المعهود من أمر النار بل هو أثرٌ من آثار النور الوارد على بقايا آثارٍ في الجسمانية، يُذهبها مورد ذلك النور، فيوجد عند ذهابها آثارٌ كآثار الحرِّ والبرد في الجسم، كذلك تترقَّى المواجد والإحساسات الجسمانية تبعًا للتأثيرات النفسانية غشيانًا من التنـــزلات القلبيَّة الجبروتيَّة إلى غاية تلطُّف الرحمانية إلى أن تنتهي المواجيد إلى مقابل بدايتها من اللِّين، الذي أنبأ عن متسع ما بين الغايتين كلمه ثم ذات المهلة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٢٣]، فذكر تعالى أثر أوائل التنـــزلات بالاقشعرار الخاصِّ بالجلود وخواتم ملكات تلك التنـــزلات بإحاطة اللين بالقلب والجلد وما بينهما استغراقًا لكلية الذاتيَّة في اللين، الذي موقعه في النفس طمأنينةٌ، وفي القلب يقينٌ، وكثيرًا ما كان يظهر أثر هذه المواجيد على أصحاب رسول الله ﷺ وأهل بيته، وهو مما اختصت به أهل

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣٤/١)، وابن حجر في فتح الباري (٥٧/٩).

الصُّفة وأهل التصوف بعدهم السالكون على أثرهم الذين لم يشغلهم عنها شواغل الدنيا، ولا حجبهم عن التهيؤ لها حجب رتب العلم وإعمال الفكر في المطلوبات، وإنما يتلقاها أولو الألباب المتذكرون.

كان الحسن بن عليٍّ عليهما السلام إذا توضأ اصفرَّ وامتقع لونه، فإذا قيل له في ذلك يقول: ألا تروني أتجهَّز إلى لقاء ربِّي[(١)].

وقرأ عمر ﷺ مرةً سورة الطور في صلاة الصبح فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾ [الطور:٧]، أنَّ أنَّةً، عيد منها عشرين يومًا[(٢)].

وأما أبو بكر الصديق ﷺ فكان ذلك دأبه، كما قيل فيه: «إن أبا بكر رجلٌ رقيقٌ إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء[(٣)]»، فكانت تبدو آثار المواجيد في أجسامهم فيضًا من منبعثات قلوبهم وتأثرات أنفسهم، حتى يستغرق المواجيد كلية ذواتهم ظاهر أجسامهم وباطن قلوبهم وأحوال أنفسهم، والمأثور من ذلك عنهم وعن أهل الاختصاص بالخلوات والأذكار والسالكين سننهم من الصوفية وأهل التجارب للأعمال الدينية كثيرٌ لا يكاد يُحصى، ولكن لا يحيط بكنهه إلا الذائقون له أو لحظٌ منه، وكما تنال عامَّة الناس من اللمس الناريِّ من عالم الجن آثارٌ تشهدها العامة كذلك ينال أهل الاختصاص آثارٌ من الملابسة النوريَّة الملكيَّة والروحانيَّة والموارد الربَّانيَّة والتجليات الرحمانيَّة آثار يجدها ويعرفها أهل الاختصاص، ومن لوائحها وبوارقها مما يجده أهل السماع في سماعهم عند سماع أحسن الحديث من كتاب الله، وحسن الكلام من المواعظ، والأشعار الحسنة، وذلك كله لمن وجده أو أحسَّ بشيءٍ منه أو آمن به آية معرفةٍ لما هو على الوارد على النبيِّ ﷺ في علوِّ رتبته وعظيم إحاطته، ومنه نشأ غلط الذين لم يغرقوا في اختصاص نبوته، وتنزل الوحي عليه بين أثر مسِّ النار الجنيِّ والنور الروحيِّ، حتى اختلط لهم حال تنزل الوحي بما كانوا يقولون، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ*وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [القلم:٥١، ٥٢]، وهذا

---

(١) رواه ابن أبي عاصم في الزهد (٣٦٧/١)، وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٩٢/٤)، والمزي في تهذيب الكمال (٣٩٠/٢٠).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢٤١/٤).

(٣) رواه البخاري (٢٤٠/١)، والترمذي (٦١٣/٥)، وأحمد في المسند (٩٦/٦)، وفي الفضائل (١١٨/١)، ومالك في الموطأ (١٧٠/١)، والبيهقي في الكبرى (٢٥٠/٢)، وابن سعد في الطبقات (١٨٠/٣)، وابن حبان في الصحيح (٢٩٤/١٥)، وأبو عوانة في مسنده (٤٤٥/١).

الأمر الوجدانيِّ النبويُّ علوُّ الموروث ولايةٌ في العالم الآدميِّ هو أيضًا موجودٌ في العالم الملكيِّ والعالم الروحيِّ؛ لتجلي الحق على الخلق من خلال غشيان نوره المبين، حتى أنه تجد الملائكة من تنزل الأمر كما قال ﷺ: «كوقع سلسلة على صفوان، فيصيبهم في عالمهم كالغشي في عالم الإنسان حتى إذا فذع عن قلوبهم: أي أذيل ذلكٌ الفزع الذي غشيهم من وطأة تنزل أمر الله مما فوقهم عليهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق[(١)]»، فيتعالى السؤال بينهم حتى يخبرهم أهل الثبت من فوقهم، فيقولون لهم: الحق، وهو العليُّ الكبير، فهذا الاسم أسماءٌ وأظهارٌ على النبيِّ ﷺ سمو اتصافه بهذا الوصف العليِّ الذي هو تأثر جسمانيته بموارد الحق بالوحي عليه، وبشعاع النور الوحي في كلية ذاته حتى فيه جسمانيته، فكان يجد له في ابتداء أمره أثرًا كأثر البرد تارةً، فيقول: «دثِّروني زمِّلوني[(٢)]»، فسمي بالمدثر، أصار عليه بكمال جسمانيته وشياع النورانية في كلية ظاهره، كما هي شائعة في كلية باطنة، وكما كان يجد لها أثرٌ كأثر البرد فيطلب الدثار والتزميل، كذلك أيضا كان يجد منها أثر كأثر الحر، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «كان ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فينفصم عنه وأن جبينه لا ينفصل عرقًا[(٣)]»، و في تفضيل وجهي الوحي لما أثره أثر البرد ولما أثره الحر تبيانٌ يختصُّ بأهل الذوق المؤيد وجدانهم بالفهم، فإذا كان الفاهم ذائقًا والذائق فاهمًا تفصّل لهم الأمر علمًا لما اختلف عليه جثته وحدًا، والذي يبينه ناطق الفهم أن ما كان من الصبر والمشاورة والثبات في الأمر لو أرادت الامتحان فأثره أثر البرد، وما كان من الاشتداد في الانتقام لله وإمضاء أحكام الله كان أثره أثر الحر بآية ما أن الحر محركٌ والبرد مجمدٌ، فلذلك أنباء في التنزيل المكيِّ الذي كان وقت صبر بما هو من محو البرد المستجلب له الدثار والتزمُّل، وأنبأ عن التنزيل المدنيِّ كثيرًا بما كان أثره الحرَّ حيث كان موطن

(١) رواه البخاري (١٨٠٤/٤)، والترمذي (٣٦٢/٥)، وابن ماجه (٦٩/١)، وابن حبان في الصحيح (٢٢٢/١)، والحميدي في مسنده (٤٨٧/٢)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٥٣٨/٨).

(٢) رواه البخاري (١٨٧٥/٤)، ومسلم (١٤٣/١)، والترمذي (٤٢٨/٥)، وأحمد (٣٧٧/٣)، وأبو عوانة في مسنده (١٠٤/١)، والحاكم في المستدرك (٢٧٥/٢).

(٣) رواه البخاري (٤/١)، والنسائي في الكبرى (٣٢٤/١)، وأحمد (٢٥٦/٦)، والطبراني في الكبير (٢٥٩/٣)، وابن سعد في الطبقات (١٩٨/١)، وابن منده في الإيمان (٦٨٨/٢)، والبيهقي في الكبرى (٥٢/٧)، ومالك في الموطأ (٢٠٢/١).

غزوٍ وبطشٍ من بطش الله، فأنبأ تسميته بالمدثر على كمال وصفه في المثال النوريِّ الوحي، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً﴾ [الشورى:٥٢]، فكان أثر ذلك النور شائعًا في كليته حتى في جسمانيته، فاستجلب لذلك من الدثار ما به؛ فكان مظهرًا لحمد اختصاصه لذلك الأمر الوجدانيِّ وبالغًا فيه إلى أحمدية وصفه كسائر أسمائه ﷺ.

* * *

[اسمه ﷺ: المزمِّل]

التزمُّل: اتخاذ ما يزمِّل: أي يخلل ويغشي الجسد كله من ثخين الثياب، وكأنه أوعب وأظهر من الدثار، ولما كان الوارد مما يكمل به ذات النبيِّ في خصوصه وبما يكتمل به لتكمُّل غيره من قومه وأمته كان للوارد أثران: أثرٌ ذاتيٌّ خاصٌّ، وأثر موجَّهٌ لإقامة الغير، فكان من كل وجهٍ من ذينك الوجهين له اسمٌ خاصٌّ به يظهر حمده وأحمديته في ذلك الوجه، فكان ﷺ في موارده أكمل كاملٍ وأتم مكملٍ، فكان في قيامه أكمل قائمٍ، في إنذاره أتم نذير، فكان اسمه المدثِّر من حيث أنذر، وكان اسمه المزمِّل من حيث قام في أمره أتم قيامٍ، وإنما أكمل الله له النذارة بما أنذر الكتاب السابق وهو التوراة بآفات الدنيا، وأنزل في القرآن منه ما شاء الله، وأنذر الكتاب الأحقَّ، وهو الإنجيل بآفات الآخرة، وأنزل القرآن منه ما شاء الله، وأنزل في الكتاب أن الخاتم بإفراد الانقطاع من الله تكملة للنذارتين المتقدمتين كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ*قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر:١،٢]، فأطلق النذارة ثم قال: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر:٣]، فكان ما سوى تكبير ربِّ محمد انقطاعًا تلزمه هذه النذارة، ولما تولَّى الله سبحانه طهارة جسمانيته بما أشربه إياه من نوره أمره بأن يطهِّر ثيابه، فقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، فمن كان بمنزلة الثوب له فهو مطهِّره، وما كان بمنزلة العضو منه فالله مطهِّره، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فهو وآله: عليٌّ ﷺ وفاطمة والحسن والحسين وذريته مما تولَّى الله طهرهم وطيبهم؛ لأن فاطمة بضعةٌ منه، وعليٌّ ﷺ كما قال ﷺ: «عليٌّ مني بمنزلة رأسي من جسدي[1]»، متَّصل النفسانية بنفسانيته العليَّة ﷺ في قوله

---

(١) رواه الخطيب في التاريخ (١١/٧)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣٥٧/٤)، وابن الجوزي في العلل المتناهية (٢١٢/١).

تعالى: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١]، فكان عليٌّ من مسمى نور قوله تعالى: (وَأَنفُسَنَا)، ومنه تفصيل ما روي عنه ﷺ أنه لما سُئل عن عليٍّ الطِّيلا قال: «أيسأل المرء عن نفسه[١]»، وكما روي أنه قال أيضًا: «ما ظننت أن أحدًا يسألني عن نفسي[٢]»، فهؤلاء تولّى الله تطهيرهم، وما كان من صحابته فهو متولٌ تطهيرهم بما هم منه بمنزلة أثوابه من جسده، كما ورد عنه في حقِّ صديقهم حيث قال له: «إن لك عندي يدًا الله يجزيك بها، وأنت منّي بمنزلة قميصي من جسدي[٣]»، وحرَّك قميصه بيده في حديث المؤاخاة الذي أمر ﷺ بتبليغه، حيث واخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن، وبين طلحة والزبير، وأظهر مؤاخاته هو لعليٍّ ﷺ؛ ففي ذلك بيان أن جهة مورد ما سمي به (المدثّر) من حيث النذارة لقومه ولأمته من جهة ما يصل أثر تطهيره في جسمانيته إلى تطهير أثوابه، وما هو بمنزلة أثوابه حتى يظهر ذلك في أصحابه وأزواجه من حيث يقول تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة:١٨٧]، وذلك بما أن الأثواب رياش الأجساد، فلذلك صحابة ﷺ رياشه الظاهر، وأزواجه رياشه الباطن، وأهل بيته جسده الظاهر الطيِّب، الذي دمُّهم من دمه، ولحمهم من لحمه، وشعرهم من شعره، وبشرهم من بشره، وهم منه عيانًا لأهل الإيقان، كذلك العلماء والفقراء والصلحاء والفضلاء من رياشه وثيابه الذين هم بمنزلة الأثواب من بدنه، فهم له شعارٌ ودثارٌ وتزميلٌ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال:٦٤]، وقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤]، ويقال لما يظهر من الثياب: ظهارةٌ، كما يقال لما يبطن منها: بطانةٌ؛ فالصحابة وتبعيتها بإحسان إلى يوم الدين ظهارته والآلية والقراء وأولياؤها إلى يوم الختم الآلي بطانته، فهو المدثّر بما أنذر، المزمِّل بما قام قائمه أتم قيامٍ، وكما يشير إليه نبأ قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ*قُمِ اللَّيْلَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [المزمل:١، ٢]، قال عمر ﷺ لما قيل له: ما لك لا تنام؟ في زمان خلافته. فقال: «إنْ نمتُ النَّهار ضيّعت رعيتي، وإن نمت الليل ضيَّعت نفسي[٤]»،

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) رواه الطبراني في الكبير (٥/٢٢٠)، وابن عدي في الكامل (٣/٢٠٦)، وذكره ابن الجوزي في العلل (١/٢١٨)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (١/١٩٧)، والذهبي في السير (١/١٤١).

(٤) رواه ابن المبارك في الزهد (١/١٢٣)، وذكره المناوي في فيض القدير (٣/١٥٢).

وذلك بما أن التزمُّل مجلدٌ مغشٍ للكلية، فهو المزمِّل بما هو قائم الكون كله وبادئه، الجامع لكلية وجود خلقه وأمره، فوارد ما يخصُّه هو منه متزمِّلٌ، وبوارد ما يصل إلى أمته متدثِّرٌ، فهو المدثِّر المزمِّل بحسب كمالين: كمالٌ خاصٌّ، وكمالٌ عامٌّ، بما أن اسم المدثِّر أخصُّ بالرسالة، واسم المزمِّل أخصُّ بالنبوة، فهو المدثِّر بما هو رسولٌ، المزمِّل بما هو نبيٌّ، ولما كانت نبوته ورسالته كمالاً إلى ما ليس وراءه مرمًى كان اسمه من الأمرين كما ليس وراءه مرمًى، بحسب من لحقه في جسمانيته العلية من الأثرين الواردين جمعًا، الطاهرين تفصيلاً، والله العليُّ الكبير.

* * *

[اسمه ﷺ: طه]

اعلم أن النساء خطابٌ عن أعيان قائمة في العلم أو بائنة في العين أو متلقاة بالإيمان من غير أن يكون لها مثلٌ في العلم، ولا وجودٌ في العين، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ﴾ [البقرة:٣١]، وتخصيص البناء بأعيانه في العلم، والعين هو معرفة اللسان الذي يقع به الخطاب، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [إبراهيم:٤]، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢]، فإذا وقع الخطاب بنبإ عن عينٍ وتخصصٍ للمخاطب لسميه العين بذلك النبأ عرف موقع الخطاب، وكذلك إذا تخصص له بمثلٍ في علمه علم معناه، فإذا لم يكن له وجودٌ في عيانه ولا مثلٌ في علمه لم يعرفه عينًا ولم يعلمه علمًا، فلما كان وراء العين والعلم للخلق ما لم يحط به عيانهم ولا علمهم كان ولا بدَّ أن يرد عليهم من الله نبأٌ بما لم يعاينوا وجوده، ولم يعلموا مثله، فلزم تلقيه بالإيمان إذعانًا وردًّا إلى أصل ما قد عرفوا عينه وعلمه مثله، فكان في النبأ ما هو معروف العين كخطابه لذكر السماء والأرض والنجوم والليل والنهار والرياح والسحاب ومنزل الأنعام ومبثوث الخلق من الموالد والأركان، وما يجده المخاطبون من أحوالهم، ويشهدونه من أنفسهم، فتقع لهم معرفته لظهور صورته والإحساس بأحواله، وكان منه ما هو معلوم المثل بأنه من آياته، كخطابهم بأمر العرش والكرسيِّ والروح الأمين والروح القدس والملائكة والجن، وغير ذلك مما يكون له مثلٌ من محسوسهم، وكما أن من منزله ما هو معروفٌ عندهم ومعلومٌ لهم فمن منزله ما ليس من معروفهم ولا معلومهم وإنما يؤتى الإحساس به إذا استجلى العلم بمثله هبةً وعنايةً، فكان من ذلك المنزل الذي ليس بمعروفٍ ولا معلومٍ عند عامَّة خواصِّ الأمة

خطاب الله بالحروف الوارد الخطاب بها في أوائل السور، فوجب على من تلاه الإيمان بها، وأن لها معاني في العلم وإيحائه في الكشف يوصل الله إلى عينها وعلمها من اختصَّه من آل بيته وأئمة أمته، فلهذه الحروف معانٍ في العربية الملكوتيَّة، وأعيان في العالم الملكوتيّ، يعرفها ويعلمها أهل الكشف والفهم، ويجب أن يؤمن بها أهل العقل والعلم من أهل الإيمان، وتبلغوا معانيها عن أهل الفهم إيمانًا؛ فالإيمان طليعة النيل كما أن الكفران طليعة الحرمان، فالطاء معناه التخلُّص التامُّ المحيط من كل وجه الذي يخلص من نقل الكون الدنياويِّ إلى طفو العالم الروحانيّ، ولذلك يجري حرفه في أسماء تنبئ عن معنى التخلص من ثقلٍ أو تجنبٍ بوجه ما، نحو موقعه في الطائر فالطاهر والطيب والطافي والطامي ونحو ذلك، ولما كان النبي ﷺ أكمل عباد الله تخلصًا من كل وجه من أوجه الثقل والمجتنبات كان أحقَّ بأن يكون طاء الكون؛ لأنه الطاهر الطيب المحيط طهره وطيبه، فهو أكمل طاء جرى حرفها في مسمى اسمٍ فيه حرفها، وكما هو ﷺ طاء الكون المتخلص بالكلية من ثقله ومجتنبه حتى كان كما قال: «كنت جوهرةً لطيفةً أطوف حول العرش[1]»، وذلك محلُّ الطاء؛ لأن الطاء محلُّ الرتبة التاسعة، وهي رتبة العرش، فكان هو ﷺ في جوهريته اللطيفة طائفًا حول العرش، متخفِّفًا بصورة طائيته، كذلك هو باطن كلية الكون فيما يقابل علوِّ الطاء في إخفاء خفاء من معنى الهاء، الذي هو اجتماع الباطن لأمرٍ له غناءٌ في الظاهر، ينبت ويفترق في الظاهر، ويجتمع ويتحد في الباطن، كما يظهر لمحٌ منه في اسم الهوية، الذي إذا قيل: (هو) رجعت إليه جميع الظواهر من الأسماء والأوصاف، فهو ﷺ هاء الكون الباطن وطاؤه العلا، فهو طه، فلذلك كان مجموعها اسمٌ من أسمائه ﷺ، وكان ظهور معناهما فيه ظهورًا إنما يتلقاه ذو العقل والعلم إيمانًا، ويشهده الله ذا الكشف عِيانًا، وكل هاءٍ من هائه وكل هويةٍ من هويته، كما أن كل طاءٍ من طائه فله أحدية معاني الحروف في الملكوت، كما له أحدية معاني الأسماء في عالم المُلك والعِيان، فهو بذلك (طه) الذي ليس وراء طائيته وهائيته ملتثمين غايةٌ في المعنى وعِيان الكشف.

***

---

(١) حديث كشفي صحيح.

[اسمه ﷺ: يٓس]

لما أنبأ اسمه (طه) عن إحاطة ذاته بكلية الكون خلقًا في علوِّ طائه ظهورًا، وخفاء هائه استبطانًا، أنبأ اسمه (يٓس) عن إحاطة أمره بمطلق القيام أمرًا، فإنباء الياء بما ينبئ عنه معناه من أنه القائم المحيط المتلطف المتنزل إلى أنزل رتب القيام المحيط غيبًا، الذي هو قلب كلية الكون، الذي إليه يرجع إضافة الباديات خلقًا وأمرًا حتى يقول قائلٌ: نطقه جسمي ونفسي وروحي وعقلي وخلقي وأمري، كل ذلك عائدٌ إلى غيب إقامة الياء، وقلب الشيء حدُّ غيبه من وجوده، وإلى علوِّ الياء في أسماء الله المضمرات، انتهت الإضافات في قوله: عبدي، وبي يسمع، وبي يُبصر، ورتبته رتبة العاشر، فمحله محل الاستواء الرحمانيِّ على الطاء العرشيِّ، الذي هو محل التاسع، فكان يس قلبًا لظاهر طاء طه، ولما كان إحاطة الياء إحاطةً قلبيةً غيبيَّةً كان إحاطة اليقين المنتظمة معه إحاطة الإنباء السمعي عن كلية حدود الكون، ألفه القائم، ولامه الواصل، وميم تمامه، حتى أظهر في رسمه ثلاث حروف في حرف واحد، فكان السين كلية أسماء ما أحاط به الياء اسمًا ولسنًا، ولما كان قلبه ﷺ أكمل القلوبً ومنه مادهما ولسانه أفصح الألسنة ومنه نبائها كان (يٓس) أخصَّ الأسماء به إحاطة معنًى، وكان قلبًا ولسانًا، ولذلك كان (يٓس) قلب القرآن؛ لأن القلب حد الغيب المملي على قلم اللسان نبأ الاسم، وما ينفصل منه بكل لسان يفيد إنباءً؛ فقد كان ﷺ يعرف كل لغة ويتكلّم بكل لسان عربيه وعجميه، وبألسنة جميع العجم الحيوان، وألسنة جميع الجامدات من المؤتان، ومن آحاد تفاصيل ذلك الأثر عند أهل النقل وعلم الظاهر من تفاصيل كرامات يدل بها على كرامة صحابته وقرابته والتابعين لهم إلى ما منتهاه أن يكشف خاتم البدر المحمديِّ، فذلك الذي ينقله أهل النقل يشهده أهل الوجدان مما أظهر الله من وراثة نبيهم بما أقبس قلوبهم ياء من يائه وأسماعهم وألسنتهم سينًا من سينه، فـ(يٓس) قلب القرآن، وهو اسمه؛ فهو ﷺ القلب لكلية الخلق والأمر الذي صار القرآن لذاته فرضًا وجزاءً في وجوده، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص:٨٥]، طباق كلية لكليته، وإطلاقًا لإطلاقه، وتفضيلاً لتفضيله في إحاطة العلم، وإنباء اللسن بالخلق، والأمر كليةً وحده هو أمرٌ واحدٌ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠].

ولما كان (يٓس) اسمه ﷺ كان تاجًا لسورة (يٓس)، فكان كل كلمة منها وكل آيةٍ منها قلب إحاطة علمٍ وكمال نبإٍ عمًّا تضمنته ما في القرآن تفضيله، حتى أن من

اشتبه عليه شيءٌ في جميع القرآن فإنه يجد أصله في (يّس) ، كما يرجع كلية الـذات إلى مدد القلب، فيجد تفضيل ما أشكل عليه في القرآن في (يّس)، ولما كان محل الياء العاشر وكان مدد كلية القرآن (يّس) بما أن مدد كل شيءٍ من قلبه كان في التضعُّف قراءة (يّس) تعدل قراءة القرآن عشر مرات كما ورد في الخبر، فتوح من أسمائه بهذين الاسمين سورتين من سور القرآن: سوره طه، وسورة يّس ، فكان في إلاحة ذلك أنه ﷺ ينال من حقائق السورتين ما لم ينل سواه، وضمنا كمال إحاطة الخلق والأمر بما في قوله تعالى في سوره طه: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى*لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى**﴾ [طه: ٥، ٦]، ففي إشعاره أن كلية ذلك مخوَّلٌ لهذا النبيِّ المسمَّى بـ(طه) إلى ما يفضل في جوامع سائر السورة، ومنها أثر مواجيد الجسمانية وأحواله النفسانية بما يشير إليه قوله تعالى: ﴿**مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾ [طه:٢]، وبما في سورة (يّس) من إشارة قوله تعالى: ﴿**سبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ**﴾ [يّس:٣٦]، ففي إشعاره إنهاؤه ووصوله إلى مطلع تلك الإشارة الذي من معناه كان أكثر تمنيه أن يقول: لا، ومقلب القلوب، واللَّهُمَّ مقلب القلوب، فانتهى في الباطن الذي انتهت إليه إشارة (يّس)، وفي الظاهر الذي انتهى إليه استواء سوره (طه) مما بين غيب العُلى وغيب الثرى إلى ما ليس وراءه مرمًى بما قيل له، ﴿**وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى**﴾ [النجم:٤٢].

* * *

[اسمه ﷺ: قُثَم]

هذه الصيغة التي هي صيغة (فُعَل) بضم أوله وفتح ثانيه مستعملةٌ في العدل في الإعلام، وللعدل وجهٌ من الإبلاغ في المعنى يزيد على مطلق المعدول عنه، والذي هو الأصل في معنى هذا اللفظ هو اجتماع الخير والإفاضة منه، فمعناه: الكامل الجامع للخير المفيض منه، فلذلك هذا الاسم من أجمع أسمائه ﷺ وأكملها دلالةً على ما أفاض الله على يديه من خيري الدنيا والآخرة، حتى ملك الماء في الدنيا، فكان يفيضه من بين يديه، وخصَّه بالغنائم كلها، فقال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [الأنفال:١]، حتى كان من يده إعطاؤها وإنفاذها، فكان القَثم بفتح أوله وثانيه هو الإعطاء منه، وكان هو القثم على صيغة العدل الذي هو اسمه الذي يفسر بالرجل المعطاء، فقثم من مال الله لعباد الله جميع الأنفال، ثم اختصَّ الله له من الغنائم

الخمس، فقثمه أيضًا قثمًا ثانيًا فقال تعالى: ﴿مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب:٥٠]، قال ﷺ: «إلا الخمس والخمس مردودٌ عليكم(١)»، فجميع ما خوَّل الله أمته مما أورثه من ملك الملوك والمماليك شرقًا وغربًا وما اتسع أمرهم جنوبًا وشمالاً إلى أن يستغرق أمرهم الأرض كلها في خاتمة اليوم المحمديِّ، حين يدين للمحمدية ما سواها فلا يكون في الأرض أمرٌ ولا ملكٌ ولا حكمٌ إلا حكم المحمديَّة، كلُّ ذلك من قثمه ﷺ لأمته في ظاهر الأمر إلى ما وراء ذلك مما تحقّق أن كلَّ عطاءٍ في الأرض من قثمه من حينه، إنه أول نورٍ أظهر الله كل بادٍ من نوره، وأول ذي أمرٍ أظهر الله كل ذي أمرٍ من أمره، كما قالَ ﷺ: «أنا الذي قالَ الروح الأمين جبريل عليه السلام: أتدرى يا محمدُ لأي شيءٍ أمرنا الله بالسجود لآدم فسجدنا؟! إنما أراد بذلك تعظيمه؛ إذ كنت في صلبه ولا فخر(٢)»، فكان إفاضة الغنيمة والخير والشرف على جميع العالمين من قثمه ﷺ، فهو قثمٌ بالحق الظاهر والحقيقة الباطنة للخير، وإضافة له إلى ما يتصل من قثمه في الآخرة من حيث أنه ذو الشفاعة، وكل شفاعةٍ لشفيعٍ من شفاعته مقتبسةٌ، ولوسيلته متبعةٌ، إلى ما وراء ذلك من أنه القاسم في الجنة لجميع الدرجات والمنازل، وكلة الرحمة من قثمه ﷺ إلى ما وراء ذلك مما هو مختصٌّ به من وصول عباد الله إلى الله به، ومعرفته بالله بمعرفته، فقد أتقن أولو اليقين أن معرفة الله لا تصحُّ إلا بمعرفته، وأن رؤية الله لا تُنال إلا من رؤيته.

قال ﷺ: «أوَّلُ عينٍ تقع على الله ﷻ يوم القيامة عيني(٣)»، إلى ما وراء ذلك مما لا يُقال مما إشارته الوجدُ بالله، كما يقول تعالى في آثاره عنه يلقن عبدًا من عباده أن يدعو: «قل أعوذ بالوجد بك من فقدك(٤)»؛ فهو ﷺ في قثمه وقثميته كمالاً وجمعًا، وإفاضة المنتهى إلى غايةٍ ليس وراءها مرمًى.

***

(١) تقدم تخريجه.
(٢) حديث كشفي صحيح.
(٣) رواه الديلمي في الفردوس (١/٣٨).
(٤) حديث كشفي حديث.

[اسمه ﷺ: الخاتم]

الختم: إثبات المَلْك اسمه ورسمه على ما أكمل إبداؤه علمًا على اختصاصه به، وحفيظة مما سواه أن يفكَّه، أو يطَّلع على خبره، والخاتم: هو المتَّصف ظاهره بذلك الرسم البادي على صفحة خلال ذلك الاسم الذي تأثره فيما دونه يلحق به اختصاصًا بالملك.

ورد أنه ﷺ نهى عن اتخاذ الخاتم إلا لذي سلطان، فلكل ذي خاتمٍ علوٌّ، ولكل خاتم اختصاصٌ وتخصيصٌ، لما ظهر عليه أثر ذلك الخاتم كما ظهر على الخاتم أثر الملك، فالذي للملك هو الخاتم وما عليه أثر الخاتم، وإن من شيءٍ إلا يسبِّح بحمده، فهو ﷺ خاتم الله، الذي على كل شيءٍ رسم منه، وذلك الرسم هو حمل ذلك الشيء الذي يسبِّح ذلك الشيء به، وللخاتم وجهٌ ظاهرٌ هو فصُّه، وله حلقةٌ خفيَّةٌ هي غيبه وباطنه، فالحمد والأحمديَّة والمحمديَّة هو المنتهى الذي يحقق بظهوره كمال الأبد، فلذلك وقف الإبداء كله على ختمه، فلما انختم انتهى وكمُل، لما في الختم من المنع للزيادة في الكتاب المودع فيه سرَّ الملك، وكما لم يكمل الإبداء عينًا حتى ظهر الخاتم وأثره في الأشياء لذلك يكمل الأمر سمعًا حتى ظهر الإعلان بالخاتم، فلم يكمل الإيمان إلا بالإيمان بمحمد، ولا الإسلام إلا بالأذان بمحمد، وكذلك لم يكمل الوجدان لأهل الوجدان إلا بالوجدان بمحمد ﷺ، فمن رآه ﷺ فهيَّأه الله لقبول أثره في باطنه قبل أثر ختمه اختصَّ بالله، ومن سمع به فهيأه الله لقبول أثر سمعه اختصَّ بالله تعالى إلى ما وراء ذلك من أمر الوجدان للكمال؛ لتمام الدين بالإحسان، قال ﷺ: «أنتم موفون سبعين أمةً، أنتم خيرُها وأكرمُها على الله تعالى[1]»، ولذلك أخصُّ الأمة به الذين ظهر عليهم كمال الرسم المحمديِّ، كما قال تعالى: «أمته الحمَّادون لله على كل حال[2]»، فبحسب ظهور الحمد على الشيء يكون اختصاصه، فمن أشرب الحمد عرفانًا وحالاً ومقالاً فقد ظهر عليه أثر الخاتم المختصِّ بالملك، وذلك بما شهد الكل بالله ومن الله، فيرتفع عنه التفات نظره إلى الخلق حتى يمدح أو يذمَّ، فيكون بذهاب المدح والذم عن الخلق تحقيق أمره ونظره حمدًا بحقٍّ، فيتحقق منه أن يقول: الحمد لله ربِّ العالمين، لا

---

(١) رواه عبد بن حميد في مسنده (١٥٦/١).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٧٦/٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٣٠٦/١)، والدارمي في السنن (١٧/١)، وابن سعد في الطبقات (٣٦٢/١)، والأصبهاني في دلائل النبوة (١٥١/١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٧٩/٥).

منها عالم من عالم فتنة ولا عالم هداية ولا شيءٌ مما يختلف في نظر أهل التفرقة، ولذلك آخر دعوة أهل الجنة: ﴿أَنِ الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، كما هو عند غاية الإطلاع، كذا هو عند آخر الدعوة، فهو متحققٌ عند اتِّصال الأول بالآخر الذي هو حقيقة الختم، ففي إلاحة هذا الاسم أنه ﷺ محيط الوجدان بما بين غيب الثرى وغيب العلا، المحيط بكلية البادي الذي هو معلمه ومآله؛ فهو ﷺ ذات الخاتم، بادئه فصُّه، وغايته حلقته، فهو اللامع في طمس العمى لمعاني الخاتم في حُلل الظلماء، فهو نور الله المحيط الأكمل، وله في كل رتبة من رتب الكون الذي تنـــزل وترقى أثناءها في الرفرف ليلة أسري به ختمٌ بحسب ذلك الخاتم، فهو خاتم ما مضى، وخاتم ما هو كائنٌ، وخاتم ما يكون أمدًا وأبدًا، وكما هو خاتم الله في ذاته وخاتم كل رتبة كذلك ما اشتمل عليه إحاطة ذاته خاتم ذلك المعنى؛ فقلبه خاتم القلوب، ونفسه خاتم الأنفس، وجسمه الطاهر خاتم الأبدان، ولذلك بدأ ظهور الختم بين كتفيه إشعارًا بما أودعه الله في كلية إحاطة أمره في حكمته وعلمه وكتابه ومعرفته ومناجاته ورؤيته وشهوده ووجوده إلى سرِّه الذي لا يُقال، فهو وما نُسب إليه ورجع إليه بوجهٍ ما خاتم، حتى أن ذلك شائعٌ في الآية، ومراكبه حتى فرسه المختصُّ به هو خاتم موجودٍ صنف الخيل، وكذلك بغلته وسيفه وقوسه وقضيبه وهراوته وكل شيءٍ من أدواته، ولذلك كان ﷺ لا يستعمل شيئًا إلا سَمَّاه، فأظهر بذلك سموَّه على ما سواه، يسمي كل شيءٍ حتى قدحه وفراشه ولحاف منامه إظهارًا لسموِّه على ما سواه من جنسه، فكل ما له ومنه خاتمٌ لما دونه بجميع غيبه وشهادته، وهو ذو بداية كونه، وقد قال ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، ومسجدي خاتم المساجد[1]»، فكذلك يجري هذا المعنى في كلٍ ما هو له وأضيف إليه، كما أن أمته خاتم الأمم، وله الختم نبوةً في بداية يومه، وهدايةً في خاتمه يومه، كما قال عليٌّ عليه السلام لما أنبأ بانتقال النور في الظهور الذي كان يظهر في وجوه آباء النبيِّ ﷺ من لدن آدم إليه: «أنه لما توفي النبيُّ ﷺ انتقل ظهور النور إلى آله وذريته، فقال: ثم انتقل النور إلى غرائزنا ولمع مع أئمتنا، فنحن أنوار السماء، وأنوار الأرض، فبنا النجاة، وفينا مكنون العلم، وبمهدينا تنقطع الحجَّج[2]»، خاتم الأئمة ومنقذ الأمة، فهو ﷺ وما له وما منه كل خاتمٍ لما هو أصله وما يرجع إليه مما سواه، وبما أن الخاتم زينةً وحليةً فهو ﷺ زينة الكون وحليته، الذي به علن أمر الله، وأضاء

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لم أقف عليه.

نور الله، وأنقذ الله به خواتم أمره وبداياته، فلذلك ما جعل الله له لإنقاذ أوامره خاتمه الذي اتخذه فكان يلبسه في يده اليمنى تارةً و في يده اليسرى تارةً؛ إشعارًا باستواء أمره ميمنةً وميسرةً، كما أن كلتا يدي ربِّه يمينٌ مباركةٌ، فكذلك كلتا يديه ﷺ يمينٌ مباركةٌ، وكان ذلك أيضًا بادٍ في آله، قال عليٌّ رضي الله عنه في أمر الوضوء: «لا نبالي بدأنا بأيماننا أو بأيسارنا إذا أسبغنا الوضوء[1]»، وذلك بما أن الخاتم مظهر استواء طرفي حلقته بما كمُل من صورته باتصال غيبه من طرفيه سواء شهادته، ولما لآله من تحققهم بختمه أمر عليًّا عليه السلام أن ينقش على فصِّ خاتمه: «نحن بالله وله[2]»؛ آداءً للمعنى الختميِّ، ودخولاً للاسم المحمديِّ في مسمى هذا الإضمار الجامع كلمة (نحن)؛ ليكون اسمه الخاتم منقوشًا على خواتم آله إضمارًا كما هو منقوشٌ على خاتمه هو إظهارًا، أو لما كان هو ﷺ الخاتم وصورته صورة هجاء محمد كما قال ﷺ: «إنَّ الله خلق آدم على صورة هجاء اسمي (محمد)، فالرأس والوجه بمنـــزلة الميم، واليدان إذا مددتهما بمنـــزلة الحاء، والبطن بمنـــزلة الميم، والرجلان بمنـــزلة الدال، فهو محمدٌ ولا فخر[3]»، كذلك نقش ﷺ على خاتمه صورته أمرًا فكان عليه: (محمدٌ رسول الله)، وبما أن الخاتم حافظٌ لما هو عليه لم يظهر الاختلاف في أمر الخلافة حتى سقط خاتمه ﷺ من يد عثمان رضي الله عنه في بئر أريس[4]، ولذلك ذكره ﷺ حفيظةً، ووجود آليته حفيظةٌ كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال:٣٣].

كذلك ذكره ﷺ أمان من كل مخافة كما قال ﷺ: «أنا الذي من أجلي نجّى الله نوحًا ومن معه لما كتب حول السفينة: (لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله)، فنطقت السفينة فقالت: ألا وكل من دخل فيَّ فهو في ضمان الله حتى يخرج، ولا فخر[5]»، كل ذلك لهيبة ظهور خاتم الملك على ما ظهر عليه بما هو خالصٌ له لا لسواه، ومسلَّمٌ ممن سواه له، مسلِّمٌ ذاته لمن هو له كما قيل له: ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) حديث كشفي صحيح.

(٤) رواه البخاري في الصحيح (١٣٤٣/٣)، وفي الكنى (٥٣/١)، ومسلم (١٦٥٦/٣)، وأبو داود (٨٨/٤)، والنسائي في الكبرى (٤٥٧/٥)، وابن سعد في الطبقات (٤٧٣/١)، وأبو عوانة في مسنده (٢٦٢/٥).

(٥) حديث كشفي صحيح.

اتَّبَعَنِ﴾ [آل عمران:٢٠]، فهو من الله بمنـــزلة الخاتم الذي لا حراك له ولا سكون إلا بيد من الخاتم له، فلذلك انتهى إسلامه إلى أولية الإسلام حتى لقَّنه الله أن يقول: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣]، ولذلك ما ظهر منه فهو منسوبٌ إلى الله دونه، كما قيل له: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، وقال تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران:١٠١]، فأجرى تعالى عليه اسمه العظيم في غير موضعٍ من كتابه، وذلك بما هو خاتمٌ، والخاتم متَّصل الأول بالآخر فيما هو كذلك كان وجوده له بما هو وجوده لربِّه في: «كان الله ولا شيء معه[1]»، وصحبة ذلك في كل رتبة، فكان خاتمًا لكل رتبةٍ فأعلن منها بأنه خاتم النبيين، وألاح إفهامها كمال الختم، فهو الخاتم الذي ليس وراءَ ختمه خاتمٌ.

* * *

[اسمه ﷺ: سيِّد النَّاس]

السيادة: كمالٌ في اللقاء بِشْر وجد، وفي الإفضال بذل ندًا، و في الحلم احتمالَ نفسٍ للأذى، وكما قيل: احتمال الأذىً وبذل النَّدى وبسط الوجه، فمن كانت هذه الأوصاف فيه أتم كان أكمل سؤددًا، وهو معنًى يختصُّ بما بين الأعلى ومن دونه، فهو جارٍ فيما يقع فيه التفاضل في رتب التزايد والتكامل لا يقبل مزيدًا ولا نقصًا، فلذلك اختصَّ بما فيه الرتب، ولما كان للناس من أمر الدنيا وأمر الآخرة وكان النَّوس[2] بينهما تارةً يكثر ويقلُّ، فلما كان أدومَ في أمر الآخرة كان أولى بالسيادة في رتب الناس، فإذا نظر فيما خصَّ الله محمدًا ﷺ في موازنته ما بين الدنيا والآخرة كان أتمهم رفضًا للدنيا وأقبلهم على الآخرة كما قال: «اللَّهُمَّ لا خير إلا خير الآخرة[3]»، وكما قال: «ألا

(١) تقدم تخريجه.

(٢) النوس: التحرك والاضطراب.

(٣) رواه البخاري (١/١٦٥)، ومسلم (١/٣٧٣)، وأبو داود (١/١٢٣)، والنسائي في الكبرى (١/٢٥٩)، وأحمد (٣/١٦٩)، وأبو نعيم في الحلية (٣/٨٤)، والبيهقي في الكبرى (٢/٤٣٨).

ترضى أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة[1]»، فكان ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة، وكان أجود ما يكون في رمضان بما هو شهر ليلة القدر الذي يفرق فيها كل أمرٍ حكيمٍ، وحضرة العطاء حضرة إفاضة، وكما ذكر أن عطاياه ﷺ لم يكد يصل إليها أحدٌ من ملوك الأرض بما كان يُعطي عطاءً من لا يخاف الفقر، يُذكر أن عطاءه بلغ يوم حنين أربعين ألف بعير، وما بين جبلين غنم، وقد أظهر الله ﷻ أن الأنفال والغنائم كلها من عطائه بما اختصَّه بها في قوله تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [الأنفال:١]، فبتمام جوده ﷺ وبذله للندى حتى ملكه الله الماء الذي مواصل كل شيءٍ، فجاد به من راحته كما كان الشعراء يوغلون في أشعارهم، فجعله الله حقيقة عيانٍ في حقه إكمالاً لجوده بخير الدنيا: ماءها وما من مائها، فذلك تمامٌ في أحد الأوصافً الثلاث التي هي السيادة لا منتهى وراءها، وكذلك كان له ﷺ من الاحتمال كما لم يكن حدٌّ سواه، ما انتصر لنفسه قطٌّ، وكان يصبر للغريب على الجفوة.

يُذكر أن يهوديًّا أغلظ عليه في التقاضي لدينٍ كان له عنده، فأراد عمر أن يوقع باليهوديِّ، فذكر أنه قال له: «يا عمر أنا وهو إلى غير هذا منك أحوج، تأمره بحسن الاقتضاء، وتأمرني بحسن القضاء[2]»، فقضاه ﷺ ووفَّاه واحتمل آذاه، فذكر اليهودي أنه لم يفعل ذلك إلا اختيارًا لما وجد من وصفه في الكتاب السابق أنه لا يزيده جهل الجاهل عليه إلا حلمًا، فأمن اليهودي.

ويذكر أن النبي ﷺ واخى بينه وبين عمر، وما يذكر من تفاصيل احتماله للأذى مما حواه النقل كثيرٌ، وهو ﷺ بالغٌ منه إلى غايةٍ ليس وراءها منتهًى، فتمَّ له الحلم والبذل.

وكذلك كان ﷺ أحسن الناس قبولاً وأكثرهم بِشْرًا.

---

(١) رواه البخاري في الصحيح (١٨٦٧/٤)، وفي الأدب المفرد (٣٩٨/١)، وأحمد (١٣٩/٣)، والبيهقي في الشعب (٣١١/٧)، وأبو يعلى في مسنده (١٦٨/٥)، وأبو عوانة في مسنده (١٦٦/٣)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٦/١٠).

(٢) رواه الحاكم في المستدرك (٣٧/٢)، وابن سعد في الطبقات (٣٦١/١)، والبيهقي في الكبرى (٥٢/٦).

قال جرير بن عبد الله: ما رآني رسول الله ﷺ قطٌّ إلا تبسَّم لي[1].

وكما ذكرت عائشة رضي الله عنها: أنه استأذن عليه رجلٌ، فقال فيه: «بئس ابن العشيرة»، ثم أحسن ملقاه[2]، كذلك كان فعله ﷺ مع الوارد عليه، ووضع لعدي ابن حاتم الوسادة ليجلس عليها، فأبى حتى أقسم عليه أن يجلس عليها، جلس هو ﷺ على الأرض وهو بعد يسلم[3]، فكان ﷺ أبسط الناس وجهًا، فهو بكمال أوصاف السيادة سيد الناس الذي لا ينتهي إلى سؤدده سواه، إذا نوظرت أوصافه في السيادة بوجوه الناس الذين لهم نِوَسٌ بين أمر الدنيا والآخرة، وبين شرف الدنيا ونـــزولها، وللسيادة اختصاصٌ بهذه المعاني الثلاث، بحيث قد تفضل السيد فيها من يفضله بما هو من سبيل غيرها.

كان ابن عمر ﷺ يقول: «ما رأيت أسود من معاوية. فقيل له: فأبو بكر الصديق. قال: أبو بكر أفضل منه ومعاوية أسود منه. فقيل له: فعمر بن الخطاب. قال: عمر والله خيرٌ منه ومعاوية أسود منه[4]»، وذلك بما كان في معاوية من سخائه وإماطته للأذى حتى يؤثر أن النبي ﷺ قال: «أنا مدينةُ الحلم ومعاوية بابها[5]»، وبسط وجهه للوافدين، وبشره بمن تغلَّظ له في المقال، فتلك السيادة التي يتصف بها الناس من نحو الملوك وغيرهم من رؤساء القبائل كان كمالها لسيد الناس؛ ليكون له في كل رتبة فضل علوٍّ وتقدُّمٍ، لا يصل إليه واصلٌ، ولا ينتهي إليه محاولٌ.

* * *

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٩٧/١)، والنسائي في الكبرى (٨٢/٥)، وفي الفضائل (٥١/١)، والطبراني في الكبير (٢٩٣/٢)، وذكره الذهبي في السير (١٤٠/١٠).

(٢) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة (٢٤٦/١)، والبيهقي في الشعب (٢٦٦/٦)، والزرقاني في شرحه (٣١٩/٤)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (٢٦٠/٢٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد (١٧/٨).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣٨٧/١٢)، الأوسط (٣١/٧)، والخلال في السنة (٤٤١/٢)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٧٩/١)، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب (١٤١٨/٣)، والذهبي في السير (١٥٢/٣).

(٥) حديث كشفي صحيح.

[اسمه ﷺ: سيِّد البشر]

كما هو ﷺ سيِّد الناس فيما فيه معنى النَّوَس بين أمر الدنيا وأمر الآخرة وبين شرف الدنيا ونــزولها كذلك هو سيِّد البشر في المعنى الذي يختصُّ بظاهر الخلق، الذي هو منه بمنـــزلة البشرة التي هي ظاهر الجلد، فإذا لمحت الظواهر التي اشترك فيها أهلها كان ﷺ سيدهم بشرًا في بشرة اللقاء فيما يختصُّ بالبشر من أمر المطعم والمشرب والمنكح، فكان ﷺ إذا أطعم آخر طاعمٍ وإذا أسقى آخر شارب، كان أحسن الناس لأهله وأجوده لهنَّ، كما قال: «كنت لكي كأبي زرعٍ لأمِّ زرعٍ، غير أنِّي لا أطلقُك[1]»، وكما وقف لها حتى أراها لعب الحبشة في المسجد، فكان يوفِّي أهله في معنى البشرية ما لا ينتهي إليه منته من حسن التبعُّل، حتى أن الله سبحانه أمدَّه في ذلك بما هو مما لا يملكه العبد، فلم يأخذ فيه الشيب بل أبقاه الله على صورة شبابه مكتهلاً؛ لينفي بهجته في أعين نسائه على ما كان عليه في شبابه، فذلك من سيادته في البشرية، وكذلك كان فيما يخصُّ البشر من نحو المنام، كما قال: «تنام عينه ولا ينام قلبه[2]»، وكان أول القوم استيقاظًا يوم ضُرب عليهم النوم، وكان أقنعهم بأيسر مأوًى من مسكنٍ ونحوه، حتى جعل مسجده عريشًا، كما قال: «بل عرشيًّا كعرش موسى[3]»، فكل شيءٍ من شأن البشر مما يخصُّه كان فيه أسودهم وأتمهم في تلك السيادة، وكان يعلمهم ذلك مما يستوفي تفاصيله النقل من أمر ملبسه ومركبه وتصرفاته مما يخصُّ ظاهر جسده، وما تناله الأعين منه في جميع ما يتصرف فيه موجود البشرية الظاهرة في جميع أمور الدنيا، وما يخصُّ البشر من الأوصاف النفسانية حتى أنه حيث وقع منه في أمر العبادة ما يشارك فيه البشر حيث سلم من اثنتين ونهض للثالثة قبل الجلوس، كان لكل موقعٍ منهم يسأل في معناه من حيث أن أصل الصلاة ركعتين، فوقع سلامه في محلٍ،

---

(١) رواه البخاري (١٩٩٠/٥)، ومسلم (١٩٠١/٤)، والنسائي في الكبرى (٣٥٥/٥)، والطبراني في الكبير (١٦٤/٢٣)، وفي الأوسط (٧٥/٦)، والخطيب في التاريخ (٢٨٢/٥)، وابن عدي في الكامل (٢٧٤/٤)، والديلمي في الفردوس (٢٨٣/٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣٥٦/٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٣٩٨/٥).

(٢) رواه البخاري (٦٤/١)، والبيهقي في الكبرى (٦٢/٧)، وعبد الرزاق في مصنفه (٤٠٤/٢)، والحميدي في مسنده (٢٢٣/١)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٢٣٩/١)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٠٨/٥).

(٣) رواه البيهقي في الكبرى (٤٣٩/٢)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢٧٤/١)، وابن المبارك في الزهد (٥٥/١).

وأنها نُقلت إلى أربعٍ، فوصَّلها إلى آخرها على صورتها، كذلك حاله في جميع ما شارك فيه البشر، إنما يخصُّه الله سبحانه منه بما هو أتمه حتى من الأمراض لا يناله من الأمراض إلا ما هو خيرها، كما قال: «أنا أكرم على الله من أن يُسلط عليَّ ذات الجَنْب(١)»، وكذلك كان ﷺ لا يتثاءب ولا يحتلم ولا يناله شيءٌ مما ينال البشر مما هو نقصٌ، ولا ينــزل الذباب عليه، فكان له في البشرية الظاهرية سيادةٌ لا يصل إليها بشرية من سواه في الأمور المختصَّة بالبشر الذي هذا الاسم يخصُّهم من حيث الظاهر العِياني.

***

[اسمه ﷺ: سيِّد ولد آدم]

كل سيادة من هذه السيادات تخصُّ جهة الاسم الذي أُضيف إليه، فسيادة الناس وجهٌ يخصُّ معنًى النَّوَس، وسيادة البشر معنًى يخصُّ البشرية، وسيادة ولد آدم معنًى له تمامٌ في الآدمية، بما آدم عليه السلام من أديم الأرض التي سُمِّي بها آدم، فكان تمام الكون كما هو الأديم تمام الصورة وانتهاؤها ومنقطعها، فكل معنًى اختصَّ به من حيث ذلك الانتهاء ففيه رتب علوٍّ، تلك الرتب سيادتها الخاصة لمحمد ﷺ، فأول ذلك ما أنبأ عنه خطاب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا﴾ [الكهف: ٥٠].

فهو ﷺ سيد ما أشاد سجود الملائكة لآدم بعلوِّ رتبته من حيث كان حقيقة السجود لنور محمد ﷺ، كما ذُكر عن الروح الأمين أنه قال له ﷺ: «إنما أراد بذلك تعظيمه؛ إذ كنت في صلبه(٢)»، فله السيادة في كل موطنٍ تحدُّه الآدمية، كذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدم مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف: ١٧٢]، فكان هو ﷺ سيد ذلك الموطن الآدميِّ؛ لأن تلك الإجابة كانت باديةً منه كما قال ﷺ: «أنا الذي بادرتُ بالجواب حيث أخذ ربُّك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم، فبادرت بالجواب، فقلت: بلى، أنت ربنا، فاستحسن الله عز وجل ذلك منِّي، فأمرهم وأمر أرواح البهائم أن يسجدوا كلهم لذَرْوي، فلذلك كانت البهائم إذا رأوا نوري في أصلاب آبائي يتشعشع في وجودهم، فسجدوا لذروي، ولا فخر(٣)»، وكذلك في كل خطاب خصَّه الله بالآدمية؛ لأن خطاب الله ملائمٌ لما أعلق به المسمى من أسمائه، فإذا قارن الخطاب لفظ

---

(١) ذكره ابن حجر في فتح الباري (٨/١٤٨).

(٢) حديث كشفي صحيح.

(٣) حديث كشفي صحيح.

البشر اختصَّ بمعناه، فلذلك معاني ما خاطب به بني آدم في قوله تعالى: (يا بني آدم) له السيادة في كل وجه من معنى ما تعلق بالآدمية في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١].

فكان ﷺ سيِّد ولد آدم في ملبسه، فكان لا يشينه ولا يزينه، نزع ﷺ الخميصة المعلمة عنه في الصلاة، وقال: «نظرت إلى عَلَمِهَا في الصلاة فكادت تفتني[1]»، وكان كم قميصه إلى كوعه، ولما ألبسه الله القباء المتخذ من بهجة الدنيا من الحرير؛ ليأخذ كل منه حظًّا ليحمده كما اتخذ خاتمًا من ذهبٍ ثم ألقاه واقتصر على الورق؛ لأنه أدنى الأعليين، بما أن المقتصر في أمر ظاهر الدنيا متسعٌ الحظ من ربِّه فيها، والموسع في ظاهرها منحوس الحظ من ربِّه فيها، كما قال عليٌّ ﷺ: «المغبون من غبن نصيبه من الله، وعلى قدر قلب العبد من ربِّه في الدنيا يكون منزلته منه في الآخرة[2]»، فلما ألبسه الله ما فيه بهجة الدنيا ليحمده وقتًا نزعه كالكاره له، وقال: «إنما يلبس هذا من لا خلاق له في الآخرة[3]»، والخلاق: الحظ الأخلق بنائله، فكان حاله في ملبسه سيد الأحوال كما قيل: عادات السادات سادات العادات، ولذلك هو ﷺ فيما قرن من الخطاب بذكر الآدمية؛ لقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ [الأعراف:٢٧]، و في قوله: ﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [الأعراف:٣٥]، فهو ﷺ سيِّد من تعرضت له الفتن في حسن صرفها عنه بما لا يوقع فتنةً ولا يفقد المصروف حمدًا له، حتى يكون محمدًا عندما صرف وعندما آوى، كذلك في قوله: ﴿إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأعراف:٣٥]، فكان ﷺ سيِّد ولد آدم في تلقي رسل الله فيما جاءت به من رحمة أو فتنة، كان يقول عند هبوب الرياح: «اللَّهُمَّ إنَّا نسألك خيرها و خير ما فيها، وخيرً ما أُرسلت به، وأعوذ بك من شرِّها وشرِّ ما فيها وشرِّ ما

---

(١) رواه أحمد (١٧٧/٦)، ومالك في الموطأ (٩٧/١)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣٥٧/١)، والربيع في مسنده (١١٢/١)، وذكره ابن عبد البر في التمهيد (١٠٨/٢٠).

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية (١٠٩/٥).

(٣) رواه البخاري (٩٢٤/٢)، ومسلم (١٦٤٠/٣)، والنسائي في الكبرى (٥٢٣/١)، وأحمد (٣٩/٢)، وأبو يعلى في مسنده (٢٠٥/١)، والطيالسي في مسنده (٥/١).

أرسلت به[1]»، وكان إذا رأى السماء غيمت دخل وخرج وتغير لونه، حتى إذا اتقشع ذلك سري عنه أو أمطرت قال: «اللَّهُمَّ صيبًا هنيًّا[2]».

وقال لابن صيّاد لما قال له: أتؤمن أنت أني رسول الله؟ آمنت بالله ورسوله[3]، وعلّم أمته إذا حدثهم بنو إسرائيل: «لا تصدِّقوهم ولا تكذِّبوهم، وقولوا: آمنا بالله ورسله[4]»، فكان ﷺ في تقبله للمرسلات من ربِّه برحمة أو فتنة أكرم ولد آدم عليه السلام، ملقٍّ لها إعادةً من فتنتها، واستدرارًا لبركتها، وسنّ صلاة الكسوف وصلاة الخسوف، ودعا لاستصحاب ذلك من سيادته في تلقي رسل ربِّه إلى جميع ما ينشئه نواشئ الكون من مرسلات أمر الله علوًّا وسفلاً وما بينهما، وما اشتملت الضمائر والسرائر وذوات الصدور مما لا يحصره ولا يحصيه النطق عنه ولا الكتاب له، فما من أسمائه ﷺ إلا وله تفاصيل ما هو ثناءٌ من الله مما لا يحصيه نطقٌ ولا تحويه كتبٌ، ولكن من فهم فسر جمل العلم، كما قال عليٌّ رضي الله عنه، وكذلك ما ورد في السنة المطهرة مما ينيطه ﷺ بالآدمية نحو قوله ﷺ: «ما ملأ ابن آدم وعاءً شرًا من بطنٍ[5]»، فكان هو ﷺ سيِّد ولد آدم في ذلك، ما شبع من خبز برٍّ ثلاثًا تباعًا حتى لقي الله، وقال: «لا تدخل الحكمة معدةٌ ملئت طعامًا[6]»، وقال: «حَسْبُ المؤمن لقيمات يقمن صلبه، فإن كان ولا بدَّ فاعلا فثلثٌ للطعام، وثلثٌ للشراب، وثلثٌ للنفس[7]»، ولذلك في جميع ما ورد عنه مما ينيطه بالآدمية له ﷺ فيه علوُّ السيادة مما يكثر تعداده واستقراؤه،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/١٢٣)، والبخاري في الأدب المفرد (١/٢٥٠)، وذكره المناوي في فيض القدير (٤/٦٠).

(٢) رواه النسائي في الكبرى (٦/٢٢٨)، وإسحاق بن راهويه في مسنده (٢/٤٠٢).

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه الطبري في تفسيره (٢١/٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/٣١٣)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦/١١١).

(٥) رواه الترمذي (٤/٥٩٠)، وأحمد (٤/١٣٢)، وابن ماجه (٢/١١١١)، وابن حبان في الصحيح (٢/٤٤٩)، وابن المبارك في الزهد (١/٢١٣)، والحاكم في المستدرك (٤/١٣٥)، والطبراني في الكبير (٢٠/٢٧٣).

(٦) ذكره المناوي في فيض القدير (٢/٨٢).

(٧) رواه النسائي في الكبرى (٤/١٧٧)، وابن ماجه (٢/١١١١)، وابن حبان في الصحيح (١٢/٤١)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٤٠٧)، وابن حجر في فتح الباري (٩/٥٢٨)، والعجلوني في كشف الخفا (١/٢٢٧).

فليتخذ ما ذكر منه مفتاحًا لباب علمه في جميع ما ورد عنه، وفيما يناسب أن يناط بالمعنى الآدميِّ، فتترتب هذه السيادات بحسب رتب الأسماء التي أضيفت له، فلسيادة الناس وجوهٌ يخصُّ معنى النَّوس، ولسيادته للبشر وجوهٌ يخصُّ معنى البشرية، ولسيادته الآدمية وجوهٌ تخصُّ معنى الآدمية مما يجري في الكتاب والسنة نبأه، وفيما لم يجرِ مما يناله من آتاه الله إحاطةً من علمه ما لم يكن يعلم عظم فضله عليه بما هو من متبعة نبيِّه وإخوان نبيِّه وأحباب نبيِّه، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب:٤].

***

[اسمه ﷺ: سيِّد المرسلين]

الرسالة: تقدم من المرسل فيما شأنه أن يتعقبه بتوفيقٍ عليه نذارةً وبشارةً ومُثلةً ومثوبةً؛ ليكون له الحجَّة على المرسل إليه بتقدمه فيما أظهرته الرسالة، ولما كان لا بدَّ بين الرسول والمرسل إليهم من مواصلة في الخلق ومفاهمة في النطق تفاوتت رتب اليسر والعسر بين المرسل ومن أرسل إليهم، فكان ﷺ في ترسُّله سيِّد المرسلين فيما جاء به وفيما عاملوا به أممهم وفيما احتملوا منهم و في إبقائهم على أممهم، فكان رسول رحمةً ورسول يسرٍ، ورسولاً من أنفسهم يضع عنهم أسرهم والأغلال التي كانت عليهم، حريصٌ عليهم، عزيزٌ عليه عنتهم، رءوفٌ رحيمٌ بمؤمنهم، مستغفرٌ لمنافقهم، داعٍ بالهداية والمغفرة لكافرهم، محتملٌ لجفوة غريبهم، ينصفهم من نفسه ولا ينتصف منهم، مبقٍ عليهم، وفي آخرة الأمر شفيعٌ لهم، فله الرسالة الجامعة لكل ما أُرسل به، رسولٌ من جميع عدد الرسل الثلاثمائة وثلاث عشر، وله في كل رسالة منها سيادةٌ في جامع رسالته لم ينته إليها رسولٌ قبله فيما عامل به أمته مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم، بما احتمل من آذاهم، وبما بدَّل لهم حتى كان في مشروع شرعته أن اقتطع قطعةً من أموال الذين آمنوا للمؤلفة قلوبهم، وكان رسول الله ﷺ يرسل الأموال لقريش وهي على كفرها، وكان أصحابه يصلون إخوانهم من المشركين بوجوه المبار، وانتهى في ذلك ﷺ هو ورسله إلى غاية ليس ورائها انتهاءٌ.

قالوا: ما رأينا رسول الله ﷺ أشدَّ منه في موعظته لمعاذ لما طوَّل عليهم في صلاة العشاء، فقال: «أفتَّانٌ أنت يا معاذ، إذا صلَّيتَ بالناسِ فَخفِّفْ؛ فإن فيهم الثقيلُ

والضعيفُ وذا الحاجة[(١)]»، وقال: «إنّي لأدخلُ في الصلاة أريدُ أن أطوِّل فأسمع بكاء الصبي فأتجاوز؛ مخافة أن أشقَّ على أمِّه[(٢)]»، إلى تفاصيلٍ يكثر استقراؤها ولا ينتهي إحصائها في كلِّ معنًى مما بين الرسول والمرسل إليه من تقدُّمه في معنى أصل السيادة من معانيها الثلاثة: من احتمال الأذى، وبذل الندى، وبسط الوجه فيما يختصُّ بالرسالة، كما هو فيما ذكر مع اسم السيادة، فترتب له ﷺ السيادات كلها في هذه الرتب الأربع التي ذكرت فيها أسماء سيادته إلى كل معنًى يطلب فيه بدلاً أو احتمالاً أو بشرًا، وذلك لأن يكون له الإمامة والتقدُّم وعلوٌّ المرتبة في كل شيءٍ من أمر الدنيا والآخرة والديانة، وما اشتملت عليه الطباع، واتصفت به الأنفس، وشمله ظاهر الخلق وباطن الأمر؛ ليكون له الجمع والكمال من كل وجه في الظاهرية والباطنية والأولية والآخرية والعظمة الدائمة بما كان فضل الله عليه عظيمًا.

* * *

[اسمه ﷺ: حُجَّة الله على الخلائق]

الحجَّة عليه أعلى الرتبتين في حكمة الله لأدناهما قولاً وجدلاً، ولما كان ﷺ أعلى في كل رتبةٍ من رتب الحكمة كما هو أعظم في بادئ كل كلمةٍ كان علوُّه على أعلى الحكمة حجةً على ما دونه، وكل شيءٍ من الخلائق منه فهو حجةٌ على ما كان منه، كما أن الأصل حجةٌ على فرعه لا الفرع ثمرة أصله، ولما كان ﷺ متنــزلاً مع كل رتبةٍ خلقًا وأمرًا كان حجةً في كل رتبةٍ دنيا أو عليا على الرتبة التي دونها بما له في تلك الرتبة العليا على الدنيا من الأحمدية فيها، ولأنه رسول الله للخلق من أنفسهم؛ فهو حجةٌ على كل نفسٍ من حيث مسرى أحمديته إليها، من حيث ما أوتيت واتَّسعت، قال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق:٧]، وقال تعالى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، فمن تفضيل ذلك أنه في أمور الطبع حجةٌ على ذي طبعٍ: غدرٍ أو كذبٍ كان عليه حجةٌ بما هو حكم بشرٍ في حكم

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٩/٥٦)، وفي الأوسط (٨/٦٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢/٧٣)، وابن حجر في فتح الباري (٢/٤٨)، والمباركفوري في تحفة الأحوذي (١/٤٣٣).

(٢) رواه البخاري (١/٢٩٦)، ومسلم (١/٣٤٢)، وأبو داود (١/٢٠٩)، والترمذي (٢/٢١٤)، والنسائي في الكبرى (١/٢٩٠)، وأحمد (٣/١٠٩)، وابن ماجه (١/٣١٦)، والديلمي في الفردوس (١/٥٧)، والبيهقي في الشعب (٧/٤٧٧).

البشرية، وآدميٌّ في حكم الآدمية، ويشارك الخلق في ذات طباعهم مع علوِّه في رتبة أحمدية ذلك الطبع، فلذلك ألزم كافة الخلائق برسالته من حيث إنه في الطباع رسولٌ بكرم طبعه، كما هو في الديانة رسولٌ بعلوِّ ديانته، كذلك هو في رتب المعقولات والنظر في الدلالات والتفكُّر في الآيات؛ فهو حجَّة الله على كل ذي عقلٍ في عقله، وعلى كل ذي دينٍ في دينه، وعلى كل ذي طبعٍ في طبعه، كما هو كاملٌ جامعٌ، له في كلِّ ما في الفطرة والجبلة علوُّ الأحمدية لذلك، بوجد سنته ﷺ وحلمه وأفعاله وأحواله في جميع تصرفاته الطبيعيَّة والعقليَّة والدينيَّة وجميع ما يشاركه فيه خلقٌ منبئةٌ ومظهرةٌ لأعلى رتبةٍ فيما فيه بادئها بين ذلة النفس إلى العزَّة بالله فما بينهما من الأحوال والتصرفات، فهو من حيث علوِّ المشاركة في كل رتبةٍ حجَّةٌ على أهل تلك الرتبة بتنــزله إلى كل رتبةٍ وتحققه في أحمديَّة تلك الرتبة، فهو بما له من شكر العبادة حجَّة الله على كل عابد، وبما له من مزيد العلم وإحاطته حجَّة الله على كل عالم، وبما له من علوِّ الإيمان حجَّةً الله على كل مؤمنٍ، وبما له من كمال الإسلام حجَّة الله على كل مسلمٍ، وبما له من تمام الإحسان حجَّة الله على كل محسنٍ، وبما له من صفاء الإيقان حجَّة الله على كل موقنٍ، كذلك في جميع رتب الديانة، ولذلك هو ﷺ في جميع الأحوال النفسية، فهو بخلقه العظيم حجَّة الله على كل ذي خلقٍ وتخلُّقٍ، كذلك في تفاضيل أحوال الأخلاق كلها من الصبر والشكر والرضا والطمأنينة وجميع الأحوال والأخلاق النفسانيَّة، كذلك هو في الأمور الطبيعيَّة في اقتناعه ﷺ لنفسه ولآله بغير الوقت في مطعمٍ أو مشربٍ أو ملبسٍ أو مأوًى، كما قال ﷺ: «اللَّهُمَّ اجعلْ رزقَ آل محمدٍ قوتًا[1]»، «اللَّهُمَّ اجعلْ رزقَ آل محمد كفافًا[2]»، وكان ﷺ بذلك حُجَّةٌ على جميعٍ رتب الخلائق في بادئ خلقهم وباطن أمرهم.

***

(١) رواه البخاري (٥/٢٣٧٢)، ومسلم (٢/٧٣٠)، والترمذي (٤/٥٨٠)، وأحمد (٢/٤٤٦)، وابن ماجه (٢/١٣٨٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٧/٨٤)، والخطيب في موضح أوهام الجمع والتفريق (٢/٣٥١)، والبيهقي في الشعب (٢/١٦٨)، وفي الكبرى (٧/٤٦)، وذكره المناوي في فيض القدير (٥/٤٧٩).

(٢) رواه ابن حبان في الصحيح (١٤/٢٥٤)، وذكره العجلوني في كشف الخفا (١/٤٧١).

[اسمه ﷺ: خير خلق الله]

الخير: مخصوصٌ بموافق النفس من ثروة العاجلة والآجلة، فالخير في الخير هو الأثر به على غيره في العاجلة، المفضَّل به في الآجلة، فكلما كان العبد آثرًا لغيره بثروة الدنيا كان خيرًا، وبذلك حفظ عن النبي ﷺ خير الناس أبو بكر الصديق بما كان ﷺ آثر الناس بذات يده على ما يسير إلى الإيثار فيه رسول الله ﷺ، حتى آثر بجميع ماله، وقال ﷺ: «ما نفعني مال ما نفعني مال أبي بكر[1]»، فبذلك ظهر فضل الخيرية فيه، وكان يليه في ذلك عمر بن الخطاب ﷺ بما آثر بشطر ماله، وكان يليه في ذلك عثمان بن عفان ﷺ بما آثر بحظٍّ جزيلٍ من ماله، جاء مرةً بألف دينارٍ فسكبها في حجر النبي ﷺ، وجهز ألف بعيرٍ في جيش العسرة بإحلاسها وإقتابها، فكان الخير على قدر الإيثار بالخير، فللخيرية وجهٌ يخصُّها من الخير الظاهر، كذلك للتفضيل وجهٌ يخصُّه من المعنى الباطن، كما قال ﷺ: «ما فضلكم أبو بكر بصلاةٍ ولا صيامٍ إلا بشيءٍ وقر في صدره[2]»؛ فالفضل لأمرٍ معنويٍّ يقرُّ في الصدر، والخير لفضلٍ حسيٍّ يجري في أمر البرِّ، ولكل شيءٍ وجهٌ؛ فالفضل مخصوصٌ بمعناه الباطن، والخير مخصوصٌ بمعناه الظاهر، فهو ﷺ لما كان مالك خير الدنيا بحذافيرها من مائها وما يُخلق من مائها، كما شهد الشاهدون نبع الماء من أصابعه ومن أثر غرز سهمه، وسكب فضل وضوئه، وبما أنه ﷺ مالك الأنفال كلها فآثر به حتى أنه قال: «ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس، والخمس مردودٌ عليكم[3]»، بما أن الأنفال مسلمه في قوله: ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**﴾ [الأنفال:١].

وكذلك هو ﷺ مالك خير الآخرة وقاسمها بما أن كل عاملٍ فمن آثار علمه عمله، وكل عالمٍ فمن لمحات علمه عمله، وكل نبيٍّ فمن كمال نبوته نبوتهُ بما هو نبيٌّ كل نبيٍّ، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ**﴾ [آل عمران:٨١]، فلما كان عبدًا لله بحقٍّ لا ما بيد سيده من الخير وبيده الخير، فأسدى الله

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

سبحانه الخير لعباده في الدنيا والآخرة على يديه، بما هو المفضَّل في الدنيا، القاسم في الآخرة، فهو بذلك خير خلق الله الأجودين بما خوّلوا من خيره على من دونهم، قال ﷺ في يوم حنين لما استخذت له هوازن واستطعت ما غنم منها: «أمَّا ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم»، فقالت المهاجرون: يا رسول الله وما كان لنا فهو لك، وهم الصادقون، وقالت الأنصار: يا رسول الله وما كان لنا فهو لك[1]، فظهر الخير بالإيثار بالخير في الأنصار والمهاجرة، وكان رسول الله ﷺ خير أهل الخير في الإيثار بالخير بما كان الإمام في ذلك الإيثار، وكذلك هو ﷺ في خير الدنيا والآخرة، فهو بذلك خير خلق الله دوام ما الخير بيد الله، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور:٣٢].

* * *

[اسمه ﷺ: أوَّل شافعٍ]

الشفاعة: من الشفع، والشفع: المقتبس من الواحد، فله به وصلةٌ، وهو ثانيه يدنوه دون رتبته، فلا بدَّ أن يبدو على الشفع آثار نقصٍ عن دنوٍّ كمال الواحد، فلا بدَّ أن ينعطف عليه عاطفه من الواحد الأعلى على أدناه الشفع؛ ليرقيه إلى رتبته بحرمة وصلته، فتلك العاطفة من الواحد الأعلى على الثاني الأدنى بحرمة وصلته هي الشفاعة التي الواحد بها شافعٌ والثاني مشفوعٌ فيه، والأحد المحيط بالشافع، والمشفوع فيه هو المشفوع عنده، بما ذلك الواحد الشافع بادية غيب ذلك الأحد المحيط، فهو أحدٌ؛ ليشفع عنده واحدٌ في ثان لذلك الواحد خاصٌّ بالواحد خصوص برٍّ وغيب، الأحد بذلك الواحد في كل رتبةٍ أحاطت بتلك الإحاطة إقامة تلك الرتبة، ولتلك الرُّتبة علوٌّ بادئها وأحدها، ودنوٌّ بادئُها ثانيها، ولكل ثان نقصٌ يكمله شفاعة عليِّه، ولما كان ﷺ عليَّ كلية البادي الذي قيوميته بالله ربِّ محمدٍ كان هو ﷺ أوّل عَليٍّ في ثانيه، فيفتح باب الشفاعة لكل ذي علوٍّ في رتب ثانيه، هو المحيط بكل عَليٍّ دونه، فلما ترتب المقامات والأطوار الأمرية والخلقية من رتبه ترتبت الشفاعات على شفاعته، فكان لذلك أول شافع الحق أدنى ثانيةً إليه، «اللَّهُمَّ اجعلْ أبا بكرٍ معي في درجتي في

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الصغير (٥/١)، والنسائي في الكبرى (١٢٠/٤)، وأحمد (١٨٤/٢)، والطبراني في الكبير (٢٦٩/٥)، وفي الصغير (٣٩٥/١)، والخطيب في التاريخ (١٠٦/٧)، وابن سعد في الطبقات (١١٥/١)، والبيهقي في الكبرى (٣٣٦/٦)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٦/٦).

الجنَّة[١]»، فكان من بوادي ذلك في الظاهر الذي اجتمعت فيه حاجات الأولين والآخرين شفاعته ﷺ يوم القيامة؛ ليفتح بها غلق سده الوقوف على الخلق أجمعين أهل السماوات وأهل الأرض، كما قال عليٌّ ﷺ في بعض صلواته عليه ﷺ: «اللَّهُمَّ صلِّ على محمدٍ الفاتح لما أغلق، الخاتم لما سبق[٢]»، فكان ﷺ أوَّل شافعٍ لربِّه في إطلاق الخلق من حبس البغاة؛ ليخرجهم من خطر غيب المآل إلى يقين الحظوظ خيرها وشرِّها؛ لينفتح بذلك باب الإعادة إلى الله على طريقي رحمته ونقمته؛ لما في مآل ذلك من كمال الإعادة، وبما إليه يرجع الأمر كله وإليه المصير ثم إليه تقلبون، فإذا انفتح باب الشفاعة وهو ﷺ ما أُعطي عطاءً إلا أفاء منه، فهو هُيئ لما له نول أهل العلوِّ في سائر الرتب حظ الشفاعة، فقالوا: من استشفاعه، فشفع كل عليٍّ لثانيه ترتيب الدنوِّ منه، فشفع الشفعاء بما وصل إليهم من مدد شفاعته، قال ﷺ: «يشفع الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء[٣]»، فيشهد الأنبياء في شفاعتهم من أولية شفاعته نبوته الأولية، وتشهد العلماء من شفاعته إحاطة علمه الأول، ويستمد الشهداء من شفاعته أولية شهادته، كما كان يقول ﷺ: «اللَّهُمَّ ارزقني شهادةً في يسرٍ منك وعافية[٤]»، فكانت شهادته أتمَّ شهادة بما كانت بقطع أبهره، الذي هو أول انبثاث البدو من غيب قلبه، فكانت له الأولية في كل رتبةٍ و في كل تفضيلٍ منها، وأحاطت أولية شفاعته بأولية كل شفاعة، فكان ﷺ شافعًا، من شفاعته شفع الشفعاء من أهل الملك والملكوت.

***

[اسمه ﷺ: أوَّل مشفَّعٍ]

لما كانت الشفاعة استلحاقًا من الأعلى على الأدنى عطفًا عليه كان ذلك آية عطف المشفوع عنده على الشافع؛ لأن من أدنى أدنى به، فلما كان هو ﷺ أول باد كان أولى بصلاة الله وعطفه عليه، فكما آتاه أولية الشفاعة آتاه أولية القبول، فكان أوَّل مشفَّعٍ، وكانت أولية شفاعته في إنالة الشفاعة للشفعاء، فهو ﷺ أوَّل مشفَّعٍ في إنالة الشفاعة، وأوَّل مشفَّعٍ فيما فيه أكثر الشفاعة، فهو أوَّل مشفَّعٍ في أهل العلوِّ بما

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٣٣/١)، وذكره ابن الجوزي في صفوة الصفوة (٢٤٠/١)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (٤٥١/١).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦٦/٦)، وذكره كثير في تفسيره (٥١٠/٣).

(٣) ذكره البوصيري في مصباح الزجاجة (٢٦٠/٤)، وابن حجر في تهذيب التهذيب (١٧٤/٨).

(٤) رواه الديلمي في الفردوس (٣٦٩/١).

شفعوا، ولأهل الدنوِّ بما شفع فيهم أعاليهم، ثم يترتب الأولية في التشفيع للشفعاء كما ترتبت في إظهار الشفاعة، فلكل أولية في شفاعته أوليةٌ في التشفيع، فكان في ذلك الإلاحة أن الشفاعة لا تُؤخَّر، فمن أُوتي أوليةً في شفاعة أُوتي أولية قبول شفاعته، فكان لكل شافعٍ أوليةٌ في قبول شفاعته بما له من أولية التقدُّم في شفاعته، ففي هذا الاسم بشرى للشفعاء ألا يؤخر شفاعتهم؛ لأن الشفاعة لا تتأخر مع الإذن فيها، وهو تعالى الذي لا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه كما قال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فلم تتأخَّر الشفاعة عن الاستشفاع، فمن كان أوَّل شافعٍ فهو أوَّل مشفَّعٍ، ومن كان ثاني شافعٍ فهو أوَّل مشفَّعٍ في تلك الرتبة الثانية، كذلك في كل رتبة، فالشفاعة أمر وحيٌّ منال من كلمة الله، فلذلك يقع معها النجاز والنفوذ فيما وجبَ فيه، ولذلك والله أعلم حباها رسول الله ﷺ لأمته؛ ليكون موقع الشفاعة التي هي كلمةٌ نافذةٌ ماضيةٌ لوقتها في يوم الدين الذي هو يوم ظهور أمر الله بلا واسطةٍ وحازها، وأعلاها أن يضعها في يوم الدنيا بما في يوم الدنيا من التراخي والتمادي في الأمور؛ لتكون الشفاعة ممن تحمده، فيكون لها محمدًا حيث وضعها في محلها وحماها أن يضعها في غير موضعها؛ فهو ﷺ محمد كل شيءٍ.

* * *

[اسمه ﷺ: شفيع المذنبين]

الذنب: طرفٌ من الأمر، هو في ترتيب الحكمة والطاعة رأسٌ من الأمر، هو في ترتيب الحكمة أعلاه بمنـــزلة الرأس والذنب في الحيوان، وفضل ما بين الطرفين في المعنى الأمريِّ حد الحكم، فما كان في حدِّ الطرف الأدنى نُهي عنه، وما كان في حدِّ الطرف الأعلى أمر به، ولأن علم الله غالبٌ على حكمه صرف الخلق فيما أنفذ فيهم علمه، فجعل منهم النازل للأدنى مع قيام الحجة عليه، وفتح لعباده باب المرجع بالتوبة من الذنب والانحياز إلى حدِّ العلوِّ، فكان التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وكان المترقي من دنوٍّ كمن لم ينـــزل إلى أدنى الطرفين، ومن تاب وعمل صالحًا فإنه يتوب إلى الله متابًا، وكانت الرتب رتبة عُلاً لا ينـــزل إلى دنوٍّ، كما يُذكر في يحيى عليه السلام: ورتبة متنـــزلٍ لأدنى علوِّه، تائبٌ إلى علوِّه وباقٍ في دنوِّه.

ولما كان هو ﷺ أولى بكل مؤمنٍ من نفسه أقام الله شفاعته لأهل الكبائر والجبابرة والمذنبين ما كان ذنبه، حتى أنه يشفع لمن له حظٌّ من النجاة في النجاة، ولمن بقي عليه حظٌّ من العقوبة في تخفيف عقوبته، فهو شفيع المذنبين على الإطلاق كائنًا ما

كان الذنب، قال ﷺ : «نعم النبيُّ أنا لأمَّتي، أما صالحوهم فيدخلون الجنة، وأما غيرهم فأشفعُ لهم[1]»، أو كما قال ﷺ من نحو هذا المعنى، فكان ﷺ لكل مذنب غير تائب خيرٌ من نفسه وأولى به منه، وكان في هذا الاسم أعظم بشرى لمن بُعث إليه من الجن والأنس وجميع العالمين، بما هو ملحقٌ لكل قارٍّ في دنُوٍّ برتبة القرار في عُلوِّه ودنُوِّه.

***

[اسمه ﷺ: الشفيع]

اعلم أن الاسم المضاف إلى معنًى يتعيّن له معنى ما أضيف إليه، فيتخصّص بتلك الإضافة، فإذا وجِّه الاسم نحو الكمال والإحاطة والعلوِّ إلى الغاية أُلحق به كلمة الغاية والنهاية وهى كلمة: (ال)، فكان اسمه ﷺ الشفيع منبئًا بإحاطة شفاعته ومسراها في كل شفاعة وانتهائها إلى حَدِّ غاية ليس ورائها غايةٌ.

ففي إلاحة هذا الكمال أنهً ﷺ يشفع للمرتكبين في الدنيا حتى يصلوا إلى خير الآخرة، ويشفع لأهل الآخرة حتى يوصلهم إلى الله، فهو في أدنى شفاعته شفيع المذنبين، وفي إحاطة شفاعته الشفيع إلى الله في عباده؛ ليصلوا إلى الله، فكان علوُّ شفاعته موصلاً إلى العليِّ الأعلى من دنوِّ ما سواه، فهو ﷺ بذلك الشفيع الكامل الشفاعة، المحيط الشفاعة، العظيم الشفاعة، الذي انتهت شفاعته في الكمال إلى مرمًى ليس وراءه منتهًى، فانتهى ﷺ ببركة عظيم شفاعته من سرِّ الله إلى حيث انتهى بما آتاه الله ممن أحبَّه بحبِّه آله وأئمته، فانتهت شفاعته بذلك إلى الإحاطة والنهاية.

***

[اسمه ﷺ: صاحب الشفاعة الكبرى]

صاحب الشيء مُستحقّه المختصُّ به دون من سواه، ولما كان ﷺ المختصُّ بدعوة الشفاعة كما قال ﷺ: «لكلِّ نبيٍّ دعوةٌ، فمنهم من يجعلها في دُنياهُ، ومنهم من جعلها دعاءً على قومه، وإنِّي اختبأت دعوتي؛ شفاعةً لأمَّتي يوم القيامة[2]».

فهو ﷺ المخصوص بمطلق الشفاعة من حيث جرت وعلى أيِّ شفيعٍ أُجريت، ثم هو ﷺ ظاهر الاختصاص بأجلِّها وأعلاها وأكبرها، فكبر الشفاعة التي يظهر للخاصِّ والعامِّ اختصاصه بها من حيث الكبر ما ظهرت للعِيان أتته، واشترك جميع الناظرين في

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) رواه مسلم (١٨٩/١).

رؤيته، وله الكبرياء في السماوات والأرض، فمن حيث ظهر موجود السماء والأرض كان له فيه تعالى الكبرياء، ومن حيث بطن موجود الملكوت كان فيه العلوُّ، فأظهر شفاعاته للخلائق شفاعته يوم الجمع في استفتاح الحكم وإنقاذ الخلائق من أسرار الوقوف وخطر الانتظار؛ ليفصل سبيل الخلق إلى سبيل المعاد بإنقاذ الجزاء وبما يتبع كبراها الظاهرة من شفاعات الشفعاء دونها يتَّضح وجه الكبر في الشفاعة الجامعة.

ورد أن موطنًا من مواطن يوم الجمع يظهر الحق تعالى لمحة من سطوته فيراعُ لها قلوب الأولين والآخرين إلا من شاء الله، فيقول آدم عليه السلام: «لا أسألك اليوم شيث ابني، لا أسألك إلا نفسي[1]».

ويقول نوح عليه السلام: «لا أسألك اليوم سام ابني، لا أسألك إلا نفسي[2]».

ويقول إبراهيم عليه السلام: «لا أسألك اليوم إسماعيل ابني، لا أسألك إلا نفسي[3]».

ويقول موسى: «لا أسألك اليوم هارون أخي، لا أسألك إلا نفسي[4]».

ويقول عيسى عليه السلام: «لا أسألك اليوم مريم أمِّي، لا أسألك إلا نفسي[5]».

ويقول محمد ﷺ: «لا أسألك اليوم نفسي ولا فاطمة ابنتي ولا عليًّا أخي ولا الحسن والحسين ابنيَّ، لا أسألك اليوم إلا أمَّتي[6]».

ويستمر هذا الموقف حتى تفكَّه شفاعته الكبرى البادئة الظهور لمجمع العالمين من أهل السماوات وأهل الأرض.

***

[اسمه ﷺ: المصطفى]

الاصطفاء: افتعال من الصفوة أنبأ عن استخلاص الصفاوة بترتيبٍ وتدريجٍ وتنــزيلٍ وتطويرٍ، وأن الله سبحانه أودع نور محمدٍ ﷺ كلَّ الغيب من مدد الكائنات،

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) كسابقه.

(٣) كسابقه.

(٤) كسابقه.

(٥) كسابقه.

(٦) كسابقه.

فأبداه في الخلق الآدميِّ بما آدم صفوة جميع المخلوقات، الجامع لظاهر الخلق وباطن الأمر، فكان بنور محمد ﷺ نطق كل ناطقٍ، وحسُّ كل حاسٍّ، وعقل كل ذي عقلٍ عقل بما كل نورٍ من نوره، وكل وجودٍ من وجوده، فلم يزل يترقّى نوره في الخلق الآدميِّ ترقيًا واستخلاصًا، صفاؤه من صفائه إلى المخصوص بالصلاة عليه إبراهيم خليل الرحمن، ثم لم يزل يستخلص الله له مترقيات الصور ومتعاليات الأمر إلى أن أبدى الله له في أشرف البقاع صورةً لا تشبه الصور ولا يشبهها الصور، كان ﷺ لا تتحيز صورته إلى مقدارٍ مخصوصٍ، فكان يماشي الطويل فيُرى لا يزيد عليه، ويماشي الربعَة فيُرى لا يزيد عليه، ويلحظه كل ذي حظٍّ فيرى من صورته قدر ما له عنده من الجلالة، وبقدر ما انطوى عليه ضميره من المحبَّة، ولم يكن لشخصيته ظلٌّ، فصفت جسمانيَّته في الجسمانيَّات إلى حدٍّ ليس وراء صفوها صفاوةٌ، كما صفت نفسانيته في النفسانيات، فما انتصر لنفسه قطُّ، فشمله الاصطفاء ظاهرًا وباطنًا، وآيات ما كان يبدي استصفاء جسمانيته على جميع الجسمانيات كثيره نحو كونه لا ينـــزل عليه الذباب؛ لصفائه عمَّا لأجله أنـــزل الذباب على الخلق الذي أظهر به قهرهم وضعف استنصارهم لأنفسهم، ولذلك لبَّد رسول الله ﷺ رأسه بالعسل لأمنته أن ينـــزل عليه شيءٌ من الذباب.

ومن أظهر وجوه استصفاء جسمانيته طهارة دمه وطهارة بوله، فظهر من فضلاته لكمال استصفائه ما أظهرته الأحكام الدينية في شريعته الأمريَّة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَـــا وَلا تَتَّبِـــعْ أَهْـــوَاءَ الَّـــذِينَ لا يَعْلَمُـــونَ﴾ [الجاثـــية:١٨]، فظهر إصفاؤه ﷺ في كل شيءٍ من خلقه، و في كل رتبةٍ من أمـــره، حتى في أزواجه وأهل بيته وأهل السوابق معه، واستمر ذلك في ذراريهـــم وأعقـــابهم وأعقاب أعقابهم من غير استئناف، فانتهاء صفائه إلى اصطفاء جميع من انضاف إليـــه، فاصطفيت لاصطفائه من اصط فٍي بكل وجه، كما قال في الأنصار: «من بغضهم فقد بغضني، ومن أحبَّهم فقد أحبَّني، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن قضى لهم حاجةً كنت في حاجته أسرع يوم القيامة»، وقال: «ذلك لهم ولأعقـــابهم ولأعقـــاب أعقـــابهم أبـــد الأبد[1]»، وكان ﷺ المصط في الذي انتهى اصطفاؤه في خاصَّته وعامَّته إلى غايةٍ لـــيس ورائها منتهًى.

(١) رواه النسائي في الكبرى (٥/٨٨)، وابن ماجه (١/٥٧).

[اسمه ﷺ: صفيُّ الله]

لما اصطُفِي ﷺ في رتب الخلق والأمر على ترتيب الحكمة وتعالي الأمر ص في فكان صفيًّا، وبما اختصَّه الله اختصاصًا لم ينته إليه أحدٌ سواه في اصطفائه كان صفيَّ الله من حيث إن هذه الإضافة لا تقع مع شركة، وأصل الصفيِّ في مفهوم اللسان الغربي: ما لا تطير له في مجمعٍ يكون فيه، وكانً للنبي ﷺ من المغانم سهمٌ يقال له: (الصفي)، وهو أشرف ما يكون في المغنم: من جارية أو فرسٍ أو سيفٍ مما لا يكون له مثلٌ، فيتعين للنبيِّ ﷺ لاستحقاق الواحد في رتبته للواحد في جنسه، فكان يتعيَّن ذلك الصفيُّ للنبيِّ ﷺ خارجًا عن الخمس وسائر المغنم، على ما استقرَّ به حكم العلم عند بعض العلماء، فعلى هذا النحو هو ﷺ صفيُّ الله من خلقه، حيث هو الكامل الجامع، فظهر اختصاصه بربِّه بانفراده وعلوِّه وجمعه في الكون، فكان صفيَّ الله الخالص له في جميع خلقه، حتى كان حبيب الله بما هو صفيُّه المخصوص به.

ولذلك كان ﷺ يحبُّ أن يسمَّى باسمٍ يُذكر الله بذكره، فكان يقول: «قولوا: عبد الله ورسوله[1]»، وكان صفاوة الله من حيث لم يكن له لمحٌ لسوى ربه في جميع رتب التفضيل والجمع، حتى يقول: «أعوذ بعفوك من عقوبتك، وبرضاك من سخطك، وأعوذ بك منك[2]»، فكان ما في النظر إلى الأفعال ألا يراها إلا لربِّه صافي التحقيق بالأحوال ألا يصفها إلا لربِّه، فلم ير رضا الراضين ولا سخط الساخطين، وصفت رؤيته لخالص رضا الله وسخطه، إلى ما وراء ذلك مما ص في عبادته معاده به منه كمال وجد وصفاء يقين، فهو بذلك صفيُّ الله الكامل الصفوة إليه اختصاصًا به دونما سواه؛ لما انتهى صفاؤه في أمر ربِّه إلى منتهاه.

***

[اسمه ﷺ: قائد الوافدين على الله]

القائد في اللغة: هو الماسك بمقود البعير الذي لا يهتدي على سبيلٍ إلا بقائده، والقائد للقوم هو المتقدِّم بهم إلى ما لا يهتدون إليه إلا به، والوفود: القدوم على الملك، استفادةً من خَيره وَبَرِّه، والوفد: القادمون، ووفد الله في الدنيا: المتوجِّهون إلى الله قيام أمره فيها، وهي الكعبة، وتجاه الربِّ عن دينه وهو الجهاد والرباط، قال ﷺ : «وفد الله

(١) رواه الدارمي في السنن (٢/٤١٢).

(٢) تقدم تخريجه.

ثلاثةٌ: الحاجُّ، والمعتمر، والمجاهد في سبيل الله[1]»، وبحسب علوِّ رتبة هذه الوفادة في الدنيا تعلو الوفادة على الله في الآخرة، فمن وفد عاجلاً وفد آجلا، ومن عجز عاجلاً عجز آجلاً، ومن أعرض عاجلاً طُرد آجلا، قال ﷺ: «من مات و لم يحجّ و لم يحدِّث نفسه بالحجِّ فليس عليه أن يموت يهوديًّا أو نصرانيًّا[2]»، ولما كان ﷺ المكمل بدينه الدين القائم بنسك الحجِّ والعمرة تكملة لنسك إبراهيم ؏ بما أنزل عليه من قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، بما انتهى إليه إسلامه إلى غاية ليس ورآها مرمًى، بما لُقِّن أن يقول: ﴿وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، وكان أول رتبةً في كمال الإسلام، فكان قائد الوافدين على الله بالحجِّ، ولذلك هو ﷺ أوَّلٌ في العمرة بما هو أوَّلٌ في الحجِّ، وبما الحجُّ والعمرة عملٌ واحدٌ إسلاميٌّ، كما قال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، وكما قال ﷺ: «دخلتُ العمرة في الحجِّ، وشبَّك بين أصابعه[3]»، وبما كانت عمرته داخلةً في حجته بما تحقق أهل النقل أنه قارنًا لا مُفردًا، وأن ما رُوي من أنه أفرد الحج إفرادًا أجازه للإفراد فأفرده علمًا وحكمًا وإذنًا فيه لا عملاً به؛ لأن عمله كان القرآن تحقيق نقلٍ، وقال ﷺ: «خذوا عنِّي مناسككم[4]»، فكان بذلك قائد الوافدين على الله حجًّا وعمرةً، وكذلك كان ﷺ في وفد الجهاد عن التيه أوَّلٌ، كما هو في إقامته أوَّلٌ، قالوا: «كنا إذا حمي الوطيس اتقينا برسول الله ﷺ، فيكون أقربنا إلى العدوِّ[5]»، فكانت له الأوَّليَّة في محلٍّ قلب الدين الذي منه إقامته، وهو الطواف المقدَّم في قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج:٢٦]، والأولية في الطواف المقابل له في محلِّ دربه، الذي يدبُّ فيه عنه؛ لتكون له الأوليات، فيكون الأول في الإقامة والحماية، وكان بذلك قائد وفد الجهاد كما كان قائد وفد الحاجِّ والمعتمرين، فله فود وفود الله حجًّا وعمرةً وغزوًا، وكما هو ﷺ كذلك في دار يوم العمل فهو ﷺ في كل عالمٍ ملكوتيٍّ قائد وفده على الله، وذلك بما أنه عبد الله ورسوله وحبيب الله لا يسبقه إليه

---

(١) رواه النسائي في الكبرى (١١٣/٥)، والحاكم في المستدرك (٦٠٨/١).

(٢) رواه الدارمي في السنن (٤٥/٢).

(٣) رواه مسلم (٨٨٨/٢).

(٤) رواه أبو نعيم في المستخرج على مسلم (٣٧٨/٣)، والبيهقي (١٢٥/٥).

(٥) رواه أحمد (٨٦/١)، وابن أبي شيبة في المصنف (٣٥٤/٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢/٩).

سابقٌ، فمن حاول وجهه إلى الله وجده أمامه، ومن لم يجده أمامه فإنما هو متوجِّهٌ إلى نفسه بوجه ما، فله تقدم في كل عالمٍ بحسب وجهة ذلك العالم إلى الله، كما ورد في آثاره: رؤياً عنه ﷺ أن لقّن موفقا ملطوفًا به أن يقول: «اللّهُمَّ ربُّ محمد أسألك بتربة الطيب الطاهر وما ضمَّه وما رفعته منه إلى ملكوتك الأعلى[1]»، فهو ﷺ أوليُّ التربة أوليُّ الملكوتية وأوليٌّ كل عالمٍ بقدر ذلك العالم في وفادته على الله، مقتادٌ به لا يصل إلى الله قبله واصلٌ، ولا يفد الله قبله وافدٌ في كل رتبه تفضلاً أو إحاطةً، فكما هو قائد وفد الله في يوم الدنيا فهو قائد وفد الله في يوم البرزخ، كما تحقق من إسرائه ﷺ حيث مرَّ على السماوات السبع وقطع مقامات الملائكة وزجَّ الله به إليه في الحجب زجَّةً قطع بها سبعين ألف حجاب من نورٍ وظلمةٍ حتى دنى فتدلّى، فكان قاب قوسين أو أدنى، وأوحى إلى عبده ما أوحى، وكذلك هو ﷺ في يوم الجزاء لا يقدم القادمون ولا يفد الوافدين على الله حتى يتقدَّمهم، قال ﷺ: «وددتُ أنّي قد رأيت إخواننا، قالوا: أوَلسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد وأنا أفرطهم على الحوض[2]»، فهو ﷺ قائد كل وفد منتهى وفادته إلى الله لا إلى غرض نفسٍ، ولذلك هو قائد الحمّادين لله على كل حالٍ، الذين يلونه من أمته أهل الأحلام والنهى، وورد أنه ﷺ: «قائدهم، وإبراهيم عليه السلام سابقهم»، كما كان أمر ما هاهنا في الحجِّ حيث بُدئ بإبراهيم وخُتم لمحمد، كذلك هو في مقامات النعيم ومحلِّ التجليات من ربِّ العالمين، إلى ما وراء ذلك مما تعجز عنه الإشارة ولا تحمله العبارة.

***

[اسمه ﷺ: خطيب الوافدين على الله]

الخُطبة: بضم الخاء المعجمة: الإفصاح عن الخطبة بكسر الخاء، والخِطبة بكسر الخاء: محاولة الوصل بين الزوجين، فكلٌّ مبينٌ مفصحٌ لمقصد ألفة ووصلة، فهو خطيب ولا يقع إلا مع قيامٍ واعتلاء، ومنه المثلُ: أخطب الأمير قائمًا، فقال عمر رضي الله عنه: «ما تصعَّدني شيءٌ كما تصعَّدني في خطبة النكاح[3]»؛ لأنه يخطبها قاعدًا، ففي أنباء مـ الخطبة: جمعٌ لمعنى الإفصاح والقيام والاستقلال، والدالة في الكلام، والوصلة لمن يتو

(١) هو من الأحاديث الكشفية.

(٢) كسابقه.

(٣) رواه الطبري في تفسيره (٨/٣١).

إليه بالخطبة، ولما أنبأ اسمه ﷺ قائد الوافدين على الله عن معنى التقدم في الوفادة أنبأ هذا الاسم من كمال القبول على الوافد، وإقامته للإبانة عن وفديه، وإكمال الوصلة لهم بمن أوفدهم عليه، فكان له ﷺ من مقتضى هذا الاسم خطبته في الحجِّ والعمرة وموعظته في الجهاد، وترجع معاني ذلك إلى تلاوته وفادة الصلاة بما نـــزل عليه من الفاتحة التي هي كمال التحميد والثناء والتمجيد والطلب والقبول إلى غاية التأمين في تلاوة الفاتحة، فهو ﷺ الذي خُصَّ بها، فكانت خطبته تلاوة كلام ربِّه بالسبع المثاني والقرآن العظيم، فكانت له الخطبة العظيمة في العاجلة وجميع الخطب المفضلة من الخطبة العظيمة من في كل موطنٍ من مواطن الوفادة في يوم الدنيا ويوم البرزخ ويوم الجزاء ويوم النعيم ويوم التجلِّي، إلى ما وراء ذلك مما له في يومٍ لا يوم، فهو ﷺ الخطيب في حضرة ربِّه، الذي لا يصل إليها واصلٌ إلا به، وفي وفده مجموع الاسمين مقصوده للوفادة إلى منتهى ما يشير إليه علوُّ الحضور في الحضرة.

* * *

[اسمه ﷺ: صاحب المنبر الأعلى]

المنبر: مفعل من النبر، وهو: العلوُّ والارتفاع؛ لقصد الإبلاغ بما يزيد على حال القيام، فقد كان ﷺ يقوم خطيبًا مستندًا إلى الجذع الذي حنَّ له لما اتخذ المنبر، ثم أمر باتخاذ المنبر، فجعله الله له ثلاث درجات، وبما أن الله سبحانه مقيمٌ لنبيه أمره على أتم ما يليق بالأتم وأكمل ما يليق بالأكمل أُفهمت صورة المنبر بما يطابق أمر الدين في رتبة الثلاث، كان درجه منه إبلاغًا لأمر الإسلام، والثانية: إبلاغٌ لأمر الإيمان لعلوه بالخفاء على رتبة الإسلام، والثالثة: إبلاغٌ لأمر الإحسان؛ لعلوِّه على رتبة الإيمان بالعيان، فكان ثلاثة المراقي فيه مختصَّةٌ بمعنى الثلاثة، التي هي الوتر الأول، قال ﷺ: «والله وترٌ يحبُّ الوتر[1]»، على ما كان أمر الوتر في سائر أحوال شرعته، ولأنه ﷺ في الغايات من الرتب من حيث إنه أول المسلمين، فمرقاه في الإسلام أعلى كل ترقٍّ، وكذلك في الإيمان والإحسان، فكان منبره أعلى منبرٍ صعد عليه خطيبٌ، فما كان في الدنيا غيب معنًى يظهر في الآخرة عين شهادته فيرى يوم القيامة منبره على حقيقته فينظر إليه، وهو أعلى منبرٍ على أعظم حوضٍ، كما قال ﷺ: «ومنبري على حوضي[2]»، لما كان منبره

---

(١) رواه البخاري (٢٣٥٤/٥)، ومسلم (٢٠٦٢/٤).

(٢) رواه البخاري (٣٩٩/١)، ومسلم (١٠١١/٢).

محلّ متبع علمه المنبعث من بيانه كذلك كان عيانه يوم القيامة منبعثًا ماءً، من شرب منه حظًّا في الدنيا نال منه حظًّا في الآخرة، وكان منبره الأعلى إظهار الشرفة في خطبته، فكانت هذه الأسماء الثلاثة مترتبةٌ بعضها أثر بعضٍ، فهو القائد الخطيب على المنبر الأعلى، و في إشارته إفهامٌ لمثبوت منابر لأئمة أمته وللنبيين المجتمع شرعهم إلى محيط شرعته، كما قال ﷺ: «ألا أنبئكم بقومٍ ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء، فقالوا: يا رسول الله من هم؟ صفهم لنا؟ فقالَ: ناسٌ من أبناء النَّاس ونزاع القبائل، تحاموا في الله وتصافوا في الله، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نورٍ، وجوههم نورٌ، ولباسهم نورٌ[1]».

فكان منبره الأعلى أصلاً لما دونه من المنابر بقدر إجزال الحظّ منه فيما محله الاستواء على منبرٍ أولاه منال بركتة منبره الأعلى، فهو بالحقيقة صاحب كل منبرٍ استقرَّ عليه مستقرٌ أو خطب عليه خطيبٌ، بما هو صاحب جامعها المحيط كما هو حاله في كل وصفٍ أنبأ عنه مضمون اسمٍ.

***

[اسمه ﷺ: مبشّر اليائسين]

المبشّر: المعرِّف، يفرج من شدة أو مزيد من نعمة مما تكون مسرةً للنائل، واليأس: انقطاع الرجاء والطمع من الأمر، وأن الله ﷻ كتب الكتاب وقضى القضية وعرشه على الماء، وضمَّن كتابه: «إن رحمتي سبقت غضبي[2]» ويسبق، وغلبت ويغلب، وقال ﷺ: «لو يعلم الكافر بكلِّ الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنَّة، و لم يعلم المؤمن بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن من النَّار[3]»، فيما سبقت رحمة الله غضبه لم يقع منه لخلقه وإنما وقع عند الناس اليأس من وراء حجاب جهلهم به، ومعرفتهم بكرمه وسعة رحمته، كما قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي﴾ [العنكبوت:٢٣] وكما قال تعالى: ﴿كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة:١٣] وكما قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٣٤١).
(٢) رواه البخاري (٦/٢٧٠٠).
(٣) رواه البخاري (٥/٢٣٧٤).

فاليأس وصفٌ من أوصاف النفس، تتَّصف به عند سدل حجاب الجهل عليها بما عند الله من الرحمة.

قال بعض العارفين: إذا بسط الله رداء الرحمة اندرجت ذنوب الخلق في حواشيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً﴾ [الزمر:٥٣]؛ ففي هذا الاسم الذي سمّى الله به حبيبه إشادةٌ بسرٍّ غيبٍ من غيب أمره في خلقه بما يتسع إليه رحمته فيمن انتقم منه؛ ليداوي داءه الذي غلبٌ على صحة فطرته بما أن كل مولودٍ يُولد على الفطرة، قال تعالى: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠]، فما ران على الفطرة من داءٍ جعل الله دواءه فيما بين مشاعر القلوب بتوحيده لمن يسَّر عليه الأمر إلى إحراق الجلود بسعيره لمن شدد عليه القهر، وهو سبحانه الطبيب لعباده فيما أدواهم كما قال عليٌّ ﷺ: «إنَّ الله يفتح ويُداوي، منه الداء، ومُنه الدواء[1]»، وكما قال ﷺ: «أنزل الدواء الذي أنزل الداء[2]»، فكان في هذا الاسم تتميمٌ لمعنى اسمه (شفيع المذنبين)؛ فهو ﷺ شفيع المذنبين لكل من له به وصلةٌ، فمن لا وصلة له به فأمره إلى الله.

رُوي أنه ﷺ قال: «يا ربِّ ائذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، فقال الله تعالى: ليس ذلك إليك إنما ذلك إليّ[3]»، وقال ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله أنجته يومًا من الدهرِ أصابه قبله ما أصابه[4]»، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]، وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [يونس:٢٢]، فإذا أنقذ الفعالُ لما يريد من شاء من خلقه بدواء الإخلاص الواقع اضطرارًا في الشدائد واختيارًا في المداراة قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ [النساء:١٤٥]، فمن سدت عليه طرق الشفاعة والنصرة وقع عنده اليأس ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر:٤٨]، فيما أن محمدًا ﷺ رسول المرحمة المتكررة

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) رواه مالك في الموطأ (٢/٩٤٣).

(٣) رواه الطبري في التفسير (٢٥/٧٥).

(٤) تقدم تخريجه.

الدائمة، يحصل الله البشرى لليائسين مجرًا على حسن بشراه، ومن لم يُنصر و لم يكن لــه شفيعًا كان له مبشِّرًا؛ ليظهر انبساط الرحمة في رسالته شفاعةً وبشرى، فهو شــفيع من له حظٌّ في الشفاعة، مبشرٌ لمن قطعه اليأس ومن تستغرقهم خشيات ربِّنا الــثلاث، التي تحسب من قباله، كما ورد في الخبر، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيــدُ﴾ [هود:١٠٧].

* * *

[اسمه ﷺ: أكرم ولد آدم]

الكرم: تفنن في كلية الأقطار والجهات بوجوه من الخير والبر، ومنه الكرمة: قلب الرجل المؤمن، والعنب كرمةٌ يتكرمها في جميع الأقطار علوًّا وسفلاً وميمنةً وميسرةً وأمامًا وخلفًا، فالكرم يُفتن فيما في الظاهر وفيما في الباطن من برٍّ أو خلقٍ، ولما كان ﷺ أحمدُ الكون ومحمده وصل لكل كائنٍ في السماء والأرض في عالم الملك والملكوت، وفيما كل ما أحاط به حدَّ الإحاطةِ روحٌ من برِّه أوَّل ذلك وجود الأشياء كلها من وجوده لطيفها وكثيفها، وأوصافها من أوصافه، وأفعالها من أفعاله، ومنالها لرحمة الله من رسالة رحمته، فكان ﷺ بذلك في وجوده العِياني أوصل ولد آدم الطَّيِّلاِ لهم بوجوده ما يوافقهم بوجهٍ ما من حيث إنه راجعٌ في ذاته وأمته ومن هو سيِّده من ولد آدم الطَّيِّلاِ إلى ربِّه تقوىً واستدرارًا لهم وجوه الخير عاجلاً وآجلاً، بما أن أكرم الكرم التقوى، وهو ﷺ الذي أتقى الله حق تُقاته، وبذلك كان كرم المؤمن تقواه، فمن أتقى الله وصل خيره لمن يريد وصول الخير إليه بتقواه، ومن حاول إيصال الخير مما به من دون الله غناه أعجزه الله، فلا كرم بالحقيقة إلا بالتقوى؛ لعجز الخلق عنهم، فكيف عن سواهم! فمن اتَّقى الله أوصل خير الله إلى عباده، فظهر كرمه عليهم بما أوصل إليهم بتقواه من كرم الكريم الحقِّ الذي لا كريم سواه، بما هو معكم حيثما كنتم، فهو الكريم في جوده ووجوده، بذلك كان ﷺ يعطي مَنْ حَرَمه، ويعفو عمَّن ظلمه، ويحسن لمن أساء له، ويصل من قطعه، وآتاه ربُّه في ذلك إلى غاية ليس وراءها منتهًى في الكرم الآدميِّ، الذي هو أتَمُّ خلق الله استواءً وأكمله إحاطةً، وأرضاه لله مما خلق، حتى كان أوله صفيه وخاتمه حبيبه.

ومنه إنارات أحواله وأقواله ﷺ حيث كان يستغفر لمنافقيه ويدعو بالمغفرة والهدى للكافرين المحاربين له، فاتَّصل كرمه لجميع عباد الله مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم إلى ما وراء ذلك مما يصل إلى أحبَّاء الله وإخوان نبيه من بركته وخلقه، وحبٌّ الله له، قال

ﷺ: «ما بين السماء والأرض شيءٌ إلا يعلم أنّي رسول الله غير عاصي الإنس والجن[١]»، وهو ﷺ كما سَمَّاه الله (شفيع المذنبين) و(مبشِّر اليائسين)، فتفنن كرمه علوًّا وسفلاً وأولاً وآخرًا وظاهرًا وباطنًا، وكان أكرم الأكرمين من ولد آدم عليه السلام الذين هم أكرم خلق الله على الله، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠].

* * *

[اسمه ﷺ: أوَّل من تنشقُّ الأرض عنه]

الانشقاق: مصير الشيء الواحد شقَّين، والشقُّ: الناحية وأحد الفلقتين من الشيء المشقوق، ولما كان ﷺ أول النادي في الإبداء حين كان أول ما خلق الله ﷻ نوره كما قال، فسجد فبقي في سجوده سبعمائة عام، فكان أوَّلٌ، وأول ساجدٍ في الإبداء الأول، كذلك هو ﷺ أول قائمٍ وأول ساجدٍ في افتتاح الإعادة؛ لتكون له الأولية في الإبداء والمعاد بما هو أول كل شيءٍ؛ فهو الأول في البدء والأول في العود، وكان للأرض من التطرف إلى غيب الثرى ما للنور من التطرُّف إلى غيب العلا، فظهر اختصاصه بالأولتين على الغيبين: غيب العلا، وغيب الثرى، فقد ورد أنه ﷺ هو المنادى بقوله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ*ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً*فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ [الفجر:٢٧، ٢٨، ٢٩] بالإفراد، وإنما يقرُّ عينه أن يبشر أنه لم يُبعث أحدٌ قبله، فجعل الله له من تلك البشرى أسماءً تلزمه حقيقته من وراء رتبة الدراية، وذلك أن للقلب أسنانًا في رتب اطّلاعه كما أن للجسم أسنانًا في أطوار طلوعه، فللعلم حدٌّ، وللفقه فيه حدٌّ، وللدراية فيها حدٌّ، وللمعرفة فيه حدٌّ، فربما كان الأمر مما لا يناله الفقه ويناله العلم، ومما لا يناله الدراية ويناله المعرفة، فهو والله أعلم مقتضى قوله ﷺ: «فأجد موسى آخذًا بساق العرش فلا أدري أَبُعث قبلي أم جُوزِيَ بصعقة الطور[٢]»، فأنبأه أن ذلك ليس في الدراية؛ فهو كائنٌ فيما وراء الدراية من تعريف الله أنه هو ﷺ الأول في انشقاق الأرض عنه و في بعثه من حيث إن أمر المعاد مستوٍ على حكم الإبداء، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٤].

---

(١) رواه عبد بن حميد في المنتخب (ص٣٣٧).

(٢) رواه الخطيب في التاريخ (١٢/٣٠٢)، وذكره المناوي في الفيض (٣/٤١).

ومن حيث التعلق بساق العرش الذي هو غايةٌ في موقف المبعوث يؤذن إفهامًا وتحقيقًا ببداية البعث من دون المنتهى في بعثه إلى أعلى العلا مارًّا بساق العرش إلى ما وراء إحاطته؛ لأنه الخاتم المخصوص بالأوائل والأواخر، المتَّصل له طرفاهما اتصالاً، به اتصل المتصلون، فما لم يكن في الدراية أوتيه ﷺ من رتبة المعرفة وما وراء ذلك من اليقين بالعيان والوجدان، كما في قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ*مَا الْقَارِعَةُ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة:١،٢،٣]، فقرر على أن ذلك ليس في الدراية؛ لأن الدراية اطِّلاعٌ يتأتَّى إليه الناظر المفكر بما قدم إليه في فطرته ورتبة عقله، فما لم يكن في رتبتها نُفي عنها، وربما اطّلع على ما لا تدركه الدراية مما ورائها، كما قال تعالى إنباءً بما هو في غيبٍ عن الدراية، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ*وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ*فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ*فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ*وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ*فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ﴾ [القارعة:٤-١٠]، ثم فسرها تعالى له وأنبأه بها اطلاعًا من غيب، فقال: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة:١١]، ومنه مقتضى قوله تعالى: ﴿ما أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلا بِكُمْ﴾ [الأحقاف:٩]، فما يفعله الله تعالى به وبخلقه ليس في الدراية التي أتمها عنده ولا فيما يليها مما عند من دونه، وقد عرفه الله بما اقتضته العناية مما قصرت عنه الدراية بما يفعل به وبأمته من فضلته ورحمته وقربه وأدناه إلى ما لا يُقال مما هو واجده غير فاقده، وهو الذي يعرف التطاير من أمته الأولين في خيرهم وشرِّهم، وعاين أمته صورًا كما عاين آدم عليه السلام ذريته صورًا، وأحاطت قبضتاه بكتاب أهل الجنة في يمينه وأهل النار في شماله إلا أن ذلك كله مما ليس في الدراية.

وهو ﷺ يخرج خطابه لكل قومٍ على ما يليق بعقولهم وبما يقتضيه الموطن من الإبهام لأمر الله، فينبئ عن رتبة الإبهام أو من الإعلام بثناء الله، فينبئ عن تفضيل آيات الله، فكما هو كل رسولٍ يتكلم بلسان قومه فهو ﷺ بما هو رسول الله لكافَّة الخلق على اختلاف ترتبهم وتفاوت ترقِّيهم وتدانيهم يتكلم لكل أهل رتبةٍ بما في رتبة عقولهم؛ لأن المعاني ألسنةٌ كما أن اللغات ألسنةٌ، كما قال عمر رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ يكلم أبا بكرٍ لا أفهم ما يقولان شيئًا، كأنما يتكلمان بلسان أعجم[1]»، فبذلك يتضح أن رتبة الدراية إن لم يكن فيها فرقان من أمر موسى عليه السلام ففي العرفان أنه ﷺ

---

(١) لم أقف عليه.

هو أول من تنشقُّ عنه الأرض؛ تحقيقًا للاسم في معناه، وإظهارًا لأوليته في الإعادة اتصالاً بأوليته في الإبداء.

* * *

[اسمه ﷺ: دعـــوة إبراهيم]

اعلم أن الله ﷻ جعل عباده أزواجًا ثلاثة:

قومٌ: خلقهم للدنيا، فكانوا أبناؤها، نالوا منها ونالت منهم، وعامَّتهم هالكٌ؛ لأنها أدنى إبداء الله في خيرها وشرِّها، أصغر الله نعيمها أن يجعله ثوابًا لمطيعٍ، وأصغر عقابها أن يجعله جزاءً لعاصٍ، ومن أراد الله نجاته منهم ختم له بتوبةٍ منها، فمات على ذلك، فخسر عمر دنياه وربح نجاة نفسه.

وقومٌ: خلقهم للآخرة، فكانوا أهلها، فأعرض بهم عن الدنيا، وأقبل بهم على الآخرة بما نوّر قلوبهم بنور الإيمان، فآثروا سمع آذانهم من الآخرة على مرأى عيونهم من الدنيا، فحمّلهم الله أعباء العبادة، وص في بواطنهم تيار الخوف، وكسر سَورة خوفهم بماء الرجاء إلى أن ماتوا على ذلك، فربحوا أعمارهم في دنياهم.

وقومٌ: اختصَّهم الله لنفسه واصطفاهم لحضرته، فقبض حواسهم عن زهرة الدنيا كما قال تعالى: ﴿**لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ**﴾ [الحجر:٨٨]، وصرف بواطنهم عن مطالعة الجزاء ثوابًا لطاعةٍ أو عقابًا على معصيةٍ بما عرّفهم به من قيوميته وتصريفه إياهم، وجميع خلقه فيما شاء من إظهار حكمته في خلقه، فتحققت لهم العبودية، ورفعهم عن المتاجرة معه والمفاوضة له أخرى بدنيا من حيث إن ذلك لمن لم يرفع له الحجاب عن رؤية قلبه؛ لتصريف الحق لخلقه كما أوقفهم عليه في حق قوله: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ [الإنسان:٣٠] وقوله: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**﴾ [السجدة:١٣]، فلما آراهم الله من رؤية أنفسهم اختصَّهم واصطفاهم لنفسه، فكان أول ذلك اصطفاؤه آدم عليه السلام حتى أطلعه على الكلمات التي تلقَّاها من ربِّه فتاب عليه، حيث عرفه أن ما جرى من معصيته ليس منه، وأنه تصريف ربِّه له فيما شاء كيف شاء، فأعرضوا عمَّا سوى مولاهم، فكان آدم عليه السلام صفوة الله، ثم صلَّى على إبراهيم عليه السلام أعلاه بها إلى علوِّ الخلة؛ فإن صلاته تعالى على عباده تخرجهم مما هم فيه من إحساسٍ بأنفسهم التي هي ظلمةٌ إلى وجد بنور ربِّكم، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ**﴾

[الأحزاب:٤٣]، فكان في صلاته على إبراهيم ما أراه ملكوت السماوات والأرض، وأنه مقيم أمره، ليس لذي نفسٍ ولا لذي طبعٍ مدخلٌ في شيءٍ من قيوميته، كما قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ*وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ*وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ*وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ*وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨- ٨٢].

وكما قال: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، فأسلم وجهه لله، فترقَّى بذلك من بدء الصفوة إلى محلِّ الخلة، فأحسَّ بالخطوة، وطلب التكملة؛ عساه أن يكون من وراء محله، فدعا دعوةً أظهر الله كمالها في محمد ﷺ بما أكمل له الخلة بالمحبَّة، فهو الذي أحبه، فأوصل به أهل الحظوظ إلى حظوظهم، فكان من دعوة إبراهيم الخليل عليه السلام قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩]، فكانت تلاوة الآيات عليهم عامةً لهم، وصارت التزكية لهم حظًّا من الاصطفاء، قال ﷺ: «تزكية المرء نفسه أن يعلم أن الله معه حيث كان[1]»، فإذا كان كذلك تهيأ لتلقي الكتاب والحكمة ومنال العزَّة، ولما انتهت الدعوة بكمال الإبداء بالحبيب انعطفت دعوته فكانت شفاعةً للذين طلب لهم الخليل التزكية وعلم الكتاب والحكمة، فكان كمال الأمر إجابةً لدعوته، فلذلك انحصر خواصُّ الخلق من هذه الأمة بين حدَّي: تقدُّم محمد الحبيب، وتعقُّب إبراهيم الخليل، فوفدهم إلى الله قادمون عليه بين الحبيب والخليل، وأخصُّ ما بالنبيِّ دعوته، فكان أخصُّ ما الخليل دعوته، فكانت دعوته أكمل دعوةً بما هي الواقعة بكمال الخاتم محمدٍ ﷺ.

***

[اسمه ﷺ: بشرى عيسى]

لما كان الله متواصلاً في ترتبه مترتبًا في تواصله كان كلُّ نبيٍّ مبشرًا بالنبيِّ الذي يليه في الرتبة، فبُشِّر موسى بعيسى، وبُشِّر عيسى بمحمد ﷺ، ووقفت البشرى فلم يكن وراءها بشرى بشيءٍ، فكان عيسى عليه السلام ذا البشرى الذي لا بشرى وراءها بما هو ذو بشرى الكمال البادي لمحمدٍ ﷺ.

---

(١) رواه البخاري في التاريخ الكبير (٣١/٥)، والبيهقي في الكبرى (٩٥/٤)، وفي الشعب (١٨٧/٣).

قال النجاشيُّ: أشهد أن بشرى عيسى براكب الجمل كبشرى موسى براكب الحمار.

فكما أنه ﷺ كمال الختم فبشراه ختم البشر، وكان ختمها جاريًا على لسان عيسى بما محمدٌ ﷺ أولى به، كما قال: «ليس بيني وبينه نبيٌّ[1]»، فكان أتَمَّ بشرى بَشَّر بها عيسى، كما كان أكمل دعوةً دعوة إبراهيم عليه السلام، فكان البشرى للروح بما هو أكمل منه، وكان أمر محمد ﷺ من وراء كلمة الله وروح الله بما أن كلماته وروحه ذو بشراه، فانتهى فيه البشرى كما انتهت فيه الدعوة.

* * *

[اسمه ﷺ: إمام النبيين]

النبوة: إعلاءٌ وتشريفٌ وترفيعٌ في ذات الآدميَّة، يتصرف بها المخصوص بها إلى ربِّه بالكلية، فهي مبدأ العناية بالأعيان الآدميَّة، وما دون النبوة ففي رتب الإعانة.

وكما أن الإعانة في رتب الحكمة من أدناها في الطبع إلى أوسطها في التخلق إلى أعلاها في التعقُّل، فكذلك في النبوة البادية عن العناية مما وراء طور العقل وعيان الحسِّ وأحوال النفس ترتبات يؤمُّ بعضها بعضًا، فكان كمال العناية بما أوتي ﷺ من المحبَّة فانتهت غايته إلى غاية ليس وراءها مرمًى، فكان محلُّه محلَّ تقدمٍ لسعة العناية، فكان بذلك إمامًا لكل معنًى به مخصوصٌ بالرفعة على قومه فكان إمام الأئمة.

وكما ورد أنه ﷺ صلى بجميعهم ليلة الإسراء في البيت المقدس، إظهارًا لتقدُّمه بمن سواه من أهل العناية، فكان إمامًا لكل إمامٍ، فكانت كل أمة بذلك أمته بما هم أمة من ائتمَّ به؛ ليرجع الأمر كله في الملك والملكوت إلى إمامٍ واحدٍ، فهو ﷺ إمام أهل المعرفة من عالم الجمع والصفوة.

* * *

[اسمه ﷺ: الرسول]

الرسالة: وصلةٌ ترفعٍ فضلاً بين المرسل والمرسل إليه، فالرسول واصلٌ بَيْنٌ، يرتفع ذلك البَين بما تصله رسالته، ولما كان فيما أبداه الله قربٌ وبعدٌ ومن ورائهما ما لا قرب فيه ولا بعد وكان للبعد رتبٌ وللقرب رتبٌ كان من كل رتبةٍ من القرب رسولٌ

---

(١) رواه البخاري (١٢٧٠/٣).

إلى مقابلها من البعد المعادل لقربها، فأبعد بعيدٍ يصل له رسولٌ من أقرب قريب؛ ليرتفع بين ما بين المرسل والمرسل إليه في رتب تلك الرسالة، ولما كان كل الخلق عباد الله مجزون بأحكام الله مُصرفون بقضاء الله منتهون إلى علم الله مُصَيَّرون إلى الله وكان من دون كل كشفٍ لهذه الحقائق حجابٌ دون الخلق قيد الحق تعالى مشاعر الخلق دون تلك الحجب ما شاء الله، وكان ذلك أصلاً لهم، وأنقذهم منها ما شاء، وكانت تلك هدايتهم، فمن كشف عنه حجابًا كشف به، وكانت جوامع تلك الحدود ثلاثةً: حجاب الطبع، وحجاب النفس، وحجاب المعقول، فأبدى الله سبحانه وتعالى بادئ الرسالة للهداية من وراء المعقول بحظٍّ من العناية، فرسولٌ رفع بين الطبع، فارتفع حجابه بين الذي طبع وبين المطبوع، ورسولٌ رفع حجاب النفس، فارتفع بينهما فيما بين الربِّ والمربوب، رسولٌ رفع حجاب المعقول، فارتفعت كلية البين بين الغيب والشهادة، ولذلك والله أعلم ضرب الله مثلاً للرسالة المحمدية بالرسل الثلاثة: الرسولان المجتمعان شفعًا، والرسول الموتر، فقال تعالى: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ*إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ [يس:١٣، ١٤]، ذلك آية رسالةٍ وما يفك الطبع عن المطبوعين، ويرفع حجاب النفس عن أهل الأنفس، والله يفكُّ العقول بنور الإيمان الذي هو لسان البيان، ولما كانت رسالته ﷺ رافعةً لكل وصلٍ في تسبيب طبعٍ أو تنافس نفسٍ أو وقوف عقلٍ كان هو الرسول التام الرسالة الذي انتهى كمال رسالته إلى كمالٍ، يندرج كلٌّ برسالته في أثنائها، ويرجع كل رسالةٍ بشريةٍ أو رفعيةٍ إليها بما انتهى إليه من تلقيه وحي الله بلا واسطة بينه وبينه عن سماعه ورؤيته ووجدانه، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١]، وقال: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى*فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ [النجم:٨،٩،١٠]، فكانت رسالته من وراء البعد والقرب منتهيةً إلى أظهر الظهور، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢]، فنقلهم الله به من غلظ الطباع وجفاء التنافس وحدود مواقف المعقول إلى أعلى الغايات بعيان الشهود وكمال الوجود، حتى خاطبهم: بأن الصدقة تقع في يد الرحمن

قبل أن تقع في يد السائل، وخاطبهم: بأن الله سبحانه وتعالى يقول: «لم يسعْني أرضي ولا سمائي ووَسَعني قلبُ عبدي المؤمن[1]»، إلى ما رفع من البين في كل رتبةٍ إلى ما بين الغيب والشهادة، فأشهدهم في الغياب وغيّبهم في الشهود، فكان بذلك الرسول الذي ليس وراءه في كمال كونه الرسول أحدٌ سواه، أوصل غيب العلا بغيب الثرى، وكان الخاتم الرسول، فلم يكن من وراء ما هو به الرسول منتهًى.

* * *

[اسمه ﷺ: رسول الله]

لما كان الرسول التام الرسالة الكامل الإحاطة وكان القائم هو الله كان هو ﷺ رسول الله لكل ما الله قيومه والله قيوم كلِّ شيء، فرسوله رسول الله إلى كل شيء، فهو رسول الله إطلاق رسالة منه إلى غاية نهايتها إليه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن:١٩]، فما دور رسالته من تفاضل ما أرسل بكليته؟ فإنما يكون رسولاً من الله في رتبة خاصَّة فيما كان له من الكمال بعين هذه الإضافة العليَّة الموصولة التي هي مهيمنةٌ على كلِّ إضافةٍ مفضولة، فخففت الإضافة الواصلة إنفراده وانتهاءه فيما أظهر؛ لأن الرسول اختصاصه بحسب أعلى ما أظهر، فأظهر الله في رسالة آدم عليه السلام الأسماء علمًا، وأظهر في رسالة إدريس عليه السلام الحكمة عملاً، وأظهر في رسالة إبراهيم ملكوت السماوات والأرض رؤيةً، وأظهر في رسالة موسى كلام الله مجيئًا، وأظهر في رسالة عيسى عليه السلام روح الله وكلمته إشراقًا، وكمُل في رسالة محمد ﷺ علن الله، كما ورد في آثاره من كلام الله: «جاء الله من سيناء، وأشرق من ساعير، واستعلن بفاران، وهي جبال مكة[2]»، فكان علن الله بمحمد، وكان رسول الله الذي علن الله به حتى كان في كتابه قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال:١٧]، وكان من تجريد أمته بما عنتهم من شواهد أنفسهم وأقامهم لشاهده قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال:١٧]، وكان كمال علنه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح:١٠]، فكان رسول الله علن الله الذي من دونه إشراق كلمته وبلاغ كلامه وإرادة ملكوته وإبداء حكمته والإعلان بأسماء مسمياته، فبحسب هذا الترتيب يقع الإنباء بأن آدم رسول أسماء خلق

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره القرطبي في تفسيره (١٣/١٥٩).

الله، وإدريس عليه السلام رسول حكمة الله، وإبراهيم عليه السلام رسول ملكوت الله، وموسى رسول مناجاة الله، وعيسى عليه السلام رسول كلمة الله، ومحمد رسول الله، صلى الله عليهم أجمعين.

* * *

[اسمه ﷺ: خليل الرحمن]

الخلة: مطالعة أثناء غيبةٍ من كفيلٍ، وخلال الشيء: الذي يبدو منه ما وراءه من فروجه أو يغيب فيما بين الفروج مع إمكان العلم به للمستعمل، فالخلة إحساسٌ بمواصلة يد، آخذات عنها غيابًا أو كفًا، ولما كان لأمر الله تنــزلاتٌ ولخلقه تطوراتٌ وكان خلالًا ما بين تلك التنــزلات وتلك التطورات أوليَّاتٌ خفيَّات الظهور عن المحسوسات والمعقولات جليات الأنوار في الشهود والوجود ربما الإمضاء متعاليات التجليات كان للمطالع لتلك الأنوار الشاهد لتلك التجليات الواجد لإقامة مضاء تلك القيوميات خُلةٌ بما وجد وشهد وطالع أثناء تلك الخلالات، وكان فيما بين تلك الخلالات ذا علمٍ بما أبدته أعلام تلك الأطوار وتلك التنــزلات، وجلته مرأى تلك التجليات، فتصير الخلة مداخلة وجدٍ أثناء علمٍ، وأن الله سبحانه فتح باب العلم بالأسماء لآدم، وأظهر وجود الحكمة لإدريس عليه السلام، واستدنى لمداخلة اليقين أثناء العلم والإراءة أثناء الغيب والوجدان أثناء الإراءة إبراهيم بحكم الإيجاد، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، وحكم ذلك في مشهود التصرفات والتحلُّقات بضرب المثال الذي هو حظُّ البيان للناس، كما قال تعالى: ﴿وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٢٥]، إن المتقي الذي لا استغناء له بنفسه المستشرق إلى هادٍ لهديه إذا قيض له لقاءه فما دام يأتمر لأوامره وينظر إلى أحكامه على من دونه فهو مطيعٌ مؤتمرٌ، فإذا أُعطي إرفاغٌ نظر فيه لو في أفعال هاديه ومصرفه، فرأى تفاوتًا بين ما يفعل وبين ما به يأمر، فيرى الأحسنيَّة في فعله ووصفه عليَّة على الحسنيَّة في أمره وتصريفه، فاستشرف إلى الأخذ بالاقتداء فعلاً وحالاً، واسترفع عن الائتمار أخذًا بالأحسن، كما دعا إليه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:١٨].

فقد انفتح له باب الخلة مع هاديه، فلن يكون ذلك إلا بعناية؛ فالائتمار بإعانة والاقتداء بعناية، كما قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣]، وكما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّه أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١]، وكما قيل له: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون:٩٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠]، فالأخذ بمقتضى الأمر اهتداءً واقتداءً، والأخذ بفضل الهادي العليِّ على أمره خلةٌ في حاله، وكما يؤثر الله ﷻ لما قدر إبراهيم عليه السلام على سعة جوده على المؤمن الوليِّ لربِّه وعلى الكافر العدو أطلعه فاطَّلع وقوّله فقال: «يا ربِّ ألست ترزقهم؟! فقال له الله: «أنت خليلي حقًا»»، فظهر بذلك أن الخلة مطلعٌ من الاتصاف بسعة الرحمانيَّة التي شملت الكافر والمؤمن والعدوَّ والحبيب والقريب والطريد، فكان لإبراهيم عليه السلام مطلعها اتخاذًا، كما كان له مطلع الإسلام ابتداءً، فكان لمحمد ﷺ كمال الخلة تحقيقًا كما كان له كمال الإسلام أوليَّةً، كما أن الله صلى على محمدٍ في تمامات الأمور وكمالاتها كما صلى على إبراهيم في بدايات الأمور ومطلعاتها، فهو ﷺ خليل الرحمن الذي آثر المذنب بالشفاعة والمنافق بالاستغفار والكافر بالدعاء والأعذار، فأقامه الله في الأمر الدينيِّ والرزق النفسانيِّ لكافَّة من بعث إليه مقام البادي الرحمانيِّ في الأرزاق الجسدانيِّ الجثمانيِّ في دار الدنيا، فكان بذلك خليل الرحمن خلة كمال لا اتخاذ ابتداء.

كما قال هو ﷺ في أبي بكر رضي الله عنه: «لو كنت متخذًا خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً بما كان[1]»، والله أعلم فيه من صفاء المطالعة لأمر محمد ﷺ كما في مطالعة محمد ﷺ لأمر ربِّه، فكان مما وقر في صدره أن أمر الله لنبيه كلهً خيرًا وكمالاً، كما قالً يوم الحديبية: أنه رسول الله، وأن الله لا يخذله، فكان مطلعًا لإقامة أمر رسول الله ﷺ على كل حالٍ من أحوال ما يقبله العلم والطبع أو يرده، حيث قال عمر رضي الله عنه: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! قال: نعم، قال: فعلام نُعطي الدنيَّة في ديننا[2]، فقال له أبو بكر رضي الله عنه ذلك المقال، فطالع الإعلاء والرفعة فيما يقضي فيه العلم والطبع بالدنيئة، فكان له مطالعةٌ لإقامة الأحوال خلال اختلالها لمحمدٍ ﷺ، ومن ذلك والله أعلم ما أنبأ

---

(١) رواه البخاري (١٧٨/١)، ومسلم (٣٧٧/١)، والترمذي (٦٠٩/٥)، وأحمد (٣٨٩/١)، وابن ماجه (٣٦/١)، وأبو نعيم في الحلية (١٣/٣)، وابن عدي في الكامل (٧٥/٥)، وابن سعد في الطبقات (٢٢٨/٢).

(٢) رواه أحمد (٣٣٠/٤)، والطبري في تاريخه (١٢٢/٢)، والبيهقي في الكبرى (٢٢٠/٩)، وابن حبان في الثقات (٣٠٠/١)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٣٤٦/٥)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (٣٦/٢).

ﷺ في ذكر النظائر: أن أبا بكر نظير إبراهيم، وأن عمر نظير موسى[١] لنحو ما قال موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أهلها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]

إلى أقاصيصه الثلاث وما ضمنها من إعداد إفهامات لأولي الأفهام، فلما خيّل عليه ﷺ من أن الصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه حتى أخفت شفاعته في التخفيف، كما أغنت في الأنحاء تحقق بما به خليل الرحمن في رحمانيّته، التي وسعت يوم الدنيا خلقًا ورزقًا وتمكينًا وتصريفًا، فآخريٌّ له خلّة الرحمانيَّة في يوم الدنيا و في يوم الآخرى بما وسعت شفاعته إفاضة رحمة وتخفيف نقمة، فهو ﷺ بذلك خليل الرحمن بما يتحقق به اطّلاعه خلال التجلّيات والتّنــزلات والتطّورات.

* * *

[اسمه ﷺ: خليل الله]

لما كانت الخلة مطالعة وصله خلال رتب كان ما ظهر آيته في الكون الدائر العرشيِّ الرحمانيِّ خلةً رحمانيَّةً كان بها ﷺ خليلَ الرحمن، فكان ما ظهر عليه في الكائن القائم العبدانيِّ خلةً لاهوتيَّةً كان بها ﷺ خليل الله، فكانت الخلة شهادةً بما هو خليل الرحمن، وكانت الخلة غيبًا بما هو خليل الله، كما أن مثل الخلة الرحمانيَّة ما ظهر من منتهى رحمته فيما وجد منه من كلية الوجود روحانيِّه وجسمانيِّه بدايةً بالهداية والشفاعة ونهايةً بالانتهاء إلى مستوى الرحمانيَّة بكليَّة مأمنه التي هي رياشه وأثوابه المندرج في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، فلم يكن وجودًا في بدايةٍ أو نهاية إلا وللمرحمة إليه وصلةٌ من محمد ﷺ بما هو خليل الرحمن، كما ذكر فيما هو من موجود نقمة الله من موجود النار: «إنَّها لا تزال تضطرب وتنقلب من أيدي الوزعة حتى يضع محمد ﷺ يده عليها، فيسري إليها من مسِّ مرحمته ما ينقاد به على ملائكتها انقياد البعير الذلول إثارة إشارة[٢]» من نحو ما آيته مسُّ آل يعقوب ليهوديٍّ في حال غضبه، فكذلك مثل الخلة اللاهوتيَّة ما غلب من محوه على كل بادٍ، فإن على كل

---

(١) رواه الديلمي في الفردوس (٤/٤٠)، وذكره ابن حجر في لسان الميزان (١/٢٢١)، والذهبي في الميزان (١/٢٦١)، والسيوطي في طبقات الحفاظ (١/٢٧٧)، والمحب الطبري في الرياض النضرة (١/٢٤٧).

(٢) لم أقف عليه.

مرسوم محوه وعلى كل مثبت إفناؤه، كما هو اسمه في قوله: «أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر[١]»، وكما أبدت إشارة قوله لما قال: «ما فَعَلَتْ شَاتُكم؟»، قالوا: ذهبت كلها إلا يدها، فقال: «بل بقيت كلها إلا يدها[٢]»، فكان من خلقه لاهوتيَّة الإبقاء بالإفناء والإثبات بالمحو والإحياء بالإماتة، قال تعالى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩]، وقال: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة:١٥٤]، وقال: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦]، فأظهر في كل محوٍ ثباتًا، و في كل إماتة إحياءً، لمح من سرٍّ نزوله عن الله: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أنْ ينام[٣]»، يخفض القسط ويرفعه يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور لو كشفه لأُحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فكان له ﷺ بما هو خليل الله من الإفناء والإذهاب ما هو لوامع ذلك الإحراق اللاهوتيّ الذي به يفني المبقيات بالإبقاء والمثبتات للإثبات، فتكون باقيةً بالبقاء دائمةً بالدوام، حتى كان من آيات خلته اللاهوتيَّة يعقب يومه بالساعة التي هي إهلاك موجود الدنيا وقيام قيامتها وموتها بتكوير شمسها وانكدار نجومها وانشقاق سمائها وتبديل أرضها، فكان في محو مرسوم الدنيا ثبات موجود الآخرة، فكان ذلك آية ما هو من كمال علن الله فيما أظهره من تصديق إبطال ما سوى الله في قوله:

«أصدق كلمة قالها شاعرٌ كلمة لبيد: ألا كلُّ شيءٍ ما خَلا اللهَ باطلٌ[٤]».

فكان له بإذهاب ما سواه خلةٌ إلاهيَّةٌ، كما كان يبسط رحمانيَّته خلة رحمانيَّة، فهو في الثبت خليل الرحمن، وهو في المحو خليل الله، بخلته الرحمانيَّة ثبت كل ثابت، وبخلته اللاهوتية فني كل فانٍ، فن في الباقي للحقِّ، كما قال عليٌّ عليه السلام: «يبقى اللهُ

---

(١) رواه البخاري (١٢٩٩/٣)، ومالك في الموطأ (١٠٠٤/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٨٩/٦).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٢١٥/٣)، وفي الكبرى (٢٥٠/٩)، والطبراني في الكبير (٣٦٠/٢٣)، وفي الأوسط (١٥١/٩)، وابن عدي في الكامل (٤٢٣/١)، والعقيلي في الضعفاء (٣١١/١)، والدارقطني في السنن (٢٦٦/٤).

(٣) رواه مسلم (١٦٢/١)، وأحمد في العلل (٥٥٦/١)، وابن ماجه (٧٠/١)، وعبد الله بن أحمد في السنة (٤٦٢/٢)، وابن حبان في الصحيح (٤٩٩/١)، وأبو عوانة في مسنده (١٢٧/١)، والروياني في مسنده (٣٦٤/١)، والدارقطني في العلل (٢٣٤/٧).

(٤) تقدم تخريجه.

ويفنى كل شيء[١])، فهو خليل الله الذي هو به لا سواه، فأتى الفناء والهلاك على ما سواه، فكان الباقي به وجه الله بما هو خليل الله، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ*وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٦،٢٧]، وقال: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٧٨].

* * *

[اسمه ﷺ: عبد الله]

العبد: المتخلّي عن ذاته لسيده، فبحسب التخلّي تتحقق العبودية، وبما هو متخلٌ هو متنــزِّلٌ إلى أدنى رتب التصرفات، بما أن العبد هو المعدُّ للمهنة، والسيِّد هو المحاط للعلوِّ والرفعة، ولما كان تجلِّي الحقِّ تعالى بالتعالي والجلال كان التقرب إليه بتحقق ما يقابل علوَّه من الدنوِّ وعزَّته من الذلَّة ورفعته من المهانة، فكان أقرب القرب إلى الله العليِّ أبعد البعد في الدنوِّ والتذلل والضِّعة، قال ﷺ: «أقرب ما يكون العبد من ربِّه وهو ساجدٌ[٢]»، فبحسب ظهور التذلل في التصرفات والأوصاف والأحوال تتحقق العبودية، فيتحقَّق القرب والدنوُّ لمقابلة من العلوِّ، من حيث إن أقرب قريب لا طرف منظرٍ فيما يقابله من الطرف الآخر؛ ليَظهر معنًى من الختم لالتقاء الطرفين، قال ﷺ: «لا يزال الله من العبد والعبد من الله ما لم يخدم، فإذا أخدم وقع عليه الحساب[٣]»، ولذلك كان رسول الله ﷺ يخدم في مهنة أهله، ويقم البيت، ويرقِّع القميص، ويخصف النعل، ويتولَّى علف فرسه بيده، ويناول السائل بيده، ويضع يده مع الخادم في الطحين، ويجلس للأكل جلوس العبد كجلوسه في الصلاة؛ لتكون هيئته في تعبُّده في صلاته وفي أكله هيئةً واحدةً، فيكون دائم العبودية غير منصرف عنها، ولما قيل له في ذلك قال: «إنما أنا عبدٌ، آكلُ كما يأكلُ العبد[٤]»، وقيل له مرَّة: أتأكل كما يأكل

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٣/٤٠٤) بنحوه.

(٢) رواه مسلم (١/٣٥٠)، وأبو داود (١/٢٣١)، والنسائي في الكبرى (١/٢٤٢)، وأحمد (٢/٤٢١)، وأبو نعيم في الحلية (٦/٧١)، وابن أبي عاصم في الزهد (١/١٩٦).

(٣) رواه الديلمي في الفردوس (٣/٩٢)، والبيهقي في الشعب (٧/٣٨٠)، وأبو نعيم في الحلية (١/٢١٥)، ومعمر بن راشد في مسنده (١١/٩٧).

(٤) رواه البيهقي في الكبرى (٧/٢٨٣)، وهناد في الزهد (٢/٤١١)، والديلمي في الفردوس (١/٣٤١)، وابن سعد في الطبقات (١/٣٧١).

العبد؟! فقال: ((وأيُّ عبدٍ أعْبد مِنِّي[(١)])), فكان ﷺ يتخلَّى عن وجوه الترفعات كلها في ملبسه ومطعمه ومشربه ومبيته ومسكنه؛ إظهارًا لظاهر العبودية فيما يناله العيان منه صدقًا عمَّا في باطنه من تحقُّق العبودية لربِّه بما هو بمعنى الذي جاء بالصدق وصدق به، وكان يظهر ذلك في أحوال ما يغلب عليه وصف العزة تحقيقًا للعبودية وتخليًا لِعليِّ الحقِّ.

دخل ﷺ مكة عام الفتح حين أحلَّ الله له ما لم يحل لأحد قبله ولا يحله لأحد بعده بما حلَّ له من حُرمَة حرَمِه، فدخل وعلى رأسه المغفر حربًا، وهو ﷺ قد وضعَ ذقنه الكريمة على مقدمة رحله؛ تواضعًا لله ﷻ[(٢)]، فتخلَّى عن أسوأ الجلسة؛ إظهارًا لهيئة التواضع لصورة العبودية، ولما خُيِّر بين أن يكون نبيًّا عبدًا أو يكون نبيًّا ملكًا اختار أن يكون نبيًّا عبدًا، بما أن العبودية للخلق حقٌّ متحققٌ دائمٌ خاصٌّ، لم يتصف به الحقُّ تعالى، فكل اسمٍ تسمّى به الحقُّ فحقُّ العبوديَّة التخلِّي عنه؛ لأن ما تَحلى به السيد فحقٌّ على العبد التخلِّي عنه، فالملك اسم تعالٍ لا يتحقّق للعبد، فاختار ما هو دائمٌ ثابتٌ عمَّا هو زائلٌ ذاهبٌ، حتى أن وصف الملكُ إنما يبدو أمره وكثره ساعةً من نهارٍ، كما قال الصادقون: إن ربَّنا غضب اليوم غضبًا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله[(٣)]، فلم يكن في الأسماء ما يتحقّق للعبد دوامًا وثباتًا إلا العبد، وما سواه اسمٌ لظهور أمرٍ في وقتٍ من أيام الله، كما أن الاسم العظيم (الله) الاسم الدائم القائم الذي لا يختصُّ بمثلٍ من الخلق، وسائر أسمائه أسماءٌ تظهر أمد الوقت، كما قيل: رحمان الدنيا ورحيم الآخرة ملك يوم الدين.

فلما كان اسم (الله) العظيم هو الدائم تعين لإضافة ما هو به من أسماء الخلق، وهو اسم العبد فكان اسم العبد راتبًا له دائمًا عليه، وكل اسمٍ سواه خاصٌّ بحالٍ أو وقت، فكانت العبودية للعبد مورد متقابلاته، فكان الماحي لأسمائه الثابت له دوامًا، كما كان اسم الله المحيط بأسمائه الدائم له كمالاً، فالبادي عبدٌ كما قال ﷺ: ((وكلنا لك عبدٌ[(٤)])).

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٨/٢٠٠)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٢١).

(٢) رواه البخاري (٢/٦٥٥)، وأبو داود (٣/٦٠)، والترمذي (٤/٢٠٢)، والنسائي في الكبرى (٥/١٧١)، وأحمد (٣/١٨٥).

(٣) رواه البخاري (٣/١٢١٥)، ومسلم (١/١٨٥)، والترمذي (٤/٦٢٢).

(٤) رواه الدارمي في السنن (٢/٤١٢)، وأبو يعلى في مسنده (١/١٤٢).

وهو ﷺ قلب ذلك العبد الذي منه مدده ظاهر جسمانيته وباطن روحانيته، بما هو النور الأول الذي خُلق من نوره كل كائن، ولسانه المعبر عنه، وإمامه المتقدم به، وشفيعه الموصل إليه، وجميع أسمائه متشعبةٌ من أصل عبدانيته التي اُختص بها اختصاص ربِّه بالإلهيَّة واللاهوتيَّة، فلم يكن أثبت له في الأسماء من هذا الاسم ولا أتم إحاطةً، فالعبد بالله قائمٌ، كما كان يقول ﷺ: «أإنا بك !(١)»، وكما قال لعَليٌّ ﷺ في نقش خاتمه: «نحن بالله(٢)».

فإذا نطق الناطق بهذا الاسم: (عبد الله) أحاط إحاطة كمالٍ بالبادي العبدانيٌّ، فدخل كل تفصيلٍ في ضمن نطقه ومعناه وحقيقته، كما انتظم اسمٌ العظيم (الله) جميع أسمائه مما لا يناله الإحصاء، كذلك اسمه (العبد) ينتظم من أسمائه ﷺ مما لا يناله الإحصاء، كذلك كان يقول ﷺ: «قولوا: عبد الله(٣)»، ولأن سائر الأسماء التي هي من أوصاف تجلِّيات الله عن اسمه مما يسلمها العبد إلى ربِّه؛ لأنها مشقوقةٌ من أسماء الله وأوصافه، كما قال ﷺ: «أنا الذي شقّ الله اسمي من اسمه، فالله محمودٌ وأنا محمدٌ ولا فخر(٤)»، وسائر أسمائه تفاضيلٌ من معنى ما يجمعه له (محمد) إلا اسم (العبد)؛ فإنه ليس له بمشوقٍ من اسمٍ من أسماء الله تعالى، فكان أصل كل اسمٍ له، فأسلم الله ما سواه آداءً لأمانته، فكذلك كان يقول ﷺ: «لا تضرُّوني كما أضرّت النصارى عيسى، ولكن قولوا: عبد الله(٥)»، فاستثبت ما هو ثابتٌ، وأسلم لله ما هو له لا لسواه، وليس للعبد إلا اسم العبد ولله كل شيءٍ، فعبد الله اسم مِلءٍ وإحاطةٍ لا يدعُ شيئًا، ولذلك أحبُّ الأسماء إلى الله (عبد الله)، و(عبد الله) لا يتطرق إليه تعبدٌ لشيءٍ سواه بما حجب الخلق وأبقَ بهم عن استخلاص العبودية لله، حتى لم يصحُّ كمالاً إلاّ لعبد الله محمد رسول الله؛ لأن من رغب في شيءٍ فقد عبده وصار عبده، والمرء رقٌّ ما استولى عليه أمرٌ من أمر الدنيا أو أمرٌ من أمر الآخرة أو أمرٌ مما سوى الله، فهو عبد ذلك الشيء لا عبد الله، حتى يكون كما قال ﷺ: «تعِسَ عبد الدينار وعبد الدِّرهم وعبد

---

(١) رواه أبو يعلى في مسنده (٤٣٣/١).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

الخَميصَة[١]»، وكذلك يصير المرء عبد أمله وعبد سلطانه وعبد ماله وعبد ولده، فما تحقق بالعبودية لله إلا من استخلص قلبه له، فكان قلب المؤمن الذي وسعه، كما قال تعالى: «ووسعني قلبُ عبدي المؤمن[٢]»، فذلك عبد الله الذي منه كل شيءٍ، وهو من لي كل شيء، ووليُّ كل شيء، والله وليه ومولاه، وهو العبد الذي يذهبه الله عنه فيجري عليه أمره كما فعل لعبد الله حبيبه حيث أجرى عليه اسمه العظيم في كتابه المبين فيما لا يكاد يُحصى ولا يُهتدى إليه إلا بعناية إفهامٍ من الله إلا ما هو بادٍ نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذينَ يُبَايِعُونَكَ إنما يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ [الفتح: ١٠]، حتى يجري ذلك على حواسه، كما قال في قوله: «فأكون سمعه وبصره[٣]» الحديث، فذلك عبد الله إذا ذكرت اسمه لم يبق من ورائه ذكرٌ، فكان مضمنًا لكل حمدٍ، هو لعبد الله بما هو لله بما العبد من طينة سيده، والله الوليُّ الحميد.

* * *

[اسمه ﷺ: حبيب الرحمن]

الحبُّ: إحساسٌ بوصلةٍ يجدها القلب ولا يعرف كنهها، كما ورد من قولهم: يا رسول الله، الرجل يحب الرجل ولم يره، فقال رسول الله ﷺ: «الأرواح أجنادٌ مجندةٌ، فما تعارف من أُتتلف[٤]»، فأنبأ ﷺ بأن ذلك الإحساس من وصلة تعارف متقدرٍ أتى عليه نسيان الإنسانية فغمره الألف طن، رقَّ حجاب طبعه فأحسَّ بوصلةٍ روحانيَّة، ولذلك يقع التحابُّ بالمهاداة؛ لأنها وصلةٌ من فضلٍ، كما أن التعارف وصلةٌ من رحمة الله، ولذلك قال: «تحابُّوا بروح الله بينكم[٥]»، فبحسب الوصلة وحياة القلب يقع الحب لمن هو أوصل، فوصلةٌ ظاهرةٌ كوصلة الأنساب والتهادي والمواكلة، ووصلةٌ أبطن منها كالوصلة بالمعاونة والمؤازرة، ووصلةٌ أبطن منها كوصلة التعارف والبدن، كذلك إلى التواصل في الله كما قال عليه الصلاة والسلام في قومٍ وصفهم: «تحابُّوا في

---

(١) رواه البخاري (١٠٥٧/٣)، وابن ماجه (١٣٨٦/٢)، والبيهقي في الشعب (٤١/٤).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الحكيم الترمذي في النوادر (٢٦٥/١)، وذكره ابن حجر في فتح الباري (٣٤٤/١١)، وفي لسان الميزان (٨٣/٤).

(٤) رواه البخاري (١٢١٣/٣)، ومسلم (٢٠٣١/٤).

(٥) رواه أبو داود (٢٨٨/٣)، والنسائي في الكبرى (٣٦٢/٦)، والبيهقي في الشعب (٤٨٥/٦).

الله، وتصافوا في الله[1]))، فلم يكن وصلتهم منهم ولا مما سوى الله، فينقطع بانقطاعه أو يهن بوهنه أو يذهب بذهابه، فلما كانت وصلتهم بالله كان حبهم حبًّا أحدّهم وأبقاهم بما تحابُّوا في الله الأحد الباقي، وأنهى ما يُنهى إليه مقامات الصائرين إلى الله أن يرزقهم أن يحبُّوا حبًّا لا يتكيف لمتكيف؛ لأنه وجدٌ، القلب لا يعبر عنه ولا يرشد إليه إشارةً ولا ينبغي لمن لم يجده أن يناوله إلا بتكلف لما لا يعلم؛ لأن مواجيد القلوب لا تصل إليها العلوم، وكما أن حبَّ العبد لله أنهى المقامات التي تصحبها الإعانة من الله فحبُّ الله للعبد أكمل المواصلات التي فضّل الله بها عبده، كما قال في قوله: ((لا يزال عبدي يتقرَّب إليّ بالنوافل حتى أحبَّه[2]))، وهى نوافل التوحيد التي تنفي عظيم الشرك وجليّه وخفيّه، كما قال ﷺ: ((أعوذ بك أنْ أُشرك بك وأنا أعلم، وأعوذ بك أن أشرك بك وأنا لا أعلم[3]))، قال تعالى: ((...حتَّى أحبَّه فأكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وقلبه الذي يقف به[4])).

فأكمل الوصول أن يحبَّ الله العبد، وأنهى السلوك أن يحبَّ العبد الله، و في محبَّة العبد لله الابتلاء وفي محبَّة الله للعبد المعافاة، ولذلك أرشد تعالى المحبِّين لاتِّباع حبيبه؛ ليحبَّهم بحبِّه، فيكون لهم بما هو له، فيكونوا أحبَّاء الله في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ**﴾ [آل عمران:٣١]، وقال: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ**﴾ [المائدة:٥٤]، وذكر ﷺ: ((أنهم من أهل اليمن ثم من كيده ثم من السكون من تجبب[5])).

فإذا أحبَّ العبد لله ابتلاه، وإذا أحبَّ الله للعبد عافاه، وكذلك إذا أحبَّه العبد أسكره، وإذا أحبَّ العبد أصحاه، وإذا أحبَّه العبد هيَّمه، وإذا أحبَّ العبد ثبَّته، وإذا أحبَّ الله العبد أحمده؛ ليكون أحمد في ذاته ومحمدًا لمأمنه، فيحبُّ الله لعبده أكمله وأعظمه، فلما في حبِّ الله العبد من الكمال والإعظام أثبت على محمد ﷺ أسماء حبِّه له في تفاصيل الأمور وبواديها، بما أضافه لاسمه (الرحمن)، و في غيب الأمور وإحاطاتها بما أضافه لاسمه العظيم (الله)، فهو ﷺ حبيب الرحمن بما أن الرحمانيَّة في الدنيا والآخرة

---

(١) رواه أحمد (٣٤٣/٥)، وابن المبارك في الزهد (٢٤٩/١).

(٢) رواه البخاري (٢٣٨٤/٥)، وابن حبان في الصحيح (٥٨/٢).

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٥٠/١)، وهناد في الزهد (٤٣٤/٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) رواه الطبري في تفسيره (٢٨٤/٦).

وأمد الكون وإقامة المقامات مجراةٌ كلها منه وبه، وبما هو نبيُّ الرحمة، ونبيُّ الرحمة والرسول رحمةً العالمين وذكرًا للعالمين، فإحاطة الرحمانيَّة باديةٌ فيما أقامته بحبيب الرحمن، بما أنه المحول أمر الرحمة كلها في الدنيا والآخرة، وفي البدء كونًا، وفي الإعادة وصولاً وعودًا، قال تعالى: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان:٢٦]، وهو الشفيع يومئذٍ الرحمن بما هو حبيب الرحمن، فهو لسانه إذا نطق وخبائه إذا شفع، فأثبت اسمه حبيبً الرحمن جميع تفاصيل أمر؛ إقامةً به.

***

[اسمه ﷺ: حبيب الله]

هذا الاسم أخصّ الأسماء بمحمد ﷺ، وهو أعظمها، كما قال ﷺ: «آدم صفوةُ الله، وإبراهيم خليلُ الله، وموسى كليمُ الله، وعيسى روحُ الله، وأنا حبيبُ الله[1]»، وبتحقيق وكمال هذا الاسم له أجرى عليه اسمه في كتابه، وأنبأ عنه بما أنبأ في قوله: «كنت سمعه وبصره ويده ورجله وقلبه[2]» الحديث، فمحى بأجزاء اسمه العظيم عليه كل اسمٍ بسواه، ولم يبقَ إلا الله اسمًا، كما أنه ليس إلا الله عظمةً وإطلاقًا ودوامًا، وكل ما خلا الله باطلٌ، فنتحقق هذا الاسم إلى كمال أجزاء الاسم العظيم عليه حق الحق وبطل الباطل، وكان الله ولا شيء معه، وكشف حجاب النور فأحرقت سبحات وجهه بما انتهى إليه بصره من خلقه، وظهرت من آثار ذلك في الكتاب والسنة تفاصيل لا يسمعها كملاً إلا من أحبَّه الله، فكان حبيب الله بما هو حبيب حبيب الله، كما قال ﷺ: «واشوقاه إلى أحبائي[3]»، وهو إخوانه وآله وأئمة أمته الذي قال ﷺ: «يُدعى كل قومٍ بكتاب ربِّهم وسنَّة نبيِّهم وإمام زمانهم نيابًا لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] [4]، وبذلك كان من أحبَّ الله فقد أحبَّه، ومن أحبَّه فقد أحبَّ الله، وكان في آخر اسمه العظيم عين كمال هذه الأسماء التسع والنسبة مائةٌ، كما هو فيما اختاره هو ﷺ من أسماء الله، فقد عدَّد المعددون أسماءً، منها تسعة وتسعين جعلها اسمًا للاسم العظيم (الله)، وأنبأ مع ذلك أن أسماء الله لا تُحصى، كما قال ﷺ:

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) حديث كشفي صحيح.

«لا أحصي أسماءك ولا ثناء عليك[1]»، كذلك أسماء حبيبه لا تُحصى، وقد ذكر النقلة منها عددًا كبيرًا بالعربية وبغيرها من الألسنة، فأجرى الله في هذا الإنظام منها هذا العدد التسع والتسعين، فكان الكمال في أسماء الله وأسماء رسوله مائةً بما كان اسم الله العظيم آتيًا على كل اسم من أسمائه وأسماء حبيبه، وأدرج آله في اسمه العظيم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ*وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة:٥٥،٥٦]، فأفرد إضافة الحزب لله، فأتى على اسم الرسالة والإيمان، وبقي الله وحده، وذلك إنما تحقق بما أحبَّ الله محمدًا وآله، فأفناهم عنه، وكان وجدهم وبقاؤهم به؛ لاستوائه وإلى ما أظهرته آيات ذلك من نحو قوله تعالى في إجراء اسم الإضمار في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا*لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح:٨،٩]، بإفراد اسم الإضمار اسمًا واحدًا يتفضل إلى ما يجريه عليه تعالى وعلى حبيبه الذي أسلم وجهه له، فلم يكن له وجدٌ إلا به، فإلى هذه الآيات وما يشير إليه وما سارت معانيها من السنن أشارت الصوفية في غاياتها، وطمحت إليه في منتهياتها، والله يختصُّ برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

هذا والحمد لله ما أجرى الله سبحانه بشرح أسماء سيدنا محمد حبيب الله مما أتى به الإبداء على خفائه، والإفصاح بإجابة ما يتحصَّل به بعناية الله لمن يشاء من عباده من معرفة النبيِّ ﷺ حبيب الله ما يكون معرفه لله، فمعرفة الله قبل معرفة محمد حبيبه معرفة إيمان، ومعرفة الله الذي يعرفها بمعرفة حبيبه معرفة إيمان ليس وراءها مرمًى ولا دونها منتهًى، وأهلها هم أهل رؤية الله في الدنيا والآخرة لا يتزايد بدارٍ ولا يتناقص بدارٍ، وهم أهل الجادة التي نبَّه عليٌّ عليه السلام عليهم وعلى منهجهم في قوله: «اليمين والشمال مضلَّةٌ والوسطى الجادة منهجٌ عليه أم الكتاب والسنَّة وآثار النبوة[2]»، وكان القرآن يمنةً، سلك على آثار ظاهر المؤمنين وأمِّ الكتاب، فأمَّا ما أقيم عليه المرادون والسنة التي هم عليها هي السنة العليّة الخاصَّة بمحمد وآله في غيب معرفتهم عن شهود ظاهر السنن المشروعة للسالكين في سعة الاختلاف التي سُئل عنها ﷺ فقال: يا رسول

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) لم أقف عليه.

الله أخبرني عن سنتك؟ فأنبأه ﷺ بما لا يقدر على أن يتلقنه إلا أخص الخاصة من أمته الذين هم الأئمة، فقال: «المعرفةُ رأس مالي، والعقلُ أصل ديني، والحبُّ أساسي، والشوق مركبي، وذكر الله أنسي، والثقة كَنـــزي، والحزن رفيقي، والعلم سراجي، والصبر زادي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة، وثمرة فؤادي في ذكره، وغمي لأجل أمَّتي، وشوقي إلى ربِّي، فمن أقامه الله على جادة هذه السنَّة وكشف عن جبته الغطاء وعن قلبه الحجاب وأماته عن محيا الخلق وأحياه بالله فكان بالله لا بآنيته ولا بما سواه كان من أهل رؤية الله دوامًا في الدنيا والآخرة، وهو من أحبَّاء الله وأحبَّاء رسوله وإخوان نبيِّه، الذين هم فرطهم، وكان مشتاقًا إليهم، وإذًا أن يراهم رؤية ظاهر؛ ليقع ودُّه أن يراهم رؤية ظاهر رؤية لهم(١)»، بما هو ﷺ مقيم التفاضيل على حظوظها حكمة كما هو مُوَفِّي الخفاية حظوظها إقامةً، وهؤلاء هم من ذاته دوامًا، ومن سواهم لباسه الذي هو مُطهّرهم في مقتضى قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر:٤]، وهم ومن بهم أهل الفرقة الناجية دوامًا على ما كان ابتداءً كما قال: «ما أنا عليه في إحاطته علمًا وإقامةً، وأصحابي في الانقياد له(٢)»، فإنما هو عالمٌ ناطقٌ أو مستمعٌ واعٍ ولا خير في العيش لمن سواهم؛ لأنه ينقص بما يريد وينغبن بما يغمر بحسب ما بقي على جبينه من الغطاء وعلى قلبه من الحجاب، فإذا ارتفع غطاء الحسِّ وحجاب القلب كان العبد نورًا من نور ربِّه، فإذا رفع عنه حجاب ذاته الذي هو نورٌ لم يبق إلا الله تبارك اسمه.

والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

تَمَّ كتاب «إبداء الخفا في شرح أسماء المصطفى» على يد أفقر عبيد الله وأحوجهم إلى رحمة الله الحقير الذليل فقير عفو مولاه العليِّ الكبير:

عبد القادر بن المرحوم الشريف حسن البسيوني.

مولدًا وبلدًا الشاذليِّ الحسنيِّ نسبًا.

وذلك في نهار الجمعة بعد صلاة العصر.

---

(١) حديث كشفي صحيح.

(٢) حديث كشفي صحيح.

التاسع عشر من شهر ذي الحجَّة الحرام.

ختام سنة ثمانية عشر ومائة بعد الألف من الهجرة النبوية.

على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

ونسختُ هذه النسخة من نسخةٍ نسخت من نسخة قرئت على مُمليها ﷺ وأرضاه بتاريخ يوم الثلاثاء الأول من شهرٍ ذي الحجَّة الحرامٍ سنة (٨٣٣) من الهجرة النبويَّة.

على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

* * *